

حركة الحرية المتحدة - المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية

# حول بيت المقدس



بمقدمة  
الشيخ  
العرفف بالاسم

ا.د. محمود دياب  
جراح بالمستشفى الملكي المصري

لجنة التعريف بالإسلام  
يصدرها  
المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية

# حول بيت المقدس

الكتاب  
الخامس والخمسون  
١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩ م

يشرف على إصدارها  
مُحمَّد توفيق عويضة



# تصـالـة السيد الرئيس جمال عبد الناصر إلى القوات المسلحة ١٩٦٩ / ٨ / ٢٣

في يوم الحزن العميق والغضب الجارف لحريق المسجد الأقصى وجه الرئيس جمال عبد الناصر رسالة الى الفريق أول محمد فوزى وزير الحربية يخاطب فيها الضباط والجنود فى القوات المسلحة للجمهورية العربية ومن ورائها القوات المسلحة للامة العربية . . قال الرئيس فى رسالته :

مع كل مشاعر الغضب الجارف والحزن العميق والالام الروحية والمادية التى تعصف فى قلب امتنا بأسرها من المحيط الى الخليج فاننى لم أجد من أتوجه اليه هذه اللحظة بخواطرى غير القوات المسلحة للجمهورية العربية المتحدة ومن ورائها القوات المسلحة لشعوب امتنا العربية وكل قوى المقاومة الشريفة التى فجرتها التجربة القاسية التى أراد الله بها عز وجل أن يمتحن صبرنا وأن يختبر صلابتنا .

لقد انتظرت وفكرت كثيرا فى الجريمة المروعة التى ارتكبت فى حق قدس الاتداس من ديننا وتاريخنا وحضارتنا . وفى النهاية فاننى لم أجد غير تأكيد جديد للمعانى التى كانت واضحة امامنا جميعا منذ اليوم الاول لتجربتنا القاسية ، وذلك أنه لا بديل ولا أمل ولا طريق الا القوة العربية بكل ما

● سوف نخارج من أجل المسجد الأقصى ... ولنتلقى السالم حتى ينصر الله جنده ويعلى هممه ويعز بيته ويعود السالم الحقيقي إلى مدينة السلام

تستطيع حشده وبكل ما نملك توجيهه وبكل ما تستطيع الضغط به حتى يتم نصر الله حقا وعزiza \*

لقد فتحنا للسلم كل باب ولكن عدو الله وعدونا اغلق دون السلم كل الابواب ، ولم نترك وسيلة الا وجربناها ، ولكن عدو الله وعدونا عرقل الوسائل وسد مسالكها و اظهر للعالم كلها ما كان خافيا من أمر طبيعته ونواياه \*

وحين وقعت هذه الجريمة ضد المسجد الأقصى في القدس فاننا لم نتسرع وانتظرنا لا نتصور أن يكون التدبير قصدا مقصودا ، ولكن الدلائل القاطعة أمام عيوننا الآن لا تترك لاحد أن يتصور شيئا آخر غير الحقيقة وحدها مهما كانت بشعة ومروعة \*

ولسنا نجد أن هناك فائدة في اللوم والاستنكار وليس يجدي أن نقول بأن إسرائيل بعدما حدث للمسجد الأقصى قد اثبتت عجزها عن حماية الأماكن المقدسة كما أنه لا نفع من اللجوء الى أى جهة طلبا للتحقيق أو طلبا للعدل \*

ان هناك نتيجة واحدة يجب أن نستخلصها لانفسنا ويتحتم أن نغرض احترامها مهما كلفنا ذلك ، الا وهى أن العدو لا ينبغي له ولا يحق له أن يبقى حيث هو الآن \*

## ● ليسوا جند أمتهم فقط ... ولكنهم جند الله ...

ان العدو لن يتأثر باللوم أو الاستنكار ولن يتزحزح قيد انملة عن المواقع التى هو فيها لمجرد قولنا بانه اعجز من مسؤولياتها ، ولن يتوقف دقيقة لكى يستمع الى صوت أى جهة تطلب التحقيق أو العدل ♦♦

اننا أمام عدو لم يكتف بتحدى الانسان ولكنه تجاوز ذلك غرورا وجنونا ومد تحديه الى مقدسات ارادها الله ببيوت له وبارك من حولها ♦

اننى أريد أن يتدبر رجالنا من ضباط وجنود القوات المسلحة مشاعراليومين الاخيرين وأن يتمثلوا معانيها وأن يصلوا وجدانهم وضمائرهم بوجودان امتهم وضميرها وأن يعرفوا الى اعماق الاعماق انهم يحملون مسؤولية وامانة لم يحملها جند منذ نزلت رسالات السماء هديا للارض ورحمة ♦

انهم فى معركتهم القادمة ليسوا جند امتهم فقط ولكنهم جند الله ، حماة اديانه ، وحماة بيوته ، وحماة كتبه المقدسة ♦

ان معركتهم القادمة لن تكون معركة التحرير فحسب ولكنه أصبح ضروريا أن تكون معركة التطهير أيضا ♦

ان انظارنا تتطلع الان الى المسجد الاقصى فى القدس وهو يعانى من قوة الشر والظلام ما يعانى ♦

ومهما كان ما نشعر به فى هذه اللحظات فان دعاءنا الى الله عز وجل مؤمنا وخاشعا هو أن يمنحنا الصبر والمعرفة والشجاعة والمقدرة لكى نزيح الشر والظلام ♦

- العدو لا ينبغي له ولا يحسن له أن يبقى حيث هو الآن
- سوف نعود إلى القدس ... وسوف تعود القدس إلينا

ولسوف تعود جيوشنا إلى رحاب المسجد الأقصى ، ولسوف تعود القدس كما كانت قبل عصر الاستعمار الذي حاول بسط سيطرته عليها منذ قرون حتى أسلمها لهؤلاء اللاعبين بالنار •

سوف نعود إلى القدس وسوف تعود القدس إلينا • وسوف نحارب من أجل ذلك ولن نلقى السلاح حتى ينصر الله جنده ، ويعلى حقه ويعز بيته ويعود السلام الحقيقي إلى مدينة السلام ••



## مقدمة

أليس من العجيب أن يحتاج الحق الأبلج الى توضيح له ، وتدلبل عليه ؟  
وأعجب من هذا أن يعوزه الرد على بهتان صارخ ينكره ؟  
وأشد عجا أن يفتقر هذا الحق الواضح الى الدفاع عنه أو استرداده  
بقوة السلاح ؟

ولكن تاريخ الأمم يقتص علينا هذه الأنباء فيها يقص من قديمها وحديثها .  
وقد كتب علينا كما كتب على كثير من الأمم — لحكمة يريد بها الله — أن  
نمارس هذا كله في تاريخنا الطويل ، فنوضح حقنا حيناً ، ونرد على انكاره  
آناً ، ونجاهد تارة دونه بالسلاح .

فليست محنة اليوم الا حلقة من حلقات الماضى القريب والبعيد ، وليس  
مهودنا اليوم الا امتدادا لصمودنا الأثم في مجاهدة الغزو التتري والصليبي  
والاستعماري الحديث .

واذا كنا — نحن العرب والمسلمين — قد استرخصنا ارواحنا ، وبذلنا  
أموالنا في الذود عن وطننا ، وكتب لنا النصر ، فأننا في محنة اليوم أعظم  
شجاعة ، وأمضى عزيمة ، وأجود بذلاً ، لأننا لا نذود عن وطننا الحبيب  
فحسب ، بل لأننا نذود عنه ، ونحمى عقيدتنا — وهى اعز من الروح —  
ونصون ديننا — وهو اعلى من الحياة والمال — ونستنقذ أولى القبلتين ،  
وثالث الحرمين .

وبعد ، فانه يسرنى أن أقدم هذه الدراسات الموجزة حول بيت المقدس ،  
التي كتبها بعض السادة من أعضاء لجنة التعريف بالاسلام احدى لجان  
المجلس الاعلى للشئون الاسلامية ، تجلية للحق ، وتبصرة لذويه ، وتذكرة  
بالواجب ، وحفزا للعزائم ، وكشفنا عن اباطيل اليهود واكاذيبهم على التاريخ  
وعلى الله .

وادعو الله تعالى أن يجعلها بشرى بنصر قريب ، فانه سبحانه نعم المولى  
ونعم النصير .

**الدكتور أحمد الحوفى**

رئيس لجنة التعريف بالاسلام



# أمرقوا المسجد الأقصى فوجه الجهاد....!

الكاتب أحمد الحرفي

ماذا ينتظر المسلمون بعد أن اعتدى اليهود على ديارهم ، وطمعوا في مقدساتهم ، وشردوا الأهلين من وطنهم ، وقتلوا الرجال والنساء والأطفال ، واغتصبوا الأموال ، وانتهكوا الحرمات ؟

ماذا يرتقب المسلمون بعد أن اقترف اليهود جريمتهم الدنيئة ، فحرقوا المسجد الأقصى أولى القبلتين ، وثالث الحرمين ، ومسرى خاتم الأنبياء عليه الصلاة والسلام ؟

أم يتوقعون أن يرتحل اليهود وهم يقيمون إقامة من لا يريد الرواح ؟  
أم ينتظرون أن يقنع اليهود ومطامعهم تتوالد كما يتوالد الذباب في المستنقع والبراح ؟

وهل من سبيل أمام المسلمين غير الجهاد ؟

وهل من أمل في غير التهاافت على الاستشهاد ؟

ان الذين يريدون تنحية محاربتنا لليهود عن معاني الجهاد واهمون ، لأن اليهود — وهم المعتدون — يندفعون الى العدوان بندااء من دين مزعوم مكذوب على الله ، فأولى بنا نحن المدافعين أن نسارع الى الدفاع بهتاف من الدين الصحيح الذي ارتضاه الله •

وليس أجدى علينا في هذه المحنة التي نحسبلى بلخاها من أن نفىء الى دنينا نعتصم بقواه ، وننهض بما يوجبه علينا من علم وعمل وانتحار بالله ونحصر لله •

فلنرجع الى الاسلام لنتعرف حقيقة الجهاد ومعناه ، ولندرك حكمه في هذا الوقت العسير الذي نحيا فيه •

### فما معنى الجهاد ؟

انه الحرب التي تقاوم الحرب الباغية وتصددها ، لتحمي العقيدة الصحيحة والدين القويم والوطن والعرض والمال والحياة •

ومعنى هذا أن الجهاد والحرب كلمتان تلتقيان وتفترقان ، فالجهد أعم من الجهاد ، لأنها قد تكون جهادا ، وقد تكون بغيا وعدوانا •

ولهذا عرف ابن عابدين <sup>(١)</sup> الجهاد بأنه بذل الوسع في القتال في سبيل الله بالاشتراك العملي بالحرب ، أو الاشتراك فيها بالمال أو الرأي أو مداواة الجرحى أو اعداد الطعام والشراب ، وما شاكل هذا •

ومثله المراقبة ، وهي الإقامة في مكان على الحدود بين المسلمين وأعدائهم ، لا يتحقق الدفاع عن وطن المسلمين الا به ، لاعزاز الدين ، ودفع شر المشركين •

وينتسخ من هذا التعريف أن الجهاد حرب في سبيل الله ، فهي اذن حرب محتومة مشروعة للذود عن الدين ومقدساته ، أو للدفاع عن الوطن وحرماته ، وما يتصل بالدين والوطن من أموال وأرواح وأعراض وأخلاق •

ولهذا كان الجهاد حربا شريفة البواعث ، نبيلة الأغراض ، سامية الأهداف •

• فالغزوات النبوية جهاد •

• ومحاربة أبي بكر للمرتدين جهاد •

• ومقاتلة عمر للروم والفرس جهاد •

---

(١) حاشية ابن عابدين ٢٣٨/٣ •

- ومناضلة المسلمين للتتار جهاد
- ومكافحة مصر للحملات الصليبية جهاد
- وثورات مصر على الاحتلال الفرنسى والبريطانى جهاد
- ومنازلة ليبيا لاييطاليا ، والجزائر لفرنسا ، جهاد
- والحرب التى ينهض بها العرب اليوم لتخليص وطنهم من أضرار العدوان الاسرائيلى جهاد ، أى جهاد

### فما حكم الجهاد اليوم ؟

ان الشريعة الاسلامية تجعله فرض عين فى عدة حالات :

١ — اذا هجم العدو على بلد من بلاد المسلمين وجب على أهل هذا البلد أن يخرجوا الى العدو ، ليقوم كل منهم بما يستطيع القيام به ، ولا يتخلف منهم أحد ، سواء أكان من المقاتلين أم من غيرهم .

وهذا هو النفير العام الذى يشترك فيه الجميع ، المرأة والعبد والغلام والشخص الذى له أب أو أبوان ، سواء أذنأ له بالخروج أم لم يأذنأ (١) .

٢ — فان عجز أهل هذا البلد عن صد عدوهم ، أو تكاسلوا عن النهوض له ، وجب الجهاد على من يليهم ، وهكذا حتى يصير فرضا بالتدريج على المسلمين جميعا .

فلو سبيت امرأة مسلمة بالمشرق لوجب على أهل المغرب تخليصها من الأسر .

قال تعالى : « انفروا خفافا وثقالا ، وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم فى سبيل الله » (٢) .

(١) المحلى لابن حزم ٢٩٠/٧ .

(٢) سورة النوبة ٤١ .

وقال سبحانه : « يا أيها الذين آمنوا مالكم اذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم الى الأرض ؟ أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة ؟ فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة الا قليل .

الا تنفروا يعذبكم عذابا أليما ، ويستبدل قوما غيركم ، ولا تضروه شيئا ، والله على كل شيء قدير » (١) .

٣ — وهو واجب على كل من علم بضعف المسلمين عن محاربة عدوهم وهزيمته ، وهو يستطيع أن يغيثهم ، لأن المسلمين كلهم يد على من سواهم .

ولهذا اذا استطاع أهل البلد المعتدى عليه أن يردوا عدوهم سقط الجهاد عن الآخرين .

٤ — كذلك يجب على المسلمين اذا ما قارب العدو دار الاسلام ولم يدخلها ، حتى يظهر دين الله ، ويصان الوطن ، ويهزم العدو ، وليس في هذا خلاف (٢) .

ومعنى هذا أن العدو اذا أراد الهجوم على المسلمين صار الجهاد فرضا على المقصودين كلهم ، ثم على غيرهم ، لا غائتهم سواء أكان الرجل من الجنود المخصصين للقتال أم لم يكن . فعلى كل مسلم أن يجاهد في هذه الحالة بنفسه وبماله وبلسانه ، كما فعل المسلمون حينما قصدهم العدو عام الخندق ، فان الله لم يأذن لأحد في تركه ، لأنه دفاع عن الدين والنفس والحرمة ، فهو قتال اضطرار ، مفروض على كل من يصلح للدفاع والحرب (٣) .

٥ — ولكنه مع هذا واجب على الجنود المعدين له الذين يتقاضون رواتبهم من مال الأمة ، بل ان وجوبه عليهم أكد .

(١) سورة التوبة ٣٨ — ٣٩ .

(٢) حاشية ابن عابدين ٢٤٢/٣ ، وتفسير القرطبي ١٥١/٨ .

(٣) ابن عابدين ٢٣٩/٣ ومجموع فتاوى ابن تيمية ٣٥٩/٢٨ .

وهذا الوجوب على الجنود قائم على الشرع ، وقائم على العقد الذى أبرموه مع الولاة على الطاعة والجهاد ، ومستند الى العوض المالى كما يجب العمل على الأجير الذى قبض الأجر ، وكما يجب تسليم المبيع على البائع الذى قبض الثمن •

وهذا هو السبب فى أن الناس يستتكرون جبن الجندى ، ويزدرون فضله أو تخلفه عن الجهاد ، ويستقبحون معاونته للعدو أكثر مما يزدرون ذلك من غيره ، كما يستتكرون المعصية من العالم أشد مما يستتكرونها من سواه (١) •

فما حكم الجهاد اليوم ؟

ما حكمه واسرائيل تبغى فسادا فى فلسطين ، وتعيث شرا فى بيت المقدس ، وتنزل بالمسلمين أبشع ما سمع به التاريخ من وحشية وتشكيل وانتهاك للحرمات ، وتستلب الثروات ، وتحشد فى السجون والمعتقلات عشرات الألوف من الأبرياء ، وتبيد المسلمين والمسلمات فى حقن مسعور ؟

ما حكمه واسرائيل تطغى على قلع عزيزة من الوطن العربى الاسلامى فى مصر وسورية والأردن ؟

ما حكمه واسرائيل تعلن فى وقاحة وتبجح أن وطنها المنشود يمتد من الفرات الى النيل ؟

ما حكمه واسرائيل تراوح المسلمين وتغاديهم بعدوان مسلح تؤازره دول معادية للعرب وللإسلام ؟

ما حكمه وقد اقترفت اسرائيل جريمة خج منها المسلمون جميعا اذ أحرقت المسجد الأقصى ، فكشفت عن خبث طويتها ، ودنس نيتها ، وشرها الذى تبيته للإسلام والمسلمين ؟

ما حكمه واسرائيل تتطلع فى جشع الى أن تستولى على مناطق تمتد الى مدينة الرسول عليه الصلاة والسلام ؟

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية ١٨٤/٢٨ •

أهو فرض عين على أهل فلسطين ؟

نعم انه فرض عين عليهم جميعا •

ولكنهم عجزوا عن صد اسرائيل ، فصار فرض عين على جيرانهم في الاردن وسورية ولبنان والعراق ومصر •

فاذا كان هؤلاء قد ضعفت قوتهم أن تهزم القوى الدولية التي تمتد اسرائيل وتساندها فقد صار الجهاد فرض عين على المسلمين جميعا من الباكستان شرقا الى المغرب غربا ، ومن البحر الأبيض المتوسط شمالا الى جنوبى السودان •

يقول ابن عابدين : « اياك أن تتوهم أن فرضيته تسقط عن أهل الهند بقيام أهل الروم به مثلا ، بل يفرض على الأقرب فالأقرب من العدو ، الى أن تنقح الكفاية ، فلو لم تنقح الا بكل الناس فهو فرض عين كالصلاة والحجوم •

ولهذا لا ينبغي للامام أن يخلى ثغرا من الثغور من جماعة من المسلمين فيهم غناء وكفاية لقتال العدو •

فان قاموا به سقط عن الباقيين ، وان ضعف أهل ثغر عن مقاومة الأعداء ، وخيف عليهم منهم ، فعلى من وراءهم من المسلمين الأقرب فالأقرب أن ينفروا اليهم ، وأن يمدوهم بالسلاح والمال ، لأن الجهاد فرض على المسلمين جميعا ، ولكنه يسقط عن بعضهم لأن بعضهم الآخر قام به « (١) •

الجهاد اليوم فرض عين •

فرض عين على الدول الاسلامية •

وفرض عين على الجيوش الاسلامية •

وفرض عين على كل فرد يستطيع أن يساهم فيه بجهد يساعد على النصر ، ويمحو وحمة الهزيمة ، ويرد الحقوق الى ذويها ، ويمسكون الاسلام ومقدساته ، ويعلى كلمة الله ، سواء أكان الذى ينهض به نائيا عن فلسطين أم دانيا من نواحيها •

(١) حاشية ابن عابدين ٢٤٠/٣ •



# فلسطين واليهود

الدكتور أحمد سليمى

من الاقوال الذائعة أن بيت المقدس مدينة مقدسة لدى اليهود والمسيحيين والمسلمين وقد أوشك هذا رأى أن يسود وأن يصل الى مكانة الحقائق المسلم بها ، ويعتقد أن الصهيونية هى التى دفعت بهذا الرأى الى الفكر العالمى وجعلت اليهود يوضعون على قدم المساواة مع المسيحيين والمسلمين بالنسبة لبيت المقدس ، وقد كشفت بروتوكولات حكماء صهيون عن هذه الخدعة حينما قررت أن هدف الصهيونية هو السيطرة على العالم أجمع ، وأن السيطرة على فلسطين تعتبر مرحلة أولى فى هذا الشأن وأن الادعاء بالارتباط الروحى ببيت المقدس سيساعد على السير نحو هذه الغاية .

وسنرى من الدراسة العلية التى نقدمها مدى بطلان هذا الادعاء ، ونشاهد الجذور العميقة للعرب والمسيحيين والاسلام فى فلسطين وبيت المقدس . ونذكر أن العلاقة بين اليهود وبين القدس ليس الا خيطا ضئيلا جعل منه اليهود دعوى عريضة ، ويقرر التاريخ أن بيت المقدس مدينة قديمة يرجع تاريخ تأسيسها الى القرن الخامس عشر ق.م ، أى قبل أن تطل أرجل اليهود هذه البلاد بمدة طويلة ، وكانت عاصمة فاسطين لمدة قرون ، استولى عليها داود من البابليين فى القرن العاشر ق.م وبني عليها سليمان هيكله بعد ذلك ، وهذا الهيكل هو الذى يتخذ اليهود ذريعة لدعواهم .

وقد وقعت ببيت المقدس أحداث عظام بسبب موقع فلسطين بين العراق ومصر ، ثم بسبب انشقاق المملكة اليهودية الى قسمين ، وفى هذا الصراع دمر نبوخذ نصر ملك بابل مدينة القدس ، كما دمر المعبد ، وكان ذلك سنة ٥٨٦ ق.م .

وأعيد بناؤها بعد ذلك بواسطة عزرا ونحميا بعد عودتهما من سبى بابل وفى سنة ٢٠ ق.م بنى هيودوس هيكلًا جديدًا ظل حتى جلس به المسيح

يعلم ويرشد قومه ، وهناك على جبل الجلجلة يعتقد المسيحيون أن عيسى صلب ، ثم دفن وقام وهم لذلك يقدسون هذا المكان المسمى كنيسة القيامة أو كنيسة القبر المقدس •

وفي سنة ٧٠ م دمر الامبراطور تيطس الرومانى المدينة والهيكل ، وكل الآثار اليهودية والمسيحية تدميرا تاما ••

وفي سنة ١٣٥ م فى عهد الامبراطور الرومانى أدريانوس جعلها هذا الامبراطور مزارا وثنيا وأقام بها تمثالا للاله جوبيتر ••

وفى أوائل القرن الرابع الميلادى دخل الامبراطور قسطنطين المسيحية هو وأمه القديسة هيلانة ، فأعادا بناء الامكنة المقدسة المسيحية بها ، ودمر المسيحيون الهيكل الوثنى ••

ثم بنيت بها على مر العصور مجموعة كبيرة من الكنائس والاديرة التى تتبع مختلف الطوائف المسيحية ، وتعد القدس لذلك المدينة المقدسة الأولى لدى المسيحيين ••

وقبل الهجرة بعام تمت هذه المناسبة العظيمة وهى « الاسراء والمعراج » فأسرى برسولنا محمد صلوات الله عليه وسلامه من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى من الحرم الى بيت المقدس ، وبعد ذلك بعام هاجر الرسول الى المدينة واختار الله للمسلمين بيت المقدس ليتجهوا له فى صلاتهم ، فكان بذلك أولى القبلتين مدة سبعة عشر شهرا وأصبح بيت المقدس بذلك حرما مقدسا عند المسلمين يأتى فى المكانة بعد حرم مكة وحرم المدينة ، وقد بنى المسلمون المسجد الاقصى ببيت المقدس ، كما انتشرت بفلسطين المساجد التى يطلق على كثير منها « مساجد عمر » ، وعلى هذا يعد بيت المقدس مكانا مقدسا لدى اليهود والمسيحيين والمسلمين ••

ويقرر المؤرخ Charles Foster Kent (١) أن العرب كانوا أسبق الشعوب التى عاشت بفلسطين فقد بدأت هجرات العرب من قلب الجزيرة العربية فى الألف الثالث قبل الميلاد ، وكان الفينيقيون أسبق هذه الجماعات وقد وجدوا على شاطئ البحر الابيض المتوسط مستقرا فأقاموا به ، وكان

A history of the hebrew people p. 29

(١)

مقرهم شريطا ساحليا ضيقا يحده البحر من الغرب وتعزله السلاسل الجبلية بالشرق عن باقى المنطقة ، ومن هنا اتجه هؤلاء الى البحر فركبوه واتصلوا عن طريقه بدول كثيرة عن طريق التجارة وسرعان ما أصبح هؤلاء جنسا شهيرا فى سيادته التجارية عبر البحار ، ثم امتد نشاطهم فاصبحوا حملة الحضارة بين دول العالم القديم •

والى الجنوب من الفينيقيين نزلت قبائل عربية أخرى أشهرها قبائل الكنعانيين حوالى ٢٥٠٠ ق م واستقرت على ضفة الاردن الغربية مناسبة نحو البحر الابيض المتوسط وسميت هذه المنطقة باسمهم فاصبحت تدعى «ارض كنعان» ، وهو الاسم الذى يكثر وروده فى التوراة • وحوالى سنة ١٢٠٠ ق م نزلت بالساحل المطل على البحر الابيض جماعات من جزيرة كريت « اقريطش » وكانت هذه الجماعات أو القبائل تسمى قبائل فلسطين ، وقد نزلت بين يافا وغزة ، واختلط الكنعانيون بالقبائل الوافدة من كريت ، وتم بين هؤلاء وأوائك مزيج غلب عليه الدم العربى واللغة السامية من جانب والاسم الوافد من كريت من جانب آخر ، فاصبحت هذه البلاد تعرف بفلسطين (١) ••

وفى الشمال الشرقى لنهر الاردن كانت تعيش قبائل الآراميين الوافدة من حوض الفرات بعد أن ازدحمت سهول دجلة والفرات بالوافدين من الجزيرة العربية خلال العصور المتتالية • وهذه القبائل هى المعروفة فى الكتب المقدسة بالسوريين ، وكانت دمشق عاصمتها ، وكانت هذه القبائل تعمل فى الزراعة • ولكن موقعها دفعها للعمل فى التجارة البرية ، فاذا كان الفينيقيون قد اشتهروا بركوب البحر متاجرين • فان السوريين ركبوا البر منافسين لهم فى النشاط التجارى، والآراميون كانوا قرييين جدا من الكنعانيين فى لغتهم وديانتهم وعنصرهم ••

والى الشرق من نهر الاردن ثم الى جنوب البحر الميت تقع الممالك الثلاثة عمون ومؤاب وادوم • وسكانها ينحدرون كالأراميين من سهل الفرات وتربطهم بهم روابط نسب كما أن روابط جمّة تشمل اللغة والعادات والافكار

(١) غوستاف لوبون : اليهود فى تاريخ الحضارات الاولى ص ٢٦ •

الدينية كانت تربط هذه الممالك بعضها ببعض وكانت لغتها لهجة من الكنعانية. وهذه الجماعات العربية عاشت سيّدة في أرضها عدة قرون ، ولكنها تعرضت لصور من الغزو بسبب أهمية موقعها وارتباط هذا الموقع بالبحر الأبيض والبحر الأحمر ، وكان من الغزاة الذين جاءوا لها اليهود والفرس والرومان . ولما جاء الإسلام هب المسلمون العرب ليحرروا العرب في فلسطين من غزوات الأجانب ، وكان السلطان على فلسطين آنذاك في يد الرومان ففتح المسلمون فلسطين سنة ٦٣٦ م وتحرر سكانها العرب الذين يقرر التاريخ أنهم ساعدوا الفاتحين المسلمين ضد المستعمرين الرومان ، ووقفوا موقفا إيجابيا لصالح أبناء عمومته العرب في المعارك الدائرة في بلادهم ، وكان بيت المقدس عند دخول المسلمين به خاليا تماما من اليهود ، وقد عقد عمر بن الخطاب معاهدة تسلم بها بيت المقدس مع البطريرك مسفرنيوس ، ونص في هذه المعاهدة على أهم الشروط التي يتمسك بها النصارى وهي ألا يسكن المدينة المقدسة أحد من اليهود <sup>(١)</sup> وأصبحت فلسطين بذلك عربية إسلامية .

#### الحروب الصليبية ودور اليهود فيها :

جاءت الحروب الصليبية ، وفي الجولة الأولى منها استطاع الصليبيون أن يستولوا على بيت المقدس وعلى شريط ساحلي ضيق ، ويتضح من دراسة هذه الحروب أن اليهود كانوا من وراء الصليبيين وكانوا من الأسباب الخفية التي دفعت بالصليبيين لغزو البلاد المقدسة ، فقد رأى اليهود أنهم عجزوا عن العودة للبلاد المقدسة بأنفسهم فحاولوا العودة خلف المسيحيين ، وقد اتخذ اليهود المال وسيلة لهم ، فآخفوا مشاعرهم الدينية والوطنية خلف المال . إذ كانوا يمثلون أغنى مراكز التجارة على الساحل الشمالي للبحر الأبيض المتوسط ، فساعدوا الصليبيين ليقوموا بهذه المغامرة باسم الصليب لفتح الطريق التجاري إلى الشرق عبر فلسطين ولكن الأسعار اليهودي كان في الحقيقة أقوى من الصليب وأقوى من المال ، وعلى كل حال فإن صلاح الدين الأيوبي سرعان ما استعاد بيت المقدس بعد موقعة حطين سنة ١١٨٧ م . وتساقطت البلدان الأخرى في يده وأيدى من جاءوا

(١) تاريخ الطبري ج ٤ ص ١٥٩ .

بعده (١) وبقيت فلسطين عربية اسلامية حتى قيام دولة اسرائيل ..

ومن الواضح أن الحروب الصليبية كانت حروبا استعمارية وان اتخذت الصليب شعارا لها وأوضح دليل على ذلك عدوان الصليبيين على مسيحيي الشرق ، وقد جاء الصليبيون ليحاربوا أهل سوريا ومصر ، ولكن سرعان ما وجدوا أنفسهم أمام مقاومة اسلامية شاملة أسهمت فيها كل الأقطار الاسلامية بالرجال والعتاد ، ويروى التاريخ أنه بمجرد دخول الصليبيين الارض المقدسة هب العلماء يطلبون تدخل الخلافة العباسية لانقاذ هذه الأرض المقدسة ، وعلى الرغم من الصراع الذي كان قائما آنذاك بين الفاطميين والعباسيين حول هذه الارض فان الخلافة العباسية تناسلت هذه الخلافات واشتركت في النضال لتحرير فلسطين ، وكلفت امير الموصل بأن يقود حركة الصراع ضد الغزاة الاجانب ، ولم يقتصر العون على العباسيين بل ان وفود المسلمين جاءت من الهند ومن الشرق الأقصى ومن المغرب ودول الشمال الافريقي وفوجيء الصليبيون بأنهم في حرب لا ضد مصر وسوريا فقط بل ضد العالم الاسلامي كله ، وكان ذلك مما فت في عضدهم وقضى عليهم ..

ولنتحرك الى نقطة أخرى عن فلسطين لندرسها من الوجهة العلمية التاريخية فهناك دعوى يروجها اليهود بأن لهم حقا تاريخيا في هذه البلاد ، فهل هذا صحيح ؟ ..

والاجابة تكون بابرار حقائق لا تحتل التأويل وهي :

أولا : دخل بنو اسرائيل بقيادة يوشع أرض فلسطين غزاة من الخارج دون أن يكون لهم بها جذور أو تاريخ ، واستعملوا القوة والوحشية ليحصلوا على الانتصار على السكان الأصليين ..

ثانيا — لم يستطع اليهود أن يمدوا سلطانهم الى كل فلسطين ووقفوا عند منطقة التلال الداخلية ، اما منطقة الساحل فقد ظلت في أيدي السكان الأصليين ومساحة فلسطين ضئيلة في حد ذاتها ( ٢٧٠٠٠ كم ) وهي أقل

(١) دكتور أحمد شلبي : الحروب الصليبية : دوافعها : أهدافها : نتائجها .

من ثلث مساحة سيناء ولم يكن لليهود في فلسطين أكثر من نصفها وهو مقدار ضئيل للغاية ..

ثالثا — لم يعرف بنو اسرائيل بفلسطين حياة الاستقرار على الاطلاق ، وذلك السكان الأصليون يناضلون ضدهم حتى أخرجوهم .  
رابعا — كانت مدة بنى اسرائيل بفلسطين قصيرة جدا بالنسبة لعمر الدول وهى فترة استعمارية كالفترة التى قضتها هولندا باندونيسيا وبريطانيا بالهند ، والعجيب أن هناك تشابها من نوع آخر فقد اطلقت هولندا على اندونيسيا اسم جزر الهند الهولندية اشارة الى التملك الذى تدعى اسرائيل مثله بفلسطين ، ولكن الصراع الوطنى اعاد الحق الى نصابه ..  
خامسا : أحس المجاورون لفلسطين من الشمال ومن الجنوب بالعنصر الغريب الذى دخل المنطقة ، فاشتراك هؤلاء المجاورون فى الصراع حتى قضى على هذا العنصر الغريب ..

ويقول Weech <sup>(١)</sup> واصفا حياة اليهود فى فلسطين ان اليهود لم يكن لهم منفذ يذكر على البحر ، فالموانئ الشمالية كانت تحت سلطان الفينيقيين وموانئ الجنوب كانت تابعة للفلسطينيين ، ومن ناحية الزمن فان اليهود لم تكن لهم قوة الا خلال نصف قرن فقط ، وحتى فى تلك الاثناء كانوا محاطين بممالك أكثر قوة وأرقى مدنية وحضارة ..

ويقول Wells <sup>(٢)</sup> معلقا على عهد بنى اسرائيل بفلسطين : لقد كانت حياة اليهود بفلسطين وبخاصة خلال القرون الثلاثة الأخيرة ، اشبه بحياة رجل اصر على الوقوف وسط ميدان صاحب فكان مصيره أن دهمته السيارات ، وهكذا انتهت القرون التى عاشتها الملكية العبرانية ، وكانت من بدايتها الى نهايتها مجرد حديث صغير على هامش احداث تاريخ مصر وسوريا وآشور وفينيقيا ..

### الاستعمار والصهيونية :

انقسمت مملكة اسرائيل قصيرة العمر بعد وفاة سليمان الى مملكتين . جنوبية وعاصمتها اورشليم واسمها مملكة يهوذا ،

E. H. weech civilization of the near east. p. 82. (١)

The outline of History p. 288 (٢)

وشمالية وعاصمتها شكيم واسمها اسرائيل ، ودار صراع عنيف اشتركت فيه بابل وآشور من الشمال ومصر من الجنوب كما قام صراع داخلي بين الدولتين ، ولذلك سرعان ما سقطت الدولتان اليهوديتان وكان سقوط مملكة اسرائيل سنة ٧٢١ ق.م وسقوط مملكة يهوذا سنة ٥٨٦ ق.م وطرد اليهود من فلسطين ولم يبق من اليهود الا قلة ضئيلة ، ولكن كانت سنة ١٣٥ م نهاية حياة اليهود بفلسطين اذ أدركوا الا مقام لهم بهذه البلاد فساحوا في الارض هنا وهناك وبدأ لهم عصر تشرذ طويل وعاش اليهود بين الامم تلاحقهم العزلة التي كانت ابرز خصائصهم ، كما كانوا لاولاء لهم للأوطان التي نزلوا بها اذ تركز ولاؤهم لصالحهم لا للوطن الذي يعيشون به ، وكانوا في الوقت نفسه يحقدون على كل من له وطن اذ كانوا لا وطن لهم ولهذا قاموا بالوان من الخيانات والمؤامرات ضد الاوطان التي نزلوا بها ولاقت ألمانيا وتشيكوسلوفاكيا منهم شر ما يلاقى بلد من النزلاء به ، ومن خياناتهم بهما كما جاء في الوثائق الرسمية استنزاف أموال الشعب بالربا الفاضح ، وفساد التعليم ، والسيطرة لصالحهم على المصارف والبورصة والشركات والتجارة ، والسيطرة على دور النشر ، والتدخل في سياسة الدولة لغير مصلحة الدولة ، وفي القمة من خيانتهم التجسس الذي احترفه عدد كبير منهم ، وماذا كانت نتيجة هذه الخيانات ؟

كانت النتيجة أن انزل بهم العالم في المانيا وغيرها ضربات رادعة وعقوبات صارمة شملت التتكيل والطرء والسجن ومصادرة الاموال ويقرر Hosmer (١) أن كل الامم المسيحية اشتركت في اضطهاد اليهود وانزال مختلف العنت بهم ، وكانت القسوة مع اليهود تعد مأثرة يمتدح المسيحيون بعضهم بعضا عليها ، ولكن ذلك ضاعف حقدهم ، فارتفعت أصواتهم بالشكوى مما سموه ظلما واضطهادا ولم يكن ذلك في الواقع الا نتيجة لانحرافهم وخياناتهم ..

وتكررت هذه الدورة في كل مكان عاش به اليهود ، فقد ومؤامرات وخيانات من اليهود فانتقام منهم وتأديب لهم ، فصراخ وشكوى وأنين ، وقد نجح صراخ اليهود في أن يبرز للعالم ما نزل بهم من ضيم ، وربما

استطاعوا أن يصوروا انفسهم في صورة المظلوم المعتدى عليه .. وان يستندروا بذلك احيانا عطف الناس الذين خدعهم الانين .

وفي الوقت الذي لاقى فيه اليهود الوان العنت من البلاد المسيحية كما يقول hosmer كان اليهود المقيمون بالبلاد الاسلامية ينعمون بماكفله الاسلام لغير المسلمين من حقوق . فلم يلاقوا بالعالم الاسلامي أى اضهاد ، بل عاشوا في امن ودعة ، ونالوا مراكز اجتماعية مرموقة ، وشغلوا وظائف كبرى وصلت مناصب الوزارة عدة مرات ، وتجمع لديهم الثراء والترف ، والعجيب أن تحل مأساتهم ان كانت لهم مأساة على حساب من اكرمهم ..

ونعود الى الحديث عما لاقاه اليهود من عنت باوربا لنقرر أن بعضهم كان يتمنى أن يكون لهم وطن يحميهم من عدوان اصحاب الاوطان ، ولكن البعض الآخر منهم انصرف عن التفكير في وطن خاص لهم ، اذ اتيح لهؤلاء ثراء عريض بسبب تعاونهم مع بعضهم البعض وانتهازهم الفرص وبراعتهم في الشؤون الاقتصادية والتخلص من الضرائب حتى سماهم René Sedillot<sup>(١)</sup> ملوك المال وسادة البنوك في العالم ، الذين لم يخضعوا قط للقانون في شئون الربا وشئون التجارة ..

وبينما هم في هذا التردد اذ ظهر الاستعمار فرجح كفة الفائلين بالعودة الى فلسطين بعد أن وعدهم الاستعمار بالمال والسلاح والتأييد ، وقصة ذلك انه في سنة ١٩٠٧ تولى « كامبل بيزمان » ، رئاسة الوزارة البريطانية وقد قام رئيس الوزارة بتشكيل لجنة من بعض علماء التاريخ ورجال القانون والسياسة ، ليس من بريطانيا وحدها وانما من عدة دول أخرى ووجه « بيزمان » خطابا الى تلك اللجنة حدد فيها مهمتها وجاء فيه :

« ان الامبراطوريات تتكون وتتسع وتقوى ، ثم تستقر الى حد ما ، ثم تنحل رويدا رويدا . وتزول ، والتاريخ ملئ بمثل هذه الأمثلة ، وهى لا تتغير بالنسبة لكل نهضة ، ولكل امة ، فهناك امبراطوريات روما واثينا والهند والصين ، وقبلها بابل وآشور والفراعنة وغيرها . فهل يمكن الحصول على اسباب أو وسائل تحول دون سقوط الاستعمار الاوربي وانهياره أو تؤخر

The History of The world p. 175.

(١)



مصيره المظلم بعد أن بلغ الآن الذروة ، وبعد أن أصبحت أوروبا قارة قديمة استنفدت مواردها ، وشاخت معاملها ، بينما العالم الآخر لا يزال في شبابه يتطلع الى مزيد من العلم والتنظيم والرفاهية » ••

وقد ظل هؤلاء العلماء يبحثون ويتدارسون طيلة سبعة شهور ، ثم قدموا نتيجة أبحاثهم في هيئة تقرير سرى خاص الى وزارة الخارجية البريطانية التي رأت تحويله — لأهميته — الى وزارة المستعمرات وفيما يلي مقتطفات منه (١) :

« ان الخطر ضد الاستعمار في آسيا وأفريقيا ضئيل ، ولكن الخطر الضخم يكمن في البحر المتوسط ، وهذا البحر همزة الوصل بين الغرب والشرق •• وحوضه مهد الأديان والحضارات ، ويعيش في شواطئه الجنوبية والشرقية بوجه خاص شعب واحد تتوافر له وحدة التاريخ والدين واللسان ، وكل مقومات التجمع والترابط • هذا فضلا عن نزعاته الثورية وثرواته الطبيعية ••

فماذا تكون النتيجة لو نقلت هذه المنطقة الوسائل الحديثة وامكانيات الثورة الصناعية الأوروبية ، وانتشر التعليم بها ، وارتقت الثقافة •• ؟ اذا حدث ما سلف فستحل الضربة القاضية حتما بالاستعمار الغربى وبناء على ذلك فانه يمكن معالجة الموقف على النحو التالى :

- ١ — على الدول ذات المصالح المشتركة أن تعمل على استمرار تجزؤ هذه المنطقة وتأخرها ، وابقاء شعبها على ما هو عليه من تفكك وتأخر وجهل ••
  - ٢ — ضرورة العمل على فصل الجزء الأفريقى في هذه المنطقة عن الجزء الآسيوى وتقتصر اللجنة لذلك اقامة حاجز بشرى قوى ، وغريب يحتل الجسر البرى الذى يربط آسيا وأفريقيا ، وبحيث يشكل في هذه المنطقة وعلى مقربة من قناة السويس قوة صديقة للاستعمار ، عدوة لسكان المنطقة ••
- وبدأ خبراء السياسة الغربيون ومعهم خبراء علم النفس وعلم الاجتماع يبحثون عن الوسيلة لذلك وسرعان ما اهتدى هؤلاء الخبراء الى استغلال

(١) دكتور احمد شلبى : كتاب اليهودية من سلسلة مقارنة الأديان ص ٨٣ — ٨٦

الدين لتحقيق هذا الغرض ، ولعل المسيحية خطرت على بالهم ففي فلسطين ولد المسيح وتربى ودعا قومه ، وبيت المقدس مزار المسيحيين منذ ذلك العهد ، ولكن هذه الفكرة لم تكن طويلة العمر اذ رثى أن الاخذ بها سيكون عودة الى الحروب الصليبية ، وسيحمل في طياته أسباب الفشل ، واتجهت الانظار الى اليهود ، وفلسطين بالنسبة لهم مكان مقدس أيضا ، ثم هم يعانون الوانا من الاضطهادات والتعذيب والتشرد ، وهم باحثون عن المال ، والشرق الاوسط فيه غنى ، وفيه تخلف صناعى مما يهئ سوقا رابحة لأية دولة صناعية تجارية تقوم به ، ولليهود بفلسطين الصلة التاريخية التى ألمنا بها ، والتى انقضت منذ عشرين أو خمسة وعشرين قرنا ولكن الخبراء اتخذوهم وسيلتهم على كل حال ، على أن يغلفوا اتجاههم باسم الانسانية والرحمة لهؤلاء المعذبين المشردين ، ويصرح الفردمونت في كتابه « الجار » بقوله :

« اننى اتطلع بلهفة الى ذلك اليوم الذى تصبح فيه فلسطين وشرق الاردن وحدة ضمن الامبراطورية البريطانية وتشغل مركزا مهما في جسم تلك الامبراطورية ، وتدافع عن هذه الوحدة عدة ملايين من اليهود الذين تربطنا بهم رابطة الود والاخلاص والمدنية ♦♦

وصدر وعد بلفور تبعا لذلك ويقرر وايزمان زعيم اليهود أنه هو الذى كتب نص هذا الوعد بيده ، وأسند الانتداب على فلسطين بعد الحرب العالمية الاولى الى بريطانيا لتنفيذ هذا الوعد ، وعقب الانتداب اختارت بريطانيا السير / هيربرت صموئيل اليهودى ليكون أول مندوب سام لها في فلسطين ليستخدم أبناء دينه ، وتكاتف كل القوى الاستعمارية على تحقيق هذه الغاية ♦♦

### أيها المسلمون من كل قطر وفي كل بلد وفي كل مكان :

ان العالم الاسلامى فى نظر الاسلام عالم واحد ، والأمة الاسلامية أمة واحدة قال تعالى : « ان هذه امتكم امة واحدة » ( الأنبياء ٩٢ ) ، ولا يجوز أن ينزل بقوم من المسلمين الضيم والعدوان ، ويهناً آخرون براحة البال ونعيم الحياة ، وكيف يطيب لمسلم أن يهناً يعيش وهناك اخوته المسلمون

يعانون من كل أنواع الماراة والقسوة من اليهود الذين يعيثون بالكرامات  
والاعراض والقيم ..

#### أيها المسلم :

لقد صرخ اليهود للعالم ضد ما أنزله بهم النازيون من بلاء،  
ولكن اليهود ينزلون بالمسلمين أضعاف ما أنزله النازيون بهم دون سبب أو  
جريرة ، واليهود يعدون دفاع المسلمين عن أرضهم رذيلة ينتقمون لها شر  
انتقام ..

#### أيها المسلم :

ان عدوان الصهاينة والاستعمار على بلد اسلامي سيمتد من بلد الى آخر،  
فهدف الصهاينة والاستعمار القضاء على الاسلام واضعاف جانبه ، واننا  
نصرخ في المسلمين — لنذكرهم بما قاله الحكيم العربي معبرا عن شخص لم  
يعاون صديقا له ضد عدوهما فانتصر العدو على احد الصديقين ، ثم انقلب  
على الثاني وانقض عليه وهزمه بسهولة قال هذا الحكيم : « انما أكلت يوم أكل  
الثور الأبيض » فهو يعنى بهذا أن هزيمته تقرر يوم توانى عن مساعدة  
صديقه ويوم تركه وحده في الميدان ثم جاء دوره وقد هاض جناحه وضعف،  
بعد ما انهار ركن من الأركان التى كان يمكن أن يعتمد عليها فلنتذكر هذا  
ولنقاوم معا الشر قبل أن يستفحل وقبل أن ينقض على العالم الاسلامي  
بلدا اثر بلد ..

#### أيها المسلم :

ان جميع فقهاء المسلمين يقررون وجوب الجهاد على المسلمين جميعا اذا  
نزل العدو محلة اسلامية وعجز أصحابها عن مقاومته وأن هذا الواجب  
يشمل الرجل والمرأة والسيد والخادم ، وقد ضرب اسلافنا خير المثل حينما  
اشترك كل المسلمين في مقاومة الصليبيين فليسر جيلنا على نمط اسلافه حتى  
يتم النصر للاسلام .

#### أيها المسلمون :

ان الواجب بيناديكم .. والاسلام يهيب بكم أن تنتقدوا الأرض المقدسة  
وأولى القبلتين من أعداء الله .. والأمل كبير انكم ستفعلون ، ولنكن مع الله  
يكن الله معنا « ان تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم » ..



# تاريخ مدينة القدس

الأستاذ محمود كمال

الواقع أن تاريخ مدينة القدس هو تاريخ فلسطين نفسها واذن فلا مناص من استقراء هذا التاريخ ، في مناسبة هذا البحث ، ولو في أضيق الحدود ، ولكن بالقدر الذى يسمح بالالمام به الماما كافيا لامكان استيعابه ، وتتبع تطوراته منذ القدم •

والتاريخ يروى أن قبائل عربية نزحت من شبه الجزيرة العربية فيما بين سنتى ٤٠٠٠ و ١٥٠٠ قبل الميلاد ، متجهة شمالا الى سوريا القديمة ، والى العراق •

ولقد كانت سوريا القديمة تشمل المناطق التى تعمها الآن سوريا الحديثة والاردن وفلسطين •

ومن القبائل المشار اليها ، التى نزحت الى تلك البقاع فى تلك الازمان السحيقة : قبائل العموريين ، والفينيقيين ، والاراميين ، والكنعانيين •

واستوطنت كل قبيلة من هذه القبائل منطقة أو مناطق معينة فى تلك البلاد ، وأسست دولا لها ماض احتل مكانا فى بطون التاريخ القديم •

وتتركز عنايتنا ، فى مجال هذا البحث ، على اليبوسيين دون غيرهم من القبائل الأخرى ، اذ أنهم هم الذين استوطنوا أواسط فلسطين ، وأسسوا لأنفسهم مملكة فيها ، وسميت الأرض التى استوطنوها باسم أرض «كنعان» نسبة الى قبائل الكنعانيين — واليبوسيون قبيلة كنعانية •

وفى حوالى سنة ١٢١٣ قبل الميلاد ، على الراجح بين الأقوال ، خرج يهود مصر بزعامة موسى وهارون ، عليهما السلام ، هاربين من فرعون متجهين الى صحراء سيناء ، وتعقبهم فرعون بغية أن يردهم الى بلاده ، لأنه خشى أن هم أفلتوا منه أن يتفقوا مع الآشوريين أعدائه فى الشمال •

ولكن فرعون لم يدركهم ، الا عند بحر « سوف » (١) الذى شاء الله له أن ينفلق أمامهم فعبروه ، والذى أطبق ، فى ذات الوقت ، على فرعون وجنوده فكانوا من المغرقين •

وبحر « سوف » هو خليج السويس ، كما يقول مؤرخون • وقضى اليهود فى التيه بصحراء سيناء سنوات متطاولة قدرها الله سبحانه وتعالى ، عليهم ، ثم دخلوا فلسطين من الأردن ، وعبروا النهر المسمى بهذا الاسم ، الى أرض كنعان ، واستولوا فى مسيرتهم على مدينة (أريحا) • ثم أخذوا يغيرون على بلاد اللبوسيين فاستعان هؤلاء بتحوتمس الأول — فرعون مصر — سنة ١٥٥٠ ق م فأتى اليهم ونصرهم كما تثبت ذلك ألواح تل العمارنة •

وخضعت «يبوس» للفراعنة ، وفرضوا على أهلها الجزية ، ثم ظلت المدينة فى حوزتهم الى أن تمرد اللبوسيون عليهم ، وامتنعوا عن دفع الجزية ، واستغل اليهود الموقف ، فأغاروا على البلاد واستولوا على « ييوس » سنة ١٠٤٩ ق م فى عهد داود • ولما كانت هذه البلاد ملكا للكنعانيين فان فترة اقامة اليهود فيها كانت فترة مضطربة لم ينعموا خلالها بالاستقرار ثم غزاها الاشوريون وسيطروا عليها ثم غزاها بعدهم البابليون ونهبوها واستولوا على كل ما عثروا عليه فيها ، ودمروا الهيكل ونهبوا ما فيه من ذخائر وكنوز ، وأمر « نبوخذ نصر » فهدمت المدينة وجعل عاليها سافلها ، ونفى أهلها الى بابل ، وهكذا انقرضت مملكة يهوذا ، ولم تقم لها ، بعد ذلك ، قائمة ، « ولم يتمكن اليهود من استعادة كيانهم السياسى ، بل لقد راحوا يعيشون •• كطائفة دينية يرأسها كاهن » •

— وفى سنة ٥٣٦ غزا « قورش » ملك الفرس المدينة — أورشليم — ولكنه أمر فأعيد بناؤها ، وجدد هيكلها ، وأعيد اليه ما كان قد نهب منه من ذخائر وكنوز •

ثم غزا « الاسكندر الأكبر » اليونانى المدينة سنة ٣٣٢ ق م ، وكانت تسمى « يوروشاليم » و « هيروسليما » •

(١) فلسطين والضمير الانسانى — محمد على علوبه باشا •

ولما مات « الاسكندر الأكبر » اقتسم قواده مملكته ، فكانت المدينة من نصيب « البطالسة » ، ثم انتقلت الى « السلوقيين » أيام « أنطيوخس استيفانس » سنة ١٦٨ ق م . وقد هدم هذا الملك أسوارها ، ودق حصونها ، ونهب هيكلها ، ونصب فوقه تماثيل ، وقتل ثمانين ألفا من اليهود .

ومن بعد هؤلاء جاء « المكابيون » وفي عهدهم أقيمت القلعة الواقعة في الزاوية الشمالية الغربية من منطقة الهيكل .

وقد حدث نزاع ، واشتد ، بين أخوين من ملوك « المكابيين » واستجد احدهما « بروما » فجاءه الامبراطور « بومبيوس » واستولى على المدينة سنة ٦٣ ق م ، وكانت تسمى ، وقتئذ « هيروسليما » أو « هيروساليم » .

وقد قتل هذا الامبراطور كثيرا من سكانها واستباح حمى هيكل سليمان . ولما جاء الامبراطور « يوليوس قيصر » أمر بترميم الهيكل ، وبناء قلعة ، فبنيت عند باب الخليل ، وشيد الحصن المعروف باسم « أنطونيا » . وأجرى الماء في القناة الكائنة بين برك سليمان وهيروساليم ، وكان ذلك سنة ٣٠ ق م .

ثم حكم المدينة « أرشيلالوس » وكانت المدينة في عهده « في حالة غير مرضية : شوارعها ضيقة ، وطرقها مرصوفة رصفا رديئا ، وموارد المياه فيها رديئة ، وعدد سكانها نحو ٥٠٠٠٠ » .

ولما جاء الامبراطور « طيطوس بن نيرون » هدمت المدينة في عهده سنة ٧٠ ميلادية ، وأحرق الهيكل ، وطرد اليهود منها ، وكانت تسمى ، وقتئذ ، باسم « سوليموس » .

وجاء الامبراطور « أدرينانوس » فجعل المدينة مستعمرة رومانية وسماها « ايلياء » ، ومنع اليهود من سكانها ، وجعل المسيحية هي الديانة الرسمية ، وبنى فيها « كنيسة القيامة » سنة ١٣٨ م ، وكان يسكنها كثير من اليونانيين ، وقد قاموا ببناء برج على الهيكل ، ووضعوا فوقه لوحة كبيرة كتبوا عليها اسم « ايلياء » — وقد عين هذا الامبراطور على المدينة حاكما أمر بتدميرها ،

وانشاء مدينة أخرى في مكانها سماها « ايليا كابيتوليا » ، ونكل باليهود تنكيلا ، وقتلهم تقتيلا ، واضطهد المسيحيين أيضا •

ولما جاء الامبراطور « جوليان » ، وانقسمت الامبراطورية الرومانية في عهده الى شرقية وغربية صارت المدينة تابعة للمملكة الغربية •  
وجاء الامبراطور « جوستنيان » وبنى في المدينة عددا من الكنائس ، منها « كنيسة العذراء » •

واستمر حكم الرومان قائما الى أن فتح العرب فلسطين سنة — ١٥ هـ — ٦٣٦ م ، وكان العرب يسمون المدينة ، ومازالوا يسمونها ، باسم « القدس » و « بيت المقدس » •

### المدينة تحت الحكم العربى :

— عندما دخل العرب فلسطين حاصروا مدينة « ايلياء » كما كانت تسمى ، في ذلك الحين ، واستمر الحصار شهورا ، ثم اضطرت المدينة الى التسليم ، ولكن البطريك ، « صفرونيوس » اشترط حضور الخليفة عمر بن الخطاب ، رضى الله عنه ، بنفسه ليتسلمها منه •

وجاء الخليفة استجابة لهذا الشرط ، وتسلم المدينة ، وكتب للبطريك عهدا معروفا ومشهورا في التاريخ ، وبموجبه أطلقت لسكانها الحرية كاملة في مزاوله دياناتهم ، والتصرف في أموالهم ، وأمنوا على أنفسهم ، وعلى كنائسهم ، وصلبانهم ، وفرضت عليهم ، في نظير قيام العرب بهذه التكاليف التى تضمنها العهد المذكور ، جزية يؤدونها ، مثلهم مثل سكان المداين الأخرى بفلسطين •

وامتدحك العرب لهذه البلاد ، وبالتالى للمدينة نفسها ثلاثة عشر قرنا متواصلة ( عدا فترة حكم الصليبيين ) لم تتعرض خلالها لسوء ، فلم تهدم ، ولم تنهب ، ولم تقلب رأسا على عقب ، ولم تحب مقدساتها بضرر ، سواء ما كان منها من مقدسات النصارى واليهود ، بل لقد أحسن العرب الى سكان المدينة ، جميعا ، فى المعاملة دون تمييز بينهم ، حتى لقد أحسوا بطلمانية وأمن واستقرار فى ظل الحكم العربى ، فلا اضطهاد ولا تنكيل ولا تقتيل •



ولقد صارت المدينة عربية لغة ، وحضارة ، ومشاعر « فالحضارة التي عرفتها المدينة ترجع الى الحكم العربى دون سواء » (١) .

ولقد أمر عمر ، رضوان الله عليه ، بتنظيم المدينة اداريا وقضائيا ، ثم دون الدواوين ، وقسم البلاد الى مناطق لكل منطقة « أمير » ، ورتب البريد لى يؤمن الاتصال بين هذه المناطق بعضها وبعض ، وأقام نظام الحسبة الذى يتلخص فى « الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر » وراقب الأسواق والمكاييل والموازين ، ومنع الغش فى المعاملات ، وأجرى غير هذا وذاك من أعمال مما ليس هنا محل بيانه وتفصيله .

— ولقد كان لمدينة القدس ، قديما ، سور كان يهدمه الغزاة أحيانا ولكن هذا السور أقيم فى عهد الدولة الأموية ، وأقيم عليه أربعة وثمانون برجاً ، وجعلت له ستة أبواب .

وفى خلافة عبد الملك بن مروان أنشئت طرق جديدة ، وعبدت ومنها ، طريق القدس — الشام ، وطريق القدس — الرملة .

وقيل ان « الوليد بن عبد الملك » كان يحب المدينة ، وانه « تقبل مبايعة الناس وهو على سطح الصخرة » .

وفى خلافة العباسيين ، فى عهد أبى جعفر المنصور ، أصيب المسجد الأقصى بأضرار شديدة عقب زلزال وقع سنة ٧٤٧ ميلادية ، فأمر الخليفة بتعميره ، وتم ذلك عام ٧٧١ م .

وفى سنة ٧٧٤ م ، فى خلافة المهدي ، حدث زلزال آخر أصاب المسجد نفسه بأضرار بالغة ، فأمر الخليفة بتعميره .

وعامل هارون الرشيد أثناء خلافته النصارى أحسن معاملة ، حتى لقد سمح للإمبراطور « شارلمان » بترميم الكنائس وبناء « كنيسة العذراء » . وتعهد بحماية الحجاج المسيحيين الذين يفدون لزيارة « بيت المقدس » .

وفى السنوات الأخيرة من حكم الدولة العباسية زار المدينة المسلم

(١) اسحق موسى الحسينى .

« برنارد الحكيم » وقال عنها « ان المسلمين فيها على تفاهم تام مع

المسيحيين ، وان الأمن سائد ومستتب » •

وكان المعتصم أول الخلفاء العباسيين الذين استعانوا بالأتراك ، وأسندوا اليهم مناصب الدولة ، مما أدى الى اضعاف سلطة الخلفاء ، فيما بعد ، ثم الى زوال الخلافة ، في نهاية المطاف •

وكان الخلفاء يعينون منهم ولاية على الاقاليم • فكان هؤلاء ينيبون عنهم آخرين يحكمون البلاد التي يولون عليها باسمهم •

وحدث أن أسندت ولاية مصر ، في عهد الخليفة المعتز ، الى « باكسباك » فأصاب هذا عنه « ابن طولون » وآل أمر هذا الأخير الى أن أسس « الدولة الطولونية » سنة ٨٣٥ ميلادية<sup>(١)</sup> ، وكانت هذه الدولة تضم الشام ، فدخلت « القدس » في حوزتها •

— وتأسست الدولة الأخشيديّة سنة ٩٣٥ ميلادية ، في خلافة القاهرة بالله ، اذ كان الخليفة المقتدر ( السابق على القاهرة بالله ) قد ولى « تكين » على مصر فأصاب هذا عنه الاخشيدي ، لذلك آل أمره الى تأسيس الدولة المذكورة ، ودخلت الشام ، وبالتالي المدينة نفسها ، في حوزته •

وخلف الاخشيدي ابنه « أنوجور »<sup>(٢)</sup> ، وفي أيامه زار السائح الفارسي « ناصري خسرو » مدينة القدس ووصفها بقوله « انه كان في القدس •• عشرون ألف نسمة ، وفيها أسواق جميلة •• وأرضها مرصوفة بالحجارة ، ويوجد على حافة سهل معروف بالساهرة قرافة عظيمة فيها مقابر كثير من الصالحين » • وكان في القدس في تلك الأيام مسجد ليس في الاسلام أكبر منه ، ولم يكن فيها ماء جار سوى عيون لا تتسع للزروع ، ويزرع في جبالها وسهولها أشجار الزيتون ، والتين ، والجميز ، والعنب ، وسائر الفواكه •

وبعد أنوجور جاء « كافور » ، ودفن الأخشيدي ، وابنه ، وكافور ، بعد موتهم ، في مدينة القدس •

(١) تاريخ الاسلام — جزء ٣ — « العصر العباسي » — للدكتور حسن ابراهيم حسن .  
(٢) المرجع السابق .

— وفي سنة ٩٦٦ ميلادية استولى الفاطميون على مصر وكانت القدس في يد السلجوقيين ، وأخيرا استولى الصليبيون على المدينة — سنة ١٠٩٩ ميلادية —

وحدث ، في عهد الدولة الفاطمية ، زلزال كبير في مدينة القدس كاد يودي بقبة المسجد الاقصى ، ولكن الخليفة أمر بتعميرها فجاءت أحسن مما كانت .

وشرع الفاطميون في بناء سور المدينة ، ومن مؤسساتهم فيها « البيمارستان » وهو أول مستشفى أسس فيها ، كما أسسوا « دار العلم » وهي فرع من دار الحكمة التي أنشئت في مصر في عهد الحاكم بأمر الله الفاطمي .

ووصف « المقدسى » المدينة في عهد تلك الدولة ( أى الفاطمية ) قال : « بيت المقدس ليس في مدائن الكور أكبر منها ، ليست شديدة البرد ، وليس بها حر ، وقلما يقع بها ثلج ... بنيانها حجر لا ترى أحسن منه ، ولا أنقن ... ولا أنظف من أسواقها .. ولا أكبر من مسجدها .. ولا أكثر من مشاهدها ... وفيها كل حاذق وطبيب ... واليهما قلب كل لبيب ... ولا تخلو كل يوم من غريب ...

وهناك وصف آخر للمدينة في العهد نفسه نجده في كتاب « سفرنامه » للسائح الفارسي « ناصرى خسرو » ، وهو وصف مسهب نكتفى منه بالعبارات الآتية :

« يزرو السوريون وسكان البلاد المجاورة القدس ، ويشبعون فيها رغباتهم الدينية فيضحون فيها الضحايا ، ويصلون ويتقربون الى الله بجميع أنواع الصلاة والعبادة ، ويصل عددهم في بعض الأعوام عشرين ألفا ، وكثيرا ما يأتون معهم بأطفالهم ليختنهم بين جدرانها ، بالقرب من مسجدها ، وهي مزروعة زرا جيدا ، ينبت فيها القمح ، والتين والزيتون ، كما تنبت فيها أنواع كثيرة من الأشجار ... أسعارها معتدلة ، زيتها كثير .... يحفظ الزيت في الآبار والأحواض ، ويصدر الى خارج البلاد ، ويستعملون القار المجموع من مياه البحر الميت في طلاء الأجزاء السفلى من الأشجار

لحفظها من الديدان ... ويستعمله الصيادلة من أجل صيانة العقاقير من الحشرات ... يحيط بالمدينة سور مبنى بالحجارة ، وللسور أبواب من حديد يقطن فيها عشرون ألفا من السكان بينهم صناع كثيرون ، ولكل مصنعة سوق خاص بها » .

— وفي سنة ١٠٩٩ م سقطت المدينة في أيدي الصليبيين ، بعد أن سلمت لهم حاميتها الفاطمية ، على أمان لم يطبقه الصليبيون على السكان من المسلمين (١) .

وأنشأ الصليبيون دولة في « بيت المقدس » وكان أول حاكم لها هو « جودفري دى بويون » ، وخلفه أخوه « بلدوين » الذى أعلن نفسه ملكا متوجا ، وأخذت حدود هذه المملكة تقترب تدريجيا من حدود البلاد المصرية ، ثم أصبحت منذ سنة ١١١٥ م سيطرة على فلسطين ، والساحل من بيروت الى قرب العريش .

وامتد حكم الصليبيين في « القدس » الى ما بعد موقعة « حطين » التى استولى صلاح الدين بعدها على المدينة ، ثم نقل الى المسجد الأقصى المنبر الخشبي الذى كان « نور الدين محمود » قد صنعه من قبل وأعدده للمسجد المذكور .

وكثير من المسلمين يزورون المسجد الأقصى ، بعد زيارة قبر الرسول ، صلوات الله عليه ، وهذه الزيارة بسيطة تؤدى فى أى وقت (٢) ، ولكن صلاح الدين رتب الأعياد والمواسم ، وجعل هذه الزيارة منفقة فى وقت أدائها مع الوقت الذى يقام فيه عيد الفصح عند الفرنجة ، حيث يفد على القدس كثيرون منهم لأداء الحج ، وأما الحكمة التى توخاها صلاح الدين من هذا الترتيب فهى أنه كان يخشى أن ينقلب هؤلاء الوافدون من الفرنجة ، فجأة ، جنودا يحتلون المدينة ، فاذا ما حدث ذلك انقضت عليهم جموع الزوار من المسلمين فقضت على تدبيراتهم وردتهم على أعقابهم خاسرين .

(١) كتاب حملة لويس التاسع على مصر .  
(٢) الرحلة الحجازية .

وبعد زوال الدولة الأيوبية جاء عصر المماليك ، وكانت القدس تحت حكمهم ، وقد أقيمت في عهدهم منشآت وآثار عديدة سوف تذكر في موضعها من هذا البحث \*

وفي عام ١٥١٧ ميلادية استولى « السلطان سليم العثماني » على مصر ، ثم استولى على « القدس » في السنة التالية ، وفي أيامه أتيح للنصارى الحج الى « بيت المقدس » على أن يؤدوا الرسم الذي كانوا يؤدونه في زمن المماليك \*

وفي عهد خلفه « السلطان سليمان القانوني » أقيمت بالقدس منشآت نذكرها في موضعها ، مع المنشآت الأخرى التي أقيمت في العهود التالية من الحكم العثماني \*

وفي عهد « السلطان عبد المجيد » — سنة ١٨٤١ ميلادية — كان سكان القدس ٢٠.٠٠٠ منهم ١.٠٠٠ من المسيحيين \*

وأمر السلطان بتعمير الحرم القدسي سنة ١٨٦٠ م ، وكان والي المعين من قبله على المدينة واسمه « كامل باشا » قد أجاز أن ترفع بعض الدول الأجنبية أعلامها على قنصلياتها فيها ، لأنها كانت قد حاربت في جانب تركيا ضد روسيا فثار الأهالي ضده \*

وجاء « السلطان عبد العزيز » فجعل القدس متصرفية مستقلة بعد أن كانت تابعة لولاية سوريا ، وفي أيامه أنشئ الطريق بين يافا والقدس ، وطريق نابلس — القدس ، ورصفت الشوارع والأسواق — وكان عدد سكان المدينة ٦٨.٠٠٠ نسمة \*

وأصدر « السلطان عبد الحميد الثاني » ، قانونا يحرم هجرة اليهود الى فلسطين ( والقدس ، بطبيعة الحال ) ويحرم عليهم شراء أراضى فيها ، ولكنه عاد فسمح لهم بدخولها بقصد العبادة وبشرط أن لا تمتد اقامتهم الى أكثر من ثلاثة شهور \*

وفي أيامه أنشئت السكة الحديدية بين القدس ويافا سنة ١٨٩٢ م ، وأنشئت مستشفى البلدية \*

وفي العهد العثماني كانت شئون المدينة الادارية والمالية تدار بواسطة نائب عن السلطان مرجعه الى الحكومة في القسطنطينية ، وكان للمدينة

« مجلس شورى » أنشئ سنة ١٨٤٠ م كما أنشئ لها « مجلس عمومى »  
سنة ١٩١١ ، وكانت ممثلة فى البرلمان العثمانى سنة ١٩٠٨ •

كذلك كانت للمدينة « بلدية » •

واشتهرت المدينة فى العصر التركى بصناعة العلب والأدوات المدرسية  
والبضائع المصنوعة من خشب الزيتون ، ومن الصوف ، وبصناعة  
الشموع المختلفة ، وبالسهم ، والصابون ، وزيت الزيتون •

وكانت هناك ضرائب مختلفة ، وجزية تجبى من أهل الذمة •

ولما قامت الحرب بين الأتراك ، ومحمد على باشا الذى كان واليا  
على مصر ، استولى ابراهيم باشا على القدس سنة ١٨١٣ م ، ثم عقد  
صلح أصبحت القدس ، بموجبه فى حوزة محمد على باشا •  
وقامت ثورة ضد ابراهيم باشا كانت القدس أهم مراكزها ، وأنه وان  
يكن ابراهيم باشا قد تغلب على هذه الثورة فإنه انسحب أخيرا عائدا  
الى مصر •

وعلى عهد ابراهيم باشا أنشئ جانب من القسلاق الكائن عند  
باب الخليل ، وأنشئت طاحونة الهواء سنة ١٨٣٩ م ، وكانت أول  
طاحونة فى المدينة •

وعلى عهد السلطان « محمد رشاد الخامس » أعلنت الحرب العالمية  
الأولى ، وفى خلالها ثار العرب ضد الدولة العثمانية ، وخاضوا غمار  
الحرب الى جانب الانجليز ضد الأتراك ، وانتهت الحرب بدخول الانجليز  
الى فلسطين سنة ١٩١٧ ميلادية ، واحتلوا مدينة القدس فى ٩ ديسمبر  
من السنة نفسها •

#### تسلسل التواريخ فى حياة المدينة

- ١ — القرن الخامس عشر قبل الميلاد — بنيت المدينة •
- ٢ — استولى عليها فراعنة مصر •
- ٣ — ١٠٤٩ ق م استولى عليها الملك داوود •
- ٤ — ٦٧٨ ق م استولى عليها الاشوريون •

• استولى عليها البابليون	ق م	٥٨٨ — ٥
• استولى عليها الفرس	»	٥٣٦ — ٦
• استولى عليها اليونانيون	»	٣٣٢ — ٧
• صارت تابعة للبطالسة	»	— ٨
• صارت تابعة للسلوقيين	»	١٦٨ — ٩
• صارت تابعة للمكابيين	»	— ١٠
• استولى عليها الرومان	»	٦٣ — ١١
• استولى عليها العرب	ميلادية	٦٣٦ — ١٢
• استولى عليها الصليبيون	»	١٠٩٩ — ١٣
• استولى عليها صلاح الدين	»	١١٨٧ — ١٤
• استولى عليها الأتراك	»	١٥١٧ — ١٥
• استولى عليها الانجليز انتدابا	»	١٩١٧ — ١٦
اعلن انتهاء الانتداب ، وصدر قرار تقسيم فلسطين ، ودخلت الدول العربية محاربة ضد اليهود	»	١٩٤٨ — ١٧

ملاحظة — لم تذكر بعض التواريخ في هذا التسلسل لعدم الأهمية الكبرى

### المقدسات والآثار الإسلامية

- ١ — المسجد الأقصى ، أولى القبلتين ، وثالث الحرمين الشريفين ، ونزلت في شأنه الآية الكريمة « سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله ، لنريه من آياتنا ، انه هو السميع البصير »
- ٢ — مسجد قبة الصخرة — وتقع وسط الحرم الشريف ، وهى « اروع العمائر الإسلامية »
- ٣ — والصخرة — يروى أن الرسول الأكرم وضع قدمه عليها لما سعد الى السماء
- ٤ — جامع عمر — وهو الذى بناه الخليفة عمر بن الخطاب ، رضى الله عنه ، عندما تسلم المدينة سنة ٦٣٦ م

- ٥ — المساجد ومجموعها ٣٦ مسجداً •
- ( أ ) منها مساجد في المدينة القديمة داخل السور ، وعددها ٢٩ مسجداً منها على سبيل المثال :
- ١ — مسجد الخانقاه : الى الشمال الغربى من كنيسة القيامة •
- ٢ — الجامع العمرى : قبلى كنيسة القيامة •
- ٣ — مسجد طريق النبى داوود : على طريق النبى داوود
- ٤ — مسجد البراق : ملاصق لحائط البراق •
- ٥ — جامع قبة موسى : فى ساحة الحرم •
- ٦ — جامع باب الغوانمة : وفيه الآن المتحف الاسلامى ، ودار الكتب •
- ( ب ) ومنها سبعة فى المدينة الجديدة خارج السور •
- ٦ — وفى المدينة ١٥ مئذنة ، أربعة منها داخل الحرم ، والباقى خارج الحرم •
- ومن الآثار الاسلامية الاخرى :
- ( أ ) من آثار صلاح الدين الأيوبي :
- ١ — أزال الآثار التى أحدثها الصليبيون ، وكان الصليبيون قد اتخذوا من المسجد الأقصى مساكن لجنودهم ، وأماكن للذخيرة ، وغير ذلك •
- ٢ — ونقل الى المسجد الأقصى المنبر الذى كان نور الدين محمود قد صنعه وأعدّه لاقامته فى المسجد المذكور •
- ٣ — وأقام « مستشفى البيمارستان » ويقال انه المستشفى الذى كان الفاطميون قد أقاموه قبلاً •
- ٤ — وأنشأ « مدرسة الخانقاه » سنة ١١٩٢ قرب منزل البطريق الملاصق لكنيسة القيامة •
- ٥ — وقد عمر ما تهدم من سور المدينة — وأقام جامع الجبل على جبل صهيون ، وبنى مقبرة المجاهدين — وقبة يوسف فى فناء الصخرة •
- ( ب ) عهد أبناء صلاح الدين :
- ١ — انشأ الأفضل المدرسة الأفضلية ، والمسجد العمرى قرب « كنيسة القيامة » •
- ٢ — وأنشأ الملك العادل المدرسة الجراحية حوالى سنة ١٢٠٢ ميلادية
- ( ج ) وأنشأ الملك شرف الدين عيسى



- ١ — المدرسة المعظمية سنة ١٢١٣ م
- ٢ — والمدرسة البدرية
- ٣ — وسبيل شعلان ١٢١٦ م •
- ٤ — والرواق الشمالى بمدخل المسجد الأقصى • ١٢١٧ م •
- ( د ) وجاء عصر المماليك ومنهم قتلز • وقد أقام المدرسة الفاصرية سنة ١٢٦٧ م والظاهر بيبرس ، وقد بنى على « قبر موسى » قبة ومسجدا •
- ثم الملك المنصور سيف الدين قلاوون ، وقد أقام « رباط قلاوون » عام ١٢٨٢ ووقفه على الفقراء من زوار القدس وأنشأ بعض المساجد •
- ( هـ ) الملك الناصر ابن الملك منصور سيف الدين •
- وقد أنشأ نحو ٢٠ مدرسة منها •
- ١ — المدرسة الدوادارية عام ١٢٩٥ •
- ٢ — والمدرسة الأرغولية عام ١٣٥٧ — وقد دفن فيها الملك حسين بن على الذى أوقد نار الثورة ضد تركيا سنة ١٩١٥ •
- ٣ — المدرسة الخاتونية — وقد دفن فيها أحد أمراء الهند سنة ١٩٢٠ •
- ٤ — المدرسة الاسعدية — وجدد المجلس الاسلامى الأعلى عمارتها وجعلها « دارا للكتب » •
- ( و ) عهد المماليك الشراكسة :
- وقد أنشأوا بعض المدارس وأقاموا سبيل شعلان فى ساحة المسجد — عام ١٢١٦ ، « وسبيل قايتباى » داخل الحرم •
- ( ز ) الأتراك
- وقد أنشأ السلطان سليم الأول « التكية المعروفة » بتكية خاصلى سلطان عام ١٥٥٢ م •
- ومسجد الطور عام ١٥٣٧ •
- وغير ذلك من المنشآت •
- ( ح ) وفى القدس كثير من الزوايا يؤمها الحجاج من مختلف البلاد الاسلامية ومنها :
- ١ — الزاوية النقشبندية للحجاج الوافدين من أذربكستان •
- ٢ — زاوية الهنود للحجاج القادمين من الهند •

- ٥ — المساجد ومجموعها ٣٦ مسجداً
- ( ٢ ) منها مساجد في المدينة القديمة داخل السور ، وعددها ٣٩ مسجداً منها على سبيل المثال :
- ١ — مسجد الخانقاه : الى الشمال الغربى من كنيسة القيامة •
  - ٢ — الجامع العمرى : قبلى كنيسة القيامة •
  - ٣ — مسجد طريق النبى داوود : على طريق النبى داوود
  - ٤ — مسجد البراق : ملاصق لحائط البراق •
  - ٥ — جامع قبة موسى : فى ساحة الحرم •
  - ٦ — جامع باب الفوانمة : وفيه الآن المتحف الاسلامى ، ودار الكتب •
- ( ب ) ومنها سبعة فى المدينة الجديدة خارج السور •
- ٦ — وفى المدينة ١٥ مئذنة ، أربعة منها داخل الحرم ، والباقى خارج الحرم •

ومن الآثار الاسلامية الاخرى :

( أ ) من آثار صلاح الدين الأيوبي :

- ١ — أزال الآثار التى أحدثها الصليبيون ، وكان الصليبيون قد اتخذوا من المسجد الأقصى مساكن لجنودهم ، وأماكن للذخيرة ، وغير ذلك •
  - ٢ — ونقل الى المسجد الأقصى المنبر الذى كان نور الدين محمود قد صنعه وأعدّه لأقامته فى المسجد المذكور •
  - ٣ — وأقام « مستشفى البيمارستان » ويقال انه المستشفى الذى كان الفاضميون قد أقاموه قبلاً •
  - ٤ — وأنشأ « مدرسة الخانقاه » سنة ١١٩٢ قرب منزل البطريرك الملاصق لكنيسة القيامة •
  - ٥ — وقد عمر ما تهدم من سور المدينة — وأقام جامع الجبل على جبل صهيون ، وبنى مقبرة المجاهدين — وقبة يوسف فى فناء الصخرة •
- ( ب ) عهد أبناء صلاح الدين :
- ١ — أنشأ الأفضل المدرسة الأفضلية ، والمسجد العمرى قرب « كنيسة القيامة » •
  - ٢ — وأنشأ الملك العادل المدرسة الجراحية حوالى سنة ١٢٠٢ ميلادية
- ( ج ) وأنشأ الملك شرف الدين عيسى

٣ — الزاوية القادرية للحجاج الوافدين من الأفغان \*

( ط ) وفي المدينة كثير من مقابر الصحابة ، والتابعين والعلماء ، والمجاهدين : مثل مقبرة عبادة بن الصامت ، وشداد بن أوس ، وفيروز الديلمي ، وغيرهم \*

وعلى الجملة فإن هذه المقدسات والآثار القديمة تجعل من هذه المدينة مدينة مقدسة في نظر المسلمين ، وهي أعظم شأنًا ، من هذه الوجهة ، من أى بلد إسلامي آخر ، عدا مكة والمدينة \*

### المقدسات والآثار المسيحية

منها :

١ — « كنيسة القيامة » بنتها الملكة هيلانة أم الملك قسطنطين سنة ٣٣٥ ميلادية ، وأحرقت سنة ٦١٤ ميلادية ، وأحرقت معها جميع الكنائس والأديرة التي كانت في القدس ، وأعاد أحد الرهبان بناءها سنة ٦٣٦ ميلادية ، وفي وسطها بناء « القبر المقدس » \*

٢ — كنيسة القبر المقدس \*

٣ — كنيسة نصف الدنيا ، وشيد فيها برج للأجراس — « وفي عهد صلاح الدين سلمت مفاتيحها الى عائلتين مسلمتين هما « نسييه » و « جوده » \*

٤ — كنيسة العذراء — على جبل صهيون \*

٥ — كنيسة ماري عقوب للارسلانية الانجليزية أنشئت عام ١٨١١ م \*

٦ — « كنيسة الصعود » على جبل الزيتون \*

٧ — كنيسة القديسة « مريم المجدلية » \*

٨ — وللجالية الأمريكية كنيسة في شارع الانبياء ، ومدرسة للبحث عن الآثار الشرقية \*

٩ — عدد من الأديرة منها :

( أ ) دير مار مرقس وفيه كنيسة بيزنطية باسم « العذراء » ودار للأسقفية \*

( ب ) دير القدس \*

( ج ) دير توما \*

( د ) دير مبارك \*

( هـ ) دير القديس شارل بروسيوس \*

# مدينة الخليل

الدكتور يوسف عيسى

القدس وما حولها تشغل اليوم بال المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها لأن لهم بها تراثا خالدا ومقدسات لها مكانتها العظمى في القلوب ، كل هذا مهدد بالخطر لأن عصاة الصهاينة قد دبروا ومكروا مكرا كبيرا • وادعو ملكا وأرادوا أن يؤسسوا لهم دولة ولكن هذه المحنة وما نمر فيه من نكسة يجب ألا توهم من عزائمتنا ولا تفت في عضدنا • لأن دولة الباطل ساعة ودولة الحق حتى قيام الساعة • فلقد مر على هذه البلاد أحداث جسام وشهدت حروبا طاحنة منها الحروب الصليبية التي غزا فيها ملوك الفرنج البلاد وعاثوا في الأرض فسادا وداسوا مقدساتها •

فانظر كيف كان عاقبة هذا الاعتداء على الحقوق أن دمر الله ملكهم وأزال دولتهم ونصر الحق وأعاد البلاد لأصحابها الحقيقيين • اذن فليس يطلب منا في هذه الأوقات الحرجة التي تمر بنا وبالأمة العربية جميعا الا الاستمسك بحقوقنا والتأهب الدائم لاسترداد ما اغتصب من أراضينا • فلن يضيع حق وراءه مطالب ( والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون ) صدق الله العظيم •

ومدينة الخليل التي تخصصنا في هذا البحث بلدة طيبة مباركة تقوم في وادى الخليل بين مرتفعات جبل نصره ونهر أبو الرمان ويشتهر بوفرة فاكهته وبخاصة العنب الخليلي وهي تابعة للمملكة الأردنية الهاشمية وعدد سكانها عام ١٩٢١ ( ١٧٠٠٠ ) نسمة منهم ١٥٠٠ من اليهود <sup>(١)</sup> • والآن يبلغ عدد سكانها ٣٣ ألف نسمة وهي على بعد ٤٤ كم من بيت المقدس وقد استولى عليها الصليبيون عام ١١٠٠ م والمغول ١٢١٠ م • واعادها الظاهر بيبرس ١٢٦٧ <sup>(٢)</sup> •

(١) دائرة المعارف الاسلامية ص ٤٣٢ م ٢٠

(٢) الموسوعة العربية الميسرة طبعة ١٩٦٥ •

وقد كان اسم البقعة المقدسة المعروفة الآن ببيت المقدس وما حولها ( أرض كنعان أو بلاد الكنعانيين ) التي كانت تمثل جزءا من بلاد الشام وهى الأرض المقدسة أو فلسطين التى هاجر اليها الخليل عليه السلام .  
ولمدينة الخليل طابع معروف فهمى مدينة اسلامية لن تجد فيها مشرب خمر أو محلا واحدا للميسر وانك لتذرعها شرقا لغرب وشمالا لجنوب فلا تعثر فيها على معصية لله (١) .

وهناك علاقة تاريخية بين الخليل وبين بعض امراء المسلمين والفرنج .  
ونبدأ بناصر خسرو الذى زار هذه المدينة قبل نشوب الحرب الصليبية بنصف قرن ١٠٤٧ وكانت فى ذلك الوقت على الجانب الشمالى من الحرم فحسب .

ومما يذكر أيضا أن الخليفة المهدي الفاطمى ٩١٨ م شيد أول الأمر بابا فى منتصف السور الشمالى الشرقى للضريح ولم يكن من الميسور قبل ذلك الوصول الى الحرم .

ولما استولى الصليبيون على الخليل أعطاها كودثرى بوبون عام ١١٠٠ م الى جيرار دافن المتوفى سنة ١١٠٢ ثم وليها آخرون الذين كانوا ولاية على حبرون فحسب وكانوا من قبل تابعين لملك بيت المقدس ثم أصبحوا من عام ١١٥٥ تابعين لصاحب الكرك .

وجعلت مدينة حبرون اسقفية عام ١١٦٨ وقد ذكر على الهوى الذى زار بيت المقدس أو الخليل عام ٥٦٧ هـ ( ١١٧١ م — ١١٧٢ ) أنه تعرف على فارس نصرانى ذكر أن المغاور التى دفن فيها البطارقة قد جددت بأمر من الملك بردويل سلدرون الثانى الذى يحتمل أنه الداعى لاقامة المبانى حول الحرم . ثم انتقلت الخليل الى حوزة العرب بعد وقعة حطين .

وفى مجير الدين (٢) ( طبعة بولاق ) أن المنبر الذى يقوم الى جانب المحراب بالحرم كان فى الأصل هبة قدمها الخليفة الفاطمى المستنصر عام ٤٨٤ هـ ( ١٠٩١ — ٩٢ ) لمشهد الحسين بن على بعسقلان وأن صلاح الدين

(١) دائرة المعارف، الاسلامية م ٢٠ ص ٤٣١ .

(٢) دائرة المعارف الاسلامية م ٢٠ ص ٤٣٢ .

هو الذى أمر بنقله الى الخليل ليوضع فى الحرم وبعد وفاة صلاح الدين انتقلت الخليل الى يدى الناصر داود صاحب الكرك ولكن جيوش الصالح أيوب انتزعتها عام ١٢٤٤ م من الناصر ولكنه استعادها فى العام التالى بمساعدة الخوارزمية \*

واستولى المغول على مدينة الخليل عام ١٢٦٠ ولكن بيبرس أخرجهم منها فى العام نفسه وزارها عام ١٢٦٦ عندما ولى السلطنة المصرية وفى هذا الوقت كان محرما على اليهود والنصارى دخول الحرم \*

وبيبرس هو الذى أمر باعادة بناء المسجد عام ١٢٦٧ والمدينة فى ١٢٦٨ ( المقريزى ) \*

والسلطان قلاوون ( ١٢٧٩ — ١٢٩٠ ) أمر بطلاء الأسوار فى أجزاء مختلفة من الحرم \*

وأحدث السلطان برقوق أيضا تغيرات كبيرة فى الحرم بإحياء شهاب الدين أحمد اليعمورى والى بيت المقدس والخليل وحارس الضريحين فى عام ٧٩٦ هـ ( ١٣٩٤ م ) لم يكتف برقوق باقامة محراب جديد للمالكية فى مسجد النساء بل أقام أيضا بابا جديدا فى الجانب الغربى للكنيسة الرومية القديمة خلف قبر ابراهيم مباشرة كما شيد بابا آخر فى السور الغربى للحرم فيما يعرف بحائط سليمان وهذا الباب قريب من مقام يوسف عليه السلام \*

وفى سنة ( ١٣٤٧ — ١٣٦١ م ) قام السلطان الناصر حسن ببناء هذا المقام علاوة على القلعة التى أقيمت فى العصور الوسطى وأصبحت فيما بعد مدرسة وأمر اليعمورى ببناء قبة فوق المقام \*

وفى عهد السلطان محمد الناصر ( ١٢٩٣ — ١٣٤١ ) شيد الأمير سنجر الجاولى فى الجوانب الصخرية من الجبل الذى يقوم قبالة السور الشمالى الشرقى للحرم مسجدا يسمى باسم الجاولية نسبة اليه \*

وكان للسلطان الملك الأشرف والسلطان انبال والسلطان الظاهر خشقدم  
وكلهم من سلاطين المماليك أياد بيضاء على الحرم ومسجد الجاولية •

وفي العهد التركي ومدته اربعمائة عام ( ما بين ١٥١٧ — ١٩١٧ ) م  
لا توجد الا اشارات ذكرها الرحالة الغربيون • ولم يسجل لهم التاريخ أى  
أعمال انشائية أو أى تحسينات معمارية داخل مدينة الخليل رغم طول  
المدة التى قضوها فى الحكم • لهذا يعتبر أمرا غريبا اغفالهم هذه البقعة  
المباركة رغم ما عرف عنهم قديما من الحرص على مظاهر الاسلام وتكريم  
الصالحين وتتكون مدينة الخليل الحديثة من سبعة أحياء ونسنتج من ذكر  
عدد هذه الأحياء أن مساحة الأرض التى تقوم عليها المدينة محدودة ولهذا  
نرى أن النمو الكافى غير مضطرد •

ولمسجد الخليل عليه الصلاة والسلام ما لكل المساجد من حق صلاة  
الجماعة فيه وجواز الاعتكاف وتحريم المكث على الحائض وتحريم دخول  
الجنب • بل انه لمن أعمر بيوت الله وأكثرها بركة وجاء فى وصف المقام  
الكريم نقلا عن قاضى القضاة أبو اليمن القاضى الحنبلى (١) •

يشتمل المسجد على بناء معقود من داخل السور على نحو النصف من جهة  
القبلة الى جهة الشمال والبناء من عهد الروم وهو ثلاثة أكوار الأوسط  
منها مرتفع عن الكورين الملاصقين له من جهة الشرق والغرب •

ويرتفع السقف على أربعة أسوار محكمة البناء وفى صدر هذا البناء  
المعقود تحت الكور الأعلى يوجد المحراب والى جانبه المنبر وهو مصنوع  
من الخشب الفاخر ويعد آية من آيات الصناعة المتقنة وقد وضع فى زمن  
المستنصر بالله أبى تميم معد الفاطمى خليفة مصر • بأمر بدر الجمالى  
مدير دولته •

وتوجد تجاه المنبر أريكة للمؤذنين قائمة على عمد رخامية تعتبر نموذجا  
الصنع الباهر الجميل •

(١) أبو الانبياء ص ١٧٣ ، ص ١٧٤

ونفخ قبور الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه تحت بناء المسجد على النظام الآتى \*

الى جانب السارية التى عند المنبر قبر اسحق عليه السلام وأما قبر زوجته رفقة أو ربة رضى الله عنها الى جانب السارية الشرقية ويمكن اعتباره بناء قائما بذاته \*

ولهذا البناء ثلاثة أبواب تنتهى الى صحن المسجد أحدهما وهو الأوسط ينتهى الى الحضرة الخليلية الجليلة وهو مكان معقود على جدرانه رخام مستدير وبه الى جهة الغرب الحجرة الشريفة التى بداخلها قبر الخليل صلى الله عليه وسلم وتجاهه شرقا قبر زوجته السيدة سارة رضى الله عنها. وفي آخر الساحة شمالا ضريح يعقوب عليه السلام وأمامه شرقا قبر زوجته لائقة رضى الله عنها \*

وبداخل السور أيضا مقام ليوسف الصديق عليه السلام وقد قيل انه مدفون خارج المغارة والأرضية التى بداخل السور مفروشة كلها بالبلاط السلیمانی البديع \*

ويوجد بظاهر السور السلیمانی شرقا مسجد جميل عمره أبو سعيد سنجر الجاولى ناظر الحرمين ويسمى مسجد الجاولية الذى سبق ذكره وهو من العجائب لأنه قائم فى الجبل \*





# قصة مسجد الصخرة

الأستاذ محمد دياب

بعد نكسة يونيو عام ١٩٦٧ ، وقف « شلومو غورين » حاخام الجيش الاسرائيلي يؤدي الصلاة في ساحة مسجد الصخرة المشرفة !

وكانت صلاة الحاخام اليهودي في ساحة هذا المسجد ، هي الترجمة العملية لكل الأحلام التي راودت خيال اليهود عبر السنين في الاستيلاء على الحرم القدسي ، وهدم المسجد الأقصى ومسجد الصخرة وكل مساجد الحرم ومقدساته الاسلامية ، ليقيموا على أنقاضه هيكل سليمان القديم !

ان الفكرة الدينية هي الركيزة الأولى في قيام اسرائيل .. والخيال الديني هو الذي يحرك أطماع الصهيونية في التوسع .. ولا يمكن أن نقدم الى العالم دليلا على ذلك أقوى من أقوال ومواقف زعماء الصهاينة أنفسهم :

✳ في دائرة المعارف اليهودية « جويش انسلوكوبيديا » المطبوعة باللغة الانجليزية عام ١٩٢٦ ، وتحت كلمة « الصهيونية » هذا التعريف : « ان اليهود يبنون أن يجمعوا أمرهم وأن يأخذوا القدس ، وأن يعيدوا العبادة الى الهيكل ويقيموا ملكهم هناك » .

✳ وفي بداية هذا القرن قال وايزمان : ان القدس هي الجوهر الروحي لفكرة العودة الى فلسطين !

✳ وقال بن جوريون : انه لا معنى لاسرائيل بدون القدس ، ولا معنى للقدس بدون قدس الأقداس ! . ( وقدس الأقداس الذي يعنيه بن جوريون هنا هو المسجد الأقصى ) .

✳ وفي يوليو عام ١٩٢٠ — أثناء الاحتلال البريطاني لفلسطين — طلب ابراهام اسحق كوك حاخام اليهود في فلسطين ومجلس الرابانيين اليهود وأوسيشكن نائب رئيس الوكالة اليهودية ، من الحكومة البريطانية تسليمهم الحرم القدسي !

✳ وعندما بدأت حرب فلسطين عام ١٩٤٨ ، شنت العصابات الصهيونية

هجمات متتالية بالقنابل على القدس القديمة ، هدفها الاستيلاء على الحرم  
القدسى !

\* وبعد عدوان يونيو عام ١٩٦٧ قال اشكول وديان : ان اكتمال  
القدس بكل مقدساتها فى أيدي اسرائيل هو حلم اليهودية القديم الذى  
تحقق !

هكذا وقف الحاخام اليهودى « شلومو غورين » يصلى فى ساحة مسجد  
الصخرة ، ليعبر بهذه « الصلاة » عن تحقيق حلم اليهودية الدينية فى  
الاستيلاء على الحرم القدسى واعادة بناء الهيكل على أنقاضه !  
فما هى الصخرة المشرفة ؟ وما هى قصة مسجد الصخرة الذى يتخذ  
حاخامات اليهود اليوم كنيسة صلاة ؟ !

الصخرة المشرفة تقع الآن تحت قبة المسجد مباشرة .. وطولها من  
الشمال الى الجنوب نحو ثمانية عشر مترا ، وعرضها من الشرق الى الغرب  
نحو أربعة عشر مترا ، وارتفاعها عن الأرض يقرب من مترين ..  
والمسلمون يقدسون الصخرة المشرفة ومسجدها داخل الحرم القدسى  
الشريف ، لما لهما من علاقة وثيقة بقصة الاسراء والمعراج .

فقد روى عن أبى هريرة رضى الله عنه ، عن أبى سعيد قال ، قال رسول  
الله صلى الله عليه وسلم : « صليت ليلة أسرى بى الى بيت المقدس عن  
يمين الصخرة » .. ولم يختلف اثنان فى أنه عليه الصلاة والسلام قد عرج  
به عند القبة التى من داخل الباب الشامى من أبواب الصخرة ، ويعرف هذا  
الباب بباب الجنة ..

أما مسجد الصخرة المشرفة .. فقد تم بناؤه بعد هجرة الرسول صلى  
الله عليه وسلم بثلاثة وسبعين عاما ، وذلك فى عام ٦٩١ ميلادية ، بداية  
العهد الأموى الذى مر على القدس ..

وقد ذهب عبد الملك بن مروان فى السنة الثانية من خلافته الى بيت  
المقدس ، حيث قرر بناء قبة الصخرة الشريفة ومسجد الصخرة وعمارة  
المسجد الأقصى ..

ويروى كتاب « الأنس الجليل فى أخبار القدس والخليل » قصة هذا  
البناء الإسلامى الرائع الذى استغرق حوالى سبع سنوات ، فيقول :

« ان عبد الملك بن مروان حين حضر الى بيت المقدس وأمر ببناء القبة على الصخرة الشريفة ، بعث الكتب الى جميع عماله والى سائر الأمصار ، أن عبد الملك قد أراد أن يبني قبة على صخرة بيت المقدس تقبى المسلمين من الحر والبرد ، وأن يبني المسجد ، وكره أن يفعل ذلك دون رأى رعيته ، فلتكتب الرعية اليه برأيهم وما هم عليه ، فوردت الكتب عليه من سائر عمال الأمصار ترى رأى أمير المؤمنين موقفا رشيدا ، وان شاء الله يتم له ما نوى من بناء بيته وصخرته ومسجده ، ويجرى ذلك على يديه ويجسسه تذكرة له ولن مضى من سلفه ، فجمع الصناع لعمله وأرصد للعمارة مالا كثيرا يقال انه خراج مصر سبع سنين ، ووضعه بالقبة الكائنة أمام الصخرة من جهة الشرق بعد أن أمر ببنائها ، وهى من جهة الزيتون ، وجعلها حاصلا ، وشحنها بالأموال ووكل على صرف المال فى عمارة المسجد والقبة أبا المقدام رجاء بن حيوة بن جود الكندى ، وكان من العلماء الأعلام ومن جلساء عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه ، وضم اليه رجلا يدعى يزيد بن سلام مولى عبد الملك بن مروان من أهل بيت المقدس وولديه •

ويقال ان عبد الملك وحسب ما يختاره من عمارة القبة وتكوينها للصناع فصنعوا له وهو ببيت المقدس القبة الصغيرة التى هى شرقى قبة الصخرة ، التى يقال لها السلسلة ، فأعجبه تكوينها وأمر ببنائها كهيئتها وأمر رجاء ويزيد بالنفقة عليها والقيام بأمرها وأن يفرغا المال عليها افراغا دون أن ينفقاه انفاقا •

وأخذوا فى البناء والعمارة عند القبة من شرقى المسجد الى غربيه حتى أكملوا العمل وفرغ البناء ، فكتب رجاء ويزيد الى عبد الملك بدمشق أن قد أتم الله ما أمر به أمير المؤمنين من بناء قبة صخرة بيت المقدس والمسجد الأقصى ولم يبق لتكلم فيه كلام ، وقد بقى مما أمر به أمير المؤمنين من النفقة عليه بعد أن فرغ البناء وأحكم ، مائة ألف دينار فيصرفها أمير المؤمنين فيما أحب •

فكتب اليهما أمير المؤمنين أن قد أمرت بها لكما جائزة لما وليتما من عمارة البيت الشريف المبارك ، فكتبا اليه : نحن أولى أن نزيده من حلى نسائنا فضلا عن أموالنا ، فاصرفها فى أحب الأشياء اليك ، فكتب اليهما بأن

تسبك وتفرغ على القبة فسبكت وأفرغت عليها ، فما كان أحد يقدر أن يتأملها مما عليها من الذهب •

« ثم بعد انتقال الخلافة الى الوليد بن عبد الملك انهدم شرقي المسجد ، ولم يكن في بيت المال حاصل ، فأمر بضرب السبائك وانفاقها على ما انهدم منه ، وكان الفراغ من عمارة قبة الصخرة والمسجد الأقصى سنة ثلاث وسبعين من الهجرة الشريفة » •

وقد أجمع المهندسون العالميون ، على أن مسجد الصخرة من أجمل الأبنية في العالم ، ومن أجمل الآثار وأروع المقدسات •• ويعده المسلمون من أقدس الأماكن الاسلامية خارج الجزيرة العربية •• وعندما زحف الصليبيون على القدس عام ١٠٩٩ ميلادية ، حولوا مسجد الصخرة المشرفة الى كنيسة ، وظل كذلك حتى استنطاق صلاح الدين الأيوبي أن يطرد الصليبيين الغزاة من بيت المقدس ، ثم جاء الى مسجد الصخرة وأزال منه كل المعالم الصليبية ، وعاد المسجد يستقبل المسلمين مرة أخرى ••

وهنا يروى التاريخ هذه القصة •• لقد طلب بعض المسلمين من صلاح الدين أن يقوم بهدم كنيسة القيامة ، ردا على تحويل مسجد الصخرة المشرفة الى كنيسة ، وحتى لا يصبح للصليبيين أى أثر يبررون به غزو البلاد مرة أخرى •• ولكن صلاح الدين رفض بشدة أن يهدم كنيسة القيامة • وبعد صلاح الدين ، عني بمسجد الصخرة ملوك بنى أيوب وسلاطين المماليك وخلفاء بنى عثمان •• فكانوا يجددون فيه ويصلحون حتى يظل دائما على رونقه الجميل •• وكان آخر ترميم في مسجد الصخرة عام ١٩٥٨ حيث أسهمت جميع الدول الاسلامية في ترميم قبته ، واشترك في هذا العمل الهندسى مهندسون مصريون ، وانتهى العمل به عام ١٩٦٤ ، وظل مسجد الصخرة آية من آيات الوجدان الاسلامى والذوق العربى والجمال الهندسى •• حتى كان احتلال اليهود للقدس والحرم القدسى الشريف عام ١٩٦٧ •

ولكن أحلام صليبية اليوم لن تكون أسعد حظا من أحلام صليبية أمس •• وان غدا لناظره قريب •

# الصلات بيت القدس

الكرتور عالى مسنخ الخريطة

## عروبة فلسطين :

كان اسم ( فلسطين ) لا يطلق الا على القطر المعروف بهذا الاسم الآن ، بل كان قاصرا على شعب قديم ، ولم يطلق على هذا القطر الا قبل القرن العشرين الميلادى . اذ كان القطر المعروف الآن بهذا الاسم ، أى فلسطين ، يؤلف قسما من الامبراطورية العثمانية التى قسمت الوطن العربى الى ولايات وتحصيفات دون أن يكون بينها اسم ولاية فلسطين ، بل كانت هناك متصرفية القدس ، وهى تابعة لولاية دمشق ، فلما وقعت الحرب العالمية الأولى وتقرر فى نهايتها وضع الأقطار العربية تحت الانتداب البريطانى واستولت بريطانيا على القسم الجنوبى من سوريا ، وأطلقت على نصفه الغربى اسم فلسطين ، وعلى نصفه الشرقى اسم ( شرق الأردن ) .

أما معنى كلمة فلسطين فانها مشتقة من اسم شعب كان يقيم فى تلك البقعة قبل أربعة آلاف سنة ، وهناك ما يدل على أن هذا الشعب من أصل عربى ، بينما يعتقد بعض المؤرخين أنه جاء من جزيرة كريت أو من مكان آخر فى حوض البحر المتوسط .

ويذكر التاريخ أن قبائل عربية بدأت تنزح من شبه جزيرة العرب منذ عشرة آلاف سنة وأن هذه القبائل كانت تغزو سوريا والعراق ومصر ، وتستقر فيها وأن معظم الشعوب والدول التى ظهرت فى الأقطار المذكورة كانت نتيجة هذه الغزوات العربية وأن الكنعانيين والفينيقيين والبابليين والكلدانيين والحيثيين والآراميين والآشوريين والهكسوس وغيرهم كانوا جميعا من القبائل العربية العاربة التى استقرت مع مرور الزمن ، ولا شك أيضا فى أن تدمر وغسان ولخم والأنباط ومؤاب وآدوم وغيرها كانت الأخرى عربية .

وكان شعب فلسطين يقيم فى جنوب البلاد ، وكانت له مدنية وحضارة امتدت حتى كريت وليبيا وآسيا الصغرى واليونان ، وقبل أن تقوم سفن

الفينيقيين بجوب البحار كانت سفن الفلسطينيين تمخر عباب البحار الى المناطق الواقعة في الحوض الشرقي من البحر المتوسط ، وكانت أشهر مدن الفلسطينيين يافا وغزة ومجدل وعسقلان وبيت داجون وبيت جبرين وغيرها ، وكان هذا الشعب يعبد الاله داجون وقد رسموه على شكل سمكة كبيرة مما يدل على أن هذا الشعب كان يميل الى أعمال البحر ، وكان هذا الشعب يعيش حياة القبائل العربية ، ولكل قبيلة ملك ، وكانت أسماء هؤلاء الملوك تدل دلالة واضحة على أنهم عرب •

وقبل أن يأتي الفلسطينيون ويستقروا في الرقعة الجنوبية من أرض فلسطين كانت هناك قبائل عربية أخرى قد استقرت في البلاد وأقامت فيها • ومنها العمالة الذين كانوا يستوطنون القدس وما حولها ، والكنعانيون الذين كانوا يستولون على جبال السامرة والكرمل الى لبنان ، كما كانت هناك قبائل أخرى مستقرة في البلاد •

من العسير الفصل بين تاريخ فلسطين ، وتاريخ سوريا ، وتاريخ مصر ، عبر القرون الطويلة ، الا في بعض الأزمنة والعصور القصيرة التي خضعت فيها أقسام من سوريا لغزوات جاءت عليها أحيانا من بابل أو مقدونيا ، أو روما ، أو فارس • وكثيرا ما اشتركت سوريا كلها في الدفاع عن وحدتها أمام غزوات الفاتحين ومطامع الطامعين ، وكثيرا ما خاض أبناء سوريا المعارك جنباً الى جنب مع اخوانهم سكان الجنوب في رد العدوان الأجنبي • وهكذا رأينا فلسطين قطرا عربيا أصيلا ، ولا تشوب عرويته شائبة ، بل وضحت هذه العروبة بعد الهجرات العربية قبل الاسلام ، ثم خلدت العروبة بالموجة الاسلامية الكبرى التي خرجت في عهدي أبي بكر وعمر بن الخطاب تنتشر الاسلام في الشام ، وتحرره من الطغيان الروماني • ومما زاد في قدسية بيت المقدس ما كان من الاسراء والمعراج •

ورحب سكان الشام العرب بالجيوش العربية الاسلامية ، فقد كانوا على استعداد للاستقلال بظل الراية الاسلامية التي وحدت بينهم دون أن نرغم أحدا منهم على اعتناق الدين الاسلامي ، وكان معظم هؤلاء السكان من العرب الذين حررتهم الراية الاسلامية من الاستعمار الروماني ، فأصبح الجميع شعبا واحدا • وانخرط رجال الشام في الجيوش العربية التي نشرت

راياتها في الشرق والغرب ، فكان معظم أفراد الجيوش وقوادها من أهالي الشام .

أصبحت أرض فلسطين تابعة للدولة الأموية ، ( دون أن تكون هناك حدود بينهما ) . وكان الخلفاء الأمويون يملكون الضياع والقصور فيها ، ويقضون فصل الشتاء في مناطقها الدافئة ، فكان الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان يقيم أحيانا في مدينة الرملة البيضاء ، وكان الخليفة هشام بن عبد الملك يقيم في أريحا . والمعروف أن الخلفاء الأمويين هم الذين أقاموا المسجد الأقصى وبنوا قبة الصخرة ، وأنشأوا المدن والقصور وعمروا القرى والديساكر .

ثلثت فلسطين تشارك أمها سوريا الأحداث والتطورات ، في عهود العباسيين ، ثم الأيوبيين ، ثم المماليك ، ثم العثمانيين ، دون أن يحاول أحد من الفاتحين التفريق بينهما أو شطرهما ، أو إيجاد حدود أو أسماء لكل منطقة من مناطق سوريا ، بل على العكس كان المعروف أنها جميعا تؤلف قطرا واحدا أطلق عليه اسم ( بر الشام ) .

أصبح لفلسطين دور عظيم في سجل تاريخ النزاع بين الشرق والغرب استمر مائتي عام . ودفن في تربته كذلك عشرات الألوف من الشهداء العرب والمستعربين المسلمين . وانتهى بتخليد صفته العربية الإسلامية ومدته القبائل العربية بعد ذلك بموجاتها التي خلدت أسماءها في مختلف بقاعه ، مثل ديار بني حسن وبني مرة وغسانة والحوارث والحارثية وبني عامر وغيرها . فضلا عن الموجات التي مازالت تحتفظ بصفتها وطابعها القبلي البدوي والمتوطنة في أرجاء عديدة في الجنوب والشرق والشمال .

### المصلات بين مصر والقدس قبل العصر الفاطمي :

انتصر العرب المسلمون على الجيوش الرومانية انتصارا حاسما في موقعة اليرموك ، وكان الامبراطور هرقل خلال المعركة معسكرا ببيت المقدس ، فرأى بعد هزيمة جيوشه أمام المسلمين أن بقاءه ببيت المقدس خطر عليه ، فآثر الانسحاب الى حمص واتخذها مركزا للعمليات العسكرية . وكانت الشام حينئذ مقسمة الى أربع مقاطعات حربية ، هي دمشق ،



وحمص ، والاردن وتشمل الجليل الى صحراء الشام ، ثم فلسطين وهى  
الأراضى الواقعة الى الجنوب من سهل مرج ابن عامر •  
استولى العرب المسلمون على دمشق بعد أن حاصروها سبعين يوما •  
ثم استولوا على فحل ، وحمص ، وحماة ، وقنسرين ، واللاذقية ، وحلب •  
وزحف القائدان العربيان شرحبيل وعمرو بن العاص الى ( بيسان ) ، فطلبت  
الصلح والأمان • ثم فتح العرب يافا ونابلس وعسقلان وغزة والرملة وعكا  
وبيروت • وقد استولى العرب على هذه المدن كلها بدون قتال ، وصمدت  
بيت المقدس •

كان يتولى الدفاع عن بيت المقدس قائد روماني يدعى ( أرطوبون ) ،  
أصر على عدم تسليمها للعرب ، فحاصروها أربعة شهور لم ينقطع فيها  
القتال ، واعتبر العرب المسلمون فتح بيت المقدس مسألة دينية أكثر منها  
مسألة سياسية ، فقد كانوا يعظمون بيت المقدس بعد مكة والمدينة •  
لم يستطع أهل بيت المقدس الاستمرار في تحمل الحصار الطويل ،  
وأدركوا أن العرب يستولون على مدينتهم آجلا أو عاجلا ، وأرادوا الاحتفاظ  
بكنيستهم العظمى ، ورأوا أن يحضر الخليفة عمر بن الخطاب بنفسه ليمنحهم  
ما يشاءون من أمان ومواثيق ، ووافق الخليفة على القدوم الى بيت المقدس  
سنة ١٨ هـ ( ٦٣٩ م ) •

وخلال وجود الخليفة عمر بن الخطاب في بيت المقدس كان مشروع فتح  
مصر ، فقد انتهز عمرو بن العاص فرصة وجود الخليفة ليعرض عليه القيام  
بفتح مصر ، فقال للخليفة :

« انك ان فتحتها كانت قوة للمسلمين وعونا لهم » • وأبدى عمر تردده  
وعدم موافقته على غزو مصر ، فكان يرى أن الوقت لم يحن بعد للقيام بهذا  
المشروع الكبير ، فقد كانت الجيوش الاسلامية منتشرة في فارس والشام  
تقاتل فلول الفرس والرومان ، فلم يكن يتوفر للعرب أن يعدوا جيشا كثيفا  
لفتح مصر • كما أن الجيوش العربية كانت في حاجة الى فترة هدوء وسلام •  
تثبت فيها أقدامها في البلاد المفتوحة قبل أن تقدم على غزو جديد •

ولكن عمرو بن العاص ألح على الخليفة عمر بن الخطاب ، وأخذ يبين له  
سهولة فتح مصر ، ودلل على رأيه أنه كان يقصدها للتجارة قبل ظهور

الاسلام ، ووصف عمرو خصب أرض مصر ، ووفرة ثروتها ، وأكد أن فتح مصر يؤمن فتوح العرب في الشام •

والواقع أن فتح مصر أصبح ضرورة بعد فتح الشام وفلسطين ، لتأمين الفتوحات الاسلامية في الشام • وقد ارتبطت مصر منذ أقدم العصور ببلاد الشام بمصالح سياسية وحربية وتجارية واحدة • وغالبا ما خضعت مصر والشام في العصور المختلفة لدولة واحدة •

وبعد تمام فتح مصر ، ازدادت الصلات بين بيت المقدس والقطر المصري ، اذ أصبحت مصر والشام ولايتين من ولايات الدولة العربية الاسلامية • وتمتع أهالي الاقليمين بما اشتهر به العرب المسلمون من تسامح وعطف على أهل الكتاب • واستراح الأهالي مما كانوا يعانون منه تحت الحكم الروماني البيزنطي من اضطهاد ديني ، نتيجة الخلاف المذهبي بين الدولة الرومانية ورعاياها من أهالي مصر والشام •

واستمر المصريون طوال العصرين الأموي والعباسي ، يتوافدون على بيت المقدس • فكان المسيحيون منهم يحجون الى كنيسة القيامة ، بينما حرص المسلمون على زيارة المسجد الأقصى بالقدس ، حيث كان الاسراء والمعراج •

استمرت بلاد الشام ومصر ولايتين منفصلتين في عهود الخلفاء الراشدين والأمويين والعباسيين ، حتى قامت الدول المستقلة في مصر ، وكان أولها الدولة الطولونية ، وقد حرصت هذه الدول جميعا على أن تمتد نفوذها الى بلاد الشام ، وأصبحت القدس تابعة لهذه الدول من النواحي السياسية والادارية ، مما وثق الصلات بين مصر وبيت المقدس فقد مدت كل من الدولتين الطولونية والاخشيديية نفوذها الى بلاد الشام •

وفي عصر الدولة الاخشيديية ، هدد القرامطة بلاد الشام ، وخاصة فلسطين • وكان القرامطة جماعة من الشيعة الاسماعيلية ، وقد نادوا بكثير من الآراء المتطرفة ، وهاجموا المدن والقرى وأسرفوا في سفك الدماء وأثاروا الرعب والخوف في القلوب • ونجح القرامطة في العصر الاخشيدي في فتح مدينة الرملة ، ودافع الاخشيديون عن بيت المقدس ، فانفق الاخشيديون مع

القرامطة على أن يدفعوا للقرامطة ثلاثمائة ألف دينار سنويا ، على أن يكفوا أيديهم عن الشام •

### الصلات بين مصر وبيت المقدس في العصر الفاطمي :

قامت الدولة الفاطمية في أول أمرها في بلاد المغرب • وهذه الدولة علوية شيعية أنشأها أحفاد لعلى بن أبى طالب وزوجته السيدة فاطمة بنت الرسول ، وانتسبوا إليها • وأصبحت هناك خلافتان ، خلافة سنية في بغداد بالعراق وهى الخلافة العباسية ، وخلافة شيعية في القيروان بالمغرب وهى الخلافة الفاطمية •

كان الخلفاء الفاطميون يفضلون أن تقوم الدولة الفاطمية في مصر بدلا من المغرب ، لتوسط مصر العالم الاسلامى ، وحتى ييسر الفاطميون نفوذهم على بلاد الشام والحجاز ، ولكن قرب مصر من بلاد العراق موطن الخلافة العباسية ، جعل الفاطميين يفضلون أن تقوم دولتهم في بلاد المغرب • وقد بدأت محاولات فتح مصر منذ عهد الخليفة الفاطمي الأول عبيد الله المهدي ، واستمرت المحاولات الفاطمية ، حتى نجح الخليفة الفاطمي الرابع المعز لدين الله في فتح مصر • فبدأت الصلات بين مصر وبيت المقدس تدخل في دور جديد •

تولى أمر فتح مصر القائد الفاطمي المشهور جوهر الصقلي ، الذى أسس مدينة القاهرة في نفس الليلة التى دخل فيها الفسطاط • وبعد استقرار جوهر في مصر ، بعث حملة عسكرية الى فلسطين في أوائل سنة ٣٥٩ هـ بقيادة جعفر ابن فلاح الكتامي • ونجح جعفر في فتح مدن فلسطين وفي مقدمتها بيت المقدس ، وأعلن أنه يريد انقاذ فلسطين والشام من خطر القرامطة • ولكن القرامطة نجحوا في فتح فلسطين واجلاء الفاطميين عنها ، بل تقدم جيش القرامطة زاحفا نحو القاهرة ، ولكن الفاطميين نجحوا في صد القرامطة ، واستعادوا فلسطين مرة أخرى •

وفي أواخر القرن الخامس الهجرى ، بدأ ضعف الدولة الفاطمية ، فبدأت الدولة العباسية تطمع في استرداد نفوذها في فلسطين ، وخاصة في بيت المقدس وكان السلاجقة حينئذ أصحاب النفوذ الحقيقى في بلاد العراق ،

ولذلك نجح السلاجقة في استعادة بيت المقدس من الفاطميين سنة ٤٦٥ هـ .  
وفي سنة ٤٨٩ هـ كان الضعف قد بدأ يدب بين صفوف السلاجقة  
والعباسيين ، فرأى الفاطميون استعادة بيت المقدس ، فتقدم الوزير  
الأفضل بن بدر الجمالي على رأس حملة عسكرية واسترد بيت المقدس .  
ولكن هذا الصراع بين الفاطميين والسلاجقة ، حول النفوذ السياسى فى بلاد  
الشام ، أدى الى تفتيت الجبهة الاسلامية ، مما شجع الحملات الصليبية  
على القدوم الى بلاد الشام .

### الخطر الصليبي يهدد القدس ومصر في وقت واحد :

بدأت الحملات الصليبية فى العصر الفاطمى سنة ٤٩٨ هـ ( ١٠٩٦ م ) ،  
وانتهت فى عهد المماليك سنة ٦٩٢ هـ ( ١٢٩٢ م ) . ويعرف المؤرخون  
الحروب الصليبية بأنها حركة أوروبية اعتدائية توسعية استمدت جذورها  
من قديم التنافس العميق بين الشرق والغرب ، ومن توغل الفتوح  
العربية الاسلامية الأولى فى أطراف الامبراطورية البيزنطية ، وفى أجواف  
الممالك المسيحية الغربية فى اسبانيا وفرنسا وإيطاليا وجزر البحر المتوسط .  
وتخساف الى هذه العوامل العالمية الكبرى ، عوامل أوروبية محلية .

كان من جراء الفتوحات الاسلامية لقسم غير قليل من المقاطعات الأوروبية  
أن تفتحت أذهان شعوبها الى وجوب نبذ الاختلافات والحروب الدينية  
القائمة فيما بينهم وطرحها جانبا للعمل على جمع صفوفهم لمقاومة تيارالخطر  
الاسلامى الذى داهمهم بفتوحاته وهم فى غفلة من ذلك ، وقد انشغلوا  
بنزاعاتهم الداخلية .

وراح القوم ينادون تحت زعامة البابا ( أورين الثانى ) سنة ١٠٩٦ م ،  
الى اعلان حرب صليبية لا هوادة فيها على العرب المسلمين وتخليص بيت  
المقدس من أيديهم . ومن عوامل الحروب الصليبية أيضا رغبة البابوات فى  
توجيه الفرسال لقتال المسلمين بدلا من الانصراف الى الحروب الداخلية ،  
ومحاولة الاستيلاء على ما بيد المسلمين من الممتلكات . ومن هذه العوامل ،  
مطامع الأمراء والنبلاء الذين اشتركوا فى هذه الحروب ، والحرص على  
انشاء امارات مستقلة فى الشرق . ولم يدفع المذن الايطالية الى الاشتراك

في هذه الحروب الصليبية الا الرغبة في الحصول على منتجات الشرق ومتاجره . ومن العوامل التي اجتذبت الناس للاستيلاء في الحروب الصليبية ، ما انتشر في غرب أوروبا حينئذ من الأوبئة والمجاعات ، فتدفقت جموع المهاجرين ، وأقبلت على الانضمام الى المشتركين في هذه الحروب ، ولاشك أن هذا السيل من المهاجرين الى الشرق حمل في طياته عددا كبيرا من المغامرين والدهماء والرهبان الهاربين من الأديرة ، والعبيد الهاربين من ساداتهم .

هذه هي العوامل الحقيقية التي أنتت بالحملة الصليبية الى الشام ومصر ، حتى نتبين أن هذه الحملة لم تكن حربا دينية ، بل كانت حربا استعمارية ، وأنها حلقات في سلسلة الصراع بين الشرق والغرب . وإذا فلا جدوى من مزاعم الصليبيين حينما نادوا بتحرير الأماكن المقدسة في بيت المقدس ، وزعموا أن الحجاج المسيحيين يلقون الاضطهاد من المسلمين . والأبحاث التاريخية الجديدة في أوروبا تبرز العوامل السياسية والاقتصادية والاجتماعية للحروب الصليبية ، وتشيد بتسامح السلطات الحاكمة الاسلامية في بيت المقدس ، وتعدد مظاهر تسامح المسلمين نحو المسيحيين . وفي أواخر القرن الخامس الهجري ( الحادي عشر الميلادي ) ، غزت شواطئ الشام حملة أوروبية ، اشترك فيها البابا وانجلترا وفرنسا وألمانيا ، وتمكنت تلك الحملة من تأسيس أربع امارات صليبية في الشام ، هي : بيت المقدس ، وأنطاكية ، والرها ، وطرابلس .

ومما ساعد تلك الحملات على تثبيت قدمها في تلك الامارات ، ذلك النزاع الذي كان قائما بين السلاجقة السنيين في العراق ، والفاطميين الشيعة في مصر ، أضف الى ذلك حدوث التنافر بين الامارات الاسلامية في حلب ودمشق وغيرها ، مما أضعف الجبهة الاسلامية عن أن تدرك خطر الغزو الصليبي الداهم .

بدأ الصليبيون زحفهم بالاستيلاء على أنطاكية . وأراد الفاطميون أن يحرموا بيت المقدس ، فأرسل الوزير الفاطمي الأفضل بن بدر الجمالي سنة ٤٩٢ هـ سفارة الى الصليبيين للتفاوض في عقد اتفاق معهم ، على أن يقنع الصليبيون بأنطاكية ، ويحتفظ الفاطميون ببيت المقدس على أن يسمح

لالصليبيين بزيارة الأماكن المقدسة بفلسطين وتكون لهم الحرية في أداء شعائهم الدينية على ألا تزيد مدة إقامتهم بها عن شهر واحد ، وألا يدخلوها بسيوفهم \*

ولكن هذه السفارة الفاطمية أخفقت في إقناع الصليبيين بالعدول عن غزو بيت المقدس \* ودافع المسلمون عن القدس دفاعاً مجيداً مستميتاً ، ولكن قائد الحملة الصليبية عثر على منفذ للمدينة لم يهتم المسلمون بتحسينه ، فدخل منه إلى المدينة \* واعتصم المسلمون بالمسجد الأقصى ، فتعقبهم الصليبيون وقتلوا الآلاف منهم \*

### مفتاح بيت المقدس يوجد في القاهرة :

يستخدم المؤرخون دائماً هذه العبارة ، فقد آمن الصليبيون بعد نجاحهم في الاستيلاء على بيت المقدس وغيرها من مدن الشام ، أنه لا بقاء لهم بها ، إلا إذا أمنوا جانب مصر أولاً \* وبات الصليبيون ينتظرون فرصة تسنح لهم لوضع أقدامهم في مصر باعتبارها قلب العالم العربي الإسلامي ، وقد انتهم هذه الفرصة في أواخر العصر الفاطمي ، خلال نزاع الوزيرين الفاطميين ( نساور ) و ( ضرغام ) ، في عهد آخر الخلفاء الفاطميين العاضد \*

فقد طلب نساور النجدة من قوة إسلامية بالشام ، فاستنجد بنور الدين زنكي ، بينما استنجد منافسه بالصليبيين في بيت المقدس ، ورحب الصليبيون بهذه الفرصة المواتية \* ولكن نور الدين كان أكثر نشاطاً ، فقدم جيشه إلى مصر قبل قدوم الجيش الصليبي ونجح شيركوه قائد نور الدين في هزيمة جيش ضرغام وقتله \*

ثم بعث نور الدين حملة عسكرية ثانية بقيادة شيركوه وابن أخيه صلاح الدين ، في نفس الوقت الذي قدمت فيه حملة صليبية بقيادة عموري ملك بيت المقدس \* وتسابق الجيشان في الزحف إلى القاهرة ، فوصلا في وقت واحد تقريباً ، وانضم إلى الصليبيين الوزير الفاطمي نساور وبعض أنصاره ونصبوا معسكرهم عند القسطنطينية ، بينما عسكر شيركوه ومن انضم إليه من المصريين عند الجيزة \* وبدأ قتال عنيف بين الفريقين انتهى بفوز شيركوه ، ولكن المعركة أنهكت قوى جيشه ، فرأى ألا يزحف إلى القاهرة

الابعد أن ينال جنده فترة من الراحة ، فزحف الى الاسكندرية واستولى عليها بدون قتال ، وعين ابن أخيه صلاح الدين حاكما عليها •

اتخذ شيركوه من الاسكندرية نقطة ارتكاز يركز عليها في صراعه مع الصليبيين ، وأدرك الصليبيون هدف شيركوه ، فزحفوا الى الاسكندرية وحاصروا شيركوه ، وانتهى الحصار بميل الفريقين الى السلام ، فتصالحا على أن يعود شيركوه الى الشام بعد أن يدفع خمسين ألف دينار للصليبيين ، وأن ينسحب الصليبيون أيضا من الأراضي المصرية •

نقض الصليبيون شروط الصلح ، وتقدموا نحو مصر ، فاضطر نور الدين الى انفاذ حملة ثالثة ، وانضم شاور والمصريون الى شيركوه ، فقد أدركوا خطورة الصليبيين وخاصة أنهم عاثوا فسادا في مدينة بلبيس بالشرقية وارثكبا كثيرا من الفطائع • واستمر الصليبيون في زحفهم نحو الفسطاط ، وأراد شاور أن يحول دون تقدمهم فأشعل النيران في الفسطاط ، فظلت النيران مشتتة أكثر من خمسين يوما ، واستطاع شيركوه بمعاونة شاور والمصريين أن يوقع هزيمة منكرة بالصليبيين ، ودخل شيركوه مدينة القاهرة حيث استقبله المصريون استقبالا حافلا ورحب به الخليفة العاضد الفاطمي وخلق عليه وأكرمه • وخشى شيركوه أن يفكر شاور في الاستتجاد مستقبلا بالصليبيين فتخلص منه بالقتل •

أصبح شيركوه وزيرا للخليفة الفاطمي الأخير العاضد ، ولكن مدة وزارته لم تطل أكثر من شهر ، فعهد الخليفة بالوزارة لابن أخيه صلاح الدين الأيوبي • وألح نور الدين زكى على صلاح الدين في القضاء على الدولة الفاطمية المتداعية ، واستجاب صلاح الدين ، بعد تردد ، لنداء نور الدين ، فقطع الخطبة للخليفة الفاطمي العاضد وخطب للخليفة العباسي ، وكان الخليفة العاضد في فراش مرضه الأخير ، وما لبث أن مات • وبذلك أسدل الستار على الدولة الفاطمية ، ليبدأ تاريخ الدولة الأيوبية •

### سلطان مصر صلاح الدين يحرر القدس :

أصبحت مصر واقعة تحت الخطر الصليبي منذ نجح الصليبيون في اقامة مملكة بيت المقدس وتحول الصليبيون عن أغراضهم الأولى التي قدموا الى

الشرق من أجلها ، فانشغلت قواتهم بالسلب والنهب وايداء المسلمين والعرب المسلمين .

اضطرت القوات الصليبية الى الجلاء عن مصر بعد هزيمة شيركوه لها بمعاونة شاور والمحريين . ونجح صلاح الدين في القضاء على الدولة الفاطمية وتولى الوزارة . ولكن بدأت متاعب صلاح الدين ، فقد قامت في وجهه عدة ثورات في مصر ، وخاصة ثورة الجند السودانيين ، وانتهر الصليبيون هذه الفرصة ، وبدأت القوات الصليبية تزحف نحو حدود مصر ، فخرجت من عسقلان الى الفرما ومنها الى دمياط . وفي نفس الوقت توجه أسطول صليبي بيزنطي مشترك نحو دمياط . وأخفق الصليبيون أخفاقا ذريعا واضطروا الى الجلاء عن دمياط .

تكشفت هزيمة الصليبيين في دمياط عن مواطن الضعف في قواهم ، ورأى صلاح الدين أن يتحول عن سياسته الدفاعية الى سياسة هجومية ، فيغزو الصليبيين في عقر دارهم ، ويحرر بيت المقدس . فقام بهجوم عنيف على الرملة وعسقلان وغزة وأيله وغيرها من المدن التي وقعت في أيدي الصليبيين .

وساعدت المقادير صلاح الدين فقد توفي عموري ملك بيت القدس سنة ٥٦٩ هـ ( ١١٧٣ م ) ففقد الصليبيون أعظم رجالهم وخلفه ابنه بلدوين الرابع وكان طفلا مريضا بالبرص ، ولذا تولى الوصاية عليه ريموند الثالث ، وانقسم الصليبيون على أنفسهم ، الى أن ظهر من بينهم زعيم جديد تمكن من جمع شملهم وهو ( رينالد دي شانليون ) الذي يسميه العرب ( أرناط ) ، ولكن ظلت عوامل الاختلاف كامنة تهدد وحدة الصليبيين ، فقد انقسموا الى حزبين : حزب يدعو الى الاستمرار في شن الحرب على المسلمين ، وحزب آخر يرى عقد هدنة معهم ، وتزعّم الحزب الأخير ريموند الثالث .

أعد صلاح الدين جميع وسائل تحرير بيت المقدس من أيدي الصليبيين . فجعل من مصر والشام ومواردهما الاقتصادية الوفيرة قاعدة ومصدرا لعملياته الحربية والدبلوماسية التي تطلبها هدفه الكبير ، سواء ضد مملكة



بيت المقدس ، أو ضد الأمراء المسلمين المعادين له بالشام والجزيرة ، فضلا عن العمليات الداخلية ذات الطابع الحربى فى مصر نفسها ، وهى إعادة تحصين القاهرة ، وتكميل تسويرها مع الفسطاط ، وتحصين الاسكندرية ودمياط وتتيس .

بدأ صلاح الدين يعمل على تحقيق الوحدة العربية الاسلامية ، وأصبح الرجل الأول فى مصر والشام . واستمر فى كفاحه ضد الصليبيين ، فاستبكت معهم فى عدة مواقع ، فهزمهم عند الرملة وحماه وحمص ، ثم هزمهم سنة ٥٧٤ هـ ( ١١٧٨ م ) فى موقعة مرج العيون ، ثم موقعة مخاضة الأحران سنة ٥٧٥ هـ ( ١١٧٩ م ) ، ووقع فى قبضة صلاح الدين ( بلدوين ) ملك بيت المقدس وريموند ملك طرابلس ، واضطر بلدوين وريموند الى عقد هدنة لمدة عامين سنة ٥٧٩ هـ .

ولكن ( رينالد شايبتون ) المعروف باسم أرناط ، استمر على عدائه للمسلمين ، ووجه ضربة حمقاء الى كافة العالم الاسلامى ، اذ قام بمغامرة بحرية لغزو الأماكن المقدسة عند المسلمين فى مكة والمدينة ، ولكن الحملة الصليبية اكتفت بالسلب والنهب من الموانئ الاسلامية الواقعة عند البحر الأحمر وعادت الى قواعدها خائبة . وبعث نائب صلاح الدين فى مصر ، وهو أخوه العادل ، حملة بحرية مصرية لحقت بالسفن الصليبية عند ( أيلة ) وأوقعت بها الهزيمة ، وتحطمت معظم سفن الصليبيين ، وأسرع الصليبيون الى الساحل هربا بأرواحهم ، فلق بهم البدو فأبادوهم عن آخرهم .

سخط المسلمون على أرناط ومحاولته الحمقاء لتحطيم أماكنهم المقدسة ، وأقسم صلاح الدين على أن ينتقم من أرناط أشد انتقام ، وبدأ يستعد لقتال الصليبيين استعدادا واسع النطاق ، وتخلل هذا الاستعداد انفاذ حملات تأديبية كانت تغير فى سرعة ومفاجأة على الأراضى الصليبية وتنزل بالصليبيين أفدح الخسائر . وعلم الصليبيون باستعدادات صلاح الدين ، فنتشاوروا فيما يفعلون ، وانقسموا الى رأيين : رأى يجذب الخطة الهجومية ، ورأى آخر يرى الوقوف موقف الدفاع ، وانتصر رأى الأخير .

## انتصار حطين يمهّد لتحرير القدس :

ازداد أرناط عتوا واستهتارا ، برغم ما بين صلاح الدين ومملكة بيت المقدس وسائر الامارات الصليبية من هدنة أملت عليه بعض مشاغله ببقايا مقاومة الموصل حينئذ واختار أرناط لالظهار عتوه واستهتاره قافلة تجارية من القاهرة ، وهي مارة قرب حصنه بالكرك في طريقها الى دمشق سنة ١١٨٦ م . فاعترضها واستولى على جميع متاعها ، وبذلك نقص أرناط الهدنة العامة ، وجعل الحرب قاب قوسين بين صلاح الدين ومملكة بيت المقدس ، وهي أدنى من ذلك بكثير .

بدأت مقدمات موقعة حطين الشهيرة في التاريخ العربي الاسلامي ، فقد حشد صلاح الدين جيوشه من كل مكان في دولته الكبرى ، وأصبح صلاح الدين بعد نقص أرناط الهدنة في حل من الهدنة التي كان قد عقدها مع الصليبيين .

وفي ٢٥ ربيع الثاني سنة ٥٨٣ هـ ( ٤ يوليو ١١٨٧ م ) بدأت معركة حطين ، وانتهت بهزيمة الصليبيين هزيمة ساحقة ، لقي كثير منهم فيها حتفه ووقع ملوكهم في الأسر ، وقتل صلاح الدين ( أرناط ) بيده كما أقسم .

كان انتصار صلاح الدين في حطين الحلقة الأولى في سلسلة انتصارات باهرة ، فقد استسلمت قلعة طبرية ، ومدينة عكا ، وسائر مدن الساحل مثل نابلس والرملة ويافا وبيروت . وبدأ حصار معقل الصليبيين بيت المقدس ، فاضطرت الى التسليم ، وأبدى صلاح الدين تسامحا مع أهلها ، بل أطلق سراح زوجة عدوه اللدود أرناط ، وأصلح المباني التي تأثرت بالحصار . واستنجد الصليبيون بملوك أوروبا ، ففقدت الحملة الصليبية الثالثة ، وفي مقدمتها فردريك بارباروسا امبراطور ألمانيا وفيليب أوغسطس ملك فرنسا ، وريتشارد قلب الأسد ملك إنجلترا .

زحف بارباروسا بجيش ألمانيا بالطريق البري ، وغرق في أحد أنهاره ، وتفرق معظم جنده وعادوا الى وطنهم أما ملكا إنجلترا وفرنسا فقد اتخذ الطريق البحري ، ومكثا عاما كاملا في جزيرة مسقلية ، ثم نجحا في استرداد عكا منتهزين فرصة انشغال صلاح الدين بمرضه ثم عاد فيليب الى فرنسا ،

واستمر ريتشارد يقاتل المسلمين عاما كاملا ، ثم رأى أن يركز جهوده لاسترداد بيت المقدس • ورأى صلاح الدين أن يترك المدن الساحلية للصليبيين وتركيز جهوده للاحتفاظ بالداخل ، وخاصة ببيت المقدس • واستولى الصليبيون فعلا على مدن الساحل ، ولكن الصليبيين شعروا بالملل والضعف وعدم جدوى القتال فرأوا أن يهادنوا صلاح الدين بل برز مشروع زواج العادل أخى صلاح الدين من ( جوانا ) أخت ريتشارد ، وانتهت المفاوضات بين الفريقين بعقد صلح الرملة في سبتمبر ١١٩٢ م •

ينص هذا الصلح على : ( ١ ) تخريب عسقلان باعتبارها مفتاح بيت المقدس فتصبح منطقة حراما ( ٢ ) يسيطر الصليبيون على المدن الساحلية الممتدة بين صور وبيافا ، على أن يسيطر المسلمون على جنوبى ذلك الساحل وعلى بيت المقدس أيضا ( ٣ ) السماح للحجاج المسيحيين بالحج الى بيت المقدس بشرط أن يقدموا إليها من عكا من ناحية البحر •

ونفذ المسلمون شروط صلح الرملة ، وأبدوا تسامحا واضحا ، فقدم الى بيت المقدس آلاف الحجاج ، وظل القساوسة يؤدون واجبه الدينى فى حرية تامة •

### الصليبيون يغزون مصر بدلا من استرداد القدس :

مات صلاح الدين بعد أن أنهكه طول جهاده للصليبيين ، وأدرك العرب والمسلمون مدى الخسارة الفادحة التى لحقت بهم • وفى عهد العزيز الذى خلف صلاح الدين ، توقف الصراع العنيف بين الصليبيين والمسلمين ، عدا مناورات محدودة ، فقد انشغل كل من الفريقين فى مشاكله وانقساماته الداخلية •

ثم تولى الحكم الملك العادل ، وكان توليه بمثابة احياء لأمجاد صلاح الدين ، فقد نجح فى تحقيق ما كان قد حققه صلاح الدين من وحدة العرب والمسلمين ، وأدرك الصليبيون أنهم أمام خصم قوى • وضح للزعماء الصليبيين أصحاب التجارب السابقة فى الحروب السابقة بالشرق ، أن اجتماع القوى الأيوبية فى يد السلطان العادل سوف يعود بهم

الى أيام صلاح الدين ، وأن مصر سوف تصبح مركز التموين الماسى والروحى ، كما كانت فى عهد صلاح الدين ولذا أضخى الاستيلاء على مصر قسمة منطقية ، وضرورة حربية ، لضمان استرداد بيت المقدس ، ونهض البابا أنوسنت الثالث للدعوة لحملة صليبية جديدة بكون هدفها القلتر المصرى ، وانفق زعماء تلك الحملة مع جمهورية البندقية على نقل جنودهم وعتادهم على سفن البندقية مقابل ايجار مالى معين ، فضلا عن نصف الأراضى التى سوف تستولى عليها الحملة •

لم تقدم الحملة الصليبية الى مصر ، كما كان مرسوما لها ، بل توجهت الى القسطنطينية ، فقد كانت البندقية مهتمة بانتهاء مشكلة العرش البيزنطى وما دار حولها من نزاع ، ونسوا الهدف الأصيل وهو غزو مصر ، وانصرفوا الى غزو الدولة البيزنطية ، واكتفى الصليبيون بانفاذ بعض سفنهم الى مصر ، ونزل الجند الصليبيون فى رشيد ، ومنها الى فوه ، وعقد العادل صلحا ، كما عقد البنادقة تحالفا مع العادل ، فقد فضلوا حماية مصالحهم التجارية على مساعدة الصليبيين •

وفى عصر العادل ، قدمت حملة صليبية عجيبة فى تكوينها ، فكانت تتألف من آلاف الأطفال جمعوهم من دول أوروبا ، تحقيقا لنبوءة ذاعت وتزعم أن استرداد بيت المقدس لا يكون الا على أيدي صبيان أطهار أبرار حيث عجز الرجال • وانتهت هذه الحملة بالاخفاق الذريع ، ووقع هؤلاء الصبيان فى أيدي المسلمين •

أراد الصليبيون أن يستردوا كرامتهم الضائعة حيث اعتمدوا على أطفال أبرياء وعرضوهم للقتل والأسر • فقدمت حملة صليبية جديدة الى عكا ، ونجح الصليبيون فى فتحها ، ثم استولوا على صيدا ، وزحف القائد الصليبي ( جان دى برين ) نحو دمياط ففتحها بعد حصار دام أربعة أشهر أبدى المصريون فيها ضروبا من الشجاعة ، وحزن العادل لسقوط دمياط ومات كمدا وحزنا •

تولى الكامل السلطة بعد العادل ، فبدأ يستعد لطرد الصليبيين من دمياط ، وأغرق بعض سفنه في نهر النيل ليمنع تقدم الصليبيين برا وبحرا ، وتحالفت الطبيعة مع الكامل ، فهبّت رياح عاصفة في البحر المتوسط واستتدت برودة الشتاء ، وانتشر الوباء بين الجند الصليبيين \* ولكن ما لبث أن انشغل الكامل بثورات داخلية وانخفاض النيل مما شغله عن التفرغ لقتال الصليبيين ، وعرض على الصليبيين أن يجلوأ عن دمياط مقابل تنازله عن بيت المقدس لهم ولكنهم رفضوا عرضه \*

آساع الصليبيون فرصة سنحت لهم لاسترداد بيت المقدس ، مما يدل على تحولهم عن الغرض الرئيسي الذي قامت من أجله الحملات الصليبية ، وهو استرداد بيت المقدس ثم بدأوا يزحفون نحو القاهرة ، ولكنهم أخطأوا مرتين : أولاها حين آساعوا وقتا كبيرا في مناقشة موقفهم وانتظار الأمداد التي تحصلهم من أوروبا ، ولم يبدأوا في الزحف الا في يوليو سنة ١٢٢١ م أى بعد مرور عام ونصف ، فكان المسلمون قد استعدوا تماما لقتالهم . وثانيهما حين اتخذوا طريقا خاطئا من أجل الوصول الى القاهرة ، اذ أن الطريق الصليبي في الوصول اليها هو طريق الفرما وبليبس ، وهو الطريق الذي اتبعه كبار الفاتحين أمثال قبيز والاسكندر وعمر بن العاص ، ولكن الصليبيين تركوا هذا الطريق واخترقوا الدلتا حيث تجرى شبكة معقدة من القنوات وفروع النيل ، وفي وقت الفيضان ، مما جعل الدلتا خير مكان للدفاع والايقاع بالصليبيين ، كما نجح المصريون في توحيد صفوفهم ضد الصليبيين \*

أدت هذه الظروف الى تفوق المصريين على الصليبيين تفوقا ملحوظا ، ففقطعوا جسور النيل ، وتحولت أراضى الدلتا الى بحيرات وبرك أحاطت بالصليبيين ، فاضطروا الى طلب الأمان ، وعرضوا التنازل عن دمياط دون قيد أو شرط ، واتفق الطرفان على اطلاق سراح الأسرى وعقد هدنة لمدة ثماني سنوات ، وندم الصليبيون حيث رفضوا ما عرضه الكامل بالأمس عليهم من تنازل لهم عن بيت المقدس \*

وتسارع الشرق والغرب بأخبار الحملة الصليبية التي هدفت الى الاستيلاء على مصر ، وهال المعاصرين أن استولت هذه الحملة فعلا على ثغر دمياط لمدة غير قصيرة ، كما هالهم أن رفض الصليبيون مرتين عروض السلطان الكامل ، للجلاء عن مدينة واحدة بالغة الأهمية ، مقابل تسليمهم معظم مملكة بيت المقدس . ثم تسارع الشرق والغرب بما رُشيت به هذه الحملة من تسليم دمياط ، ومن جلاء سريع عن الشواطئ المصرية دون قيد أو شرط .

قدمت حملة صليبية جديدة بقيادة فردريك الثانى امبراطور الدولة الألمانية سنة ١٢١٥ م . ووصل فردريك الى عكا ، وأعلن أنه ينوى الاستيلاء على بيت المقدس ، ولكنه اضطر الى الميل الى المرونة نتيجة ذلة فيسائه ، وعداء ملك بيت المقدس ( دى برين ) له ، الى جانب طباع فردريك التي كانت تجنح الى السلام .

اتفق فردريك والكامل على أن يستولى فردريك على بيت المقدس ، عدا الحرم الشريف حيث المسجد الأقصى وقبة الصخرة ، وألا يقوم بتحصين بيت المقدس ، وأن يستولى أيضا على بيت لحم والناصره وبعض مدن الساحل ، وأن يكف فردريك عن مساعدة أعداء المسلمين ، وأن يطلق الإفريقان سراح أسرى كل منهما ، وتستمر الهدنة عشر سنوات . ولم يرض كل من المسلمين والصليبيين عن شروط هذا الصلح ، ولكن هذه الهدنة أعطت الكامل الفرصة لتحقيق وحدة الدولة الأيوبية ومواجهة اعتداءات الدولة الخوارزمية .

وفي عهد الملك الصالح أيوب عاد الصدام بين المسلمين والصليبيين ، ففي عهده قدمت حملة لويس التاسع ملك فرنسا الى مصر سنة ١٢٤٩ م وكانت الحملة تنضم ٢٨٢ سفينة رست في دمياط واستولت عليها . وكان الملك الصالح أيوب يعاني من آلام المرض ، حتى اذا استرد صحته تقدم لصد الصليبيين وعسكر شرق فرع دمياط . وانتظر الصليبيون حتى ينخفض النيل ليواصلوا زحفهم ، ولكن قلت الأقوات عندهم وانتشرت الأمراض بينهم ، وتقدم الصالح الى المنصورة وانضم اليه العربان والمتطوعون ،

وشنوا غارات على الصليبيين ، وتقدم الصليبيون نحو المنصورة ، واشتد المرض على الصالح أيوب ومات في نوفمبر ١٢٤٩ م •

أخفت شجرة الدر نبأ موت زوجها الصالح أيوب ، وبعثت في استدعاء ابنه توران شاه ، حتى اذا قدم الى مصر نجح في تشديد الحصار على الصليبيين ومنع عنهم الامدادات ، ودارت معركة رهيبية في شوارع المنصورة ، واتبع المصريون طريقة حرب العصابات ، فحاربوا الصليبيين في الحارات والأزقة ، وسقط معظم الصليبيين قتلى أو غرقى ، وأصيبت خيول الصليبيين ببوء أهلكها ، وطلب لويس الصلح وعرض تسليمه دمياط مقابل بيت المقدس ، ورفض توران شاه هذه الشروط ، وطارد الصليبيين الذين أسرعوا بالفرار من المنصورة •

أوقع توران شاه بالصليبيين هزيمة ساحقة عند فارسكور ، ووقع الملك لويس في الأسر وسجنوه في المنصورة في دار قاضيها ابن لقمان واقتدى لويس نفسه بنصف مليون دينار •

وهكذا بدأت الدولة الأيوبية عهدها بانتصارها على الصليبيين ، وانتهى عهدها بانتصارها عليهم أيضا ، وبقيت مدينة بيت المقدس ، وهي محور النزاع ، في يد الأيوبيين حتى النهاية • وانتقل مسرح الأحداث الصليبية - جغرافيا وتاريخيا - من مصر الى فلسطين ، أو بعبارة أخرى من دمياط ومشارفها ، الى عكا وما يجاورها من مدن فلسطين •

### سلاطين مصر المماليك يصدون المغول والصليبيين عن القدس :

كان أول ظهور المغول في وسط آسيا ، وكانوا في أول تاريخهم قبائل بدوية رعوية ، تمارس الهجوم على المدن والقرى فتسرف في القتل والسطب والنهب • ونجح جنكيزخان في توحيد قبائل المغول وانشاء دولة تضمهم ، ووضع دستوراً سماه ( اليباق ) ينظر الى الجنس المغولى على أنه أرقى الأجناس ، وأنه الجنس الذى يجب أن يسود سائر الأجناس •

بدأت دولة المغول توسعها شرقاً نحو الصين ، ثم تحولت نحو الغرب ، واجتاحت جحافل المغول الدول الإسلامية ، ونجحت في القضاء على الدولة العباسية وقتل آخر الخلفاء العباسيين ببغداد • ثم بدأ هولاكو ، قائد الجيش المغولي ، يستعد للهجوم على بلاد الشام •

وكان الصليبيون ، كما رأينا ، قد استقروا في بعض مناطق فلسطين ، وأصبح الصدام بين القوتين الطامعتين ، المغول والصليبيين ، وشيكا ، وأدرك الصليبيون أن المغول بعد أن يفرغوا من الشرق العربي سيجتاحوا القارة الأوروبية • ولذا رأى الصليبيون التحالف مع المغول لاقتسام الشرق العربي الإسلامي • وقصد سفراء هولاكو الى جزيرة صقلية حيث كان يوجد بها الملك لويس التاسع ملك فرنسا ، واتفق الطرفان على أن يوجه الصليبيون ضربتهم الى مصر ، باعتبارها أكبر قوة إسلامية ، بينما يجتاح المغول بلاد الشام • ونزل الصليبيون في دمياط ، ولكن الملك لويس التاسع لقي — كما رأينا — هزيمة ساحقة في فارسكور ، ووقع في الأسر ، وأخفقت هذه الحملة الصليبية على مصر •

بدأ اجتياح المغول لبلاد الشام ، وسقطت مدنه ، مدينة بعد مدينة ، واتبع المغول وسائل العنف والارهاب وسفك الدماء ، وزعم المغول أنهم لا يهزمون حتى يثيروا الرعب في القلوب • واقترب المغول من فلسطين ، ومن بيت المقدس •

ويرى المؤرخون المحدثون أن غزو المغول لبلاد الشام اتخذ طابعاً صليبياً ، فقد كانت زوجة هولاكو وأمه مسيحتين على المذهب النسطوري ، مما جعل هولاكو يبدي عطفه على المسيحيين ، وينزل سخطه على المسلمين • ورأى الصليبيون الاستفادة من المغول ، بتحويلهم الى المسيحية ، ولقيام تحالف بين الصليبيين والمغول ضد القوى الإسلامية •

وتذكر المصادر الأوروبية المعاصرة ، أن ملك أرمينية الصغرى المسيحي اتحلل بهولاكو ورسم معه خطة غزو بلاد الشام ، وانتزاع بيت المقدس من المسلمين ليتسلمها المسيحيون •



وكان يحكم مصر حينئذ سلاطين المماليك ، وكان هؤلاء المماليك يقدمون الى مصر غلمانا صغارا ، فينشأون في بيئة مصرية ، ويرتبطون بمصر • وتولى الحكم في مصر حينئذ السلطان قطز الذى يمتدح المؤرخون حزمه وتدينه وحسن تدبيره • وبعث هولاءكو برسله الى قطز ينصحه بالاستسلام، فلم ينصت قطز الى تهديد هولاءكو بل قتل الرسل الأربعة وعلق جثتهم في أرجاء متفرقة من القاهرة •

وبدأ السلطان قطز والمماليك والمصريون جميعا يستعدون لحصد المغول الذين أصبحوا خطرا يهدد الاسلام والعروبة • وأسرع المصريون يتطوعون في الجيش ، ودفعوا طوعا الضرائب المتأخرة عليهم ، وأدى كل منهم دينارا كخسرية دفاع ، ونجح السلطان قطز في اعداد جيش كئيف كامل الاستعداد •

خرج السلطان قطز على رأس الجيش الاسلامى لقاء جيش المغول وساعدت المقادير السلطان قطز ، فقد مات ( منكوخان ) خاقان المغول ، وثار نزاع بين اخوته حول السلطة ، فرأى أخوه القائد هولاءكو العودة الى ( قراقورم ) عاصمة المغول لحسم النزاع •

تقدم قطز الجيش وهو يصبح صيحته المشهورة ( وا اسلاماه ) ، فهو يدافع عن الاسلام وأراضيه وحضارته وأهله ، فكانت هذه الصيحة تثير الحماسة والاقدام ونجح قطز في فتح غزة وطارد المغول حتى نهر الناصى • وكان لهذا الانتصار المصرى في غزة أثره في سائر مدن الشام ، فقد بدأ أهلها يقاومون الحاميات المغولية •

وكان الصليبيون حينئذ مستقرين في بعض مدن فلسطين ، ورأى السلطان قطز أنه من السياسة ألا يحارب خصمين قويين في وقت واحد ، ورأى التفرغ تماما للمغول ، فبعث الى الصليبيين في عكا يطلب منهم السماح بمرور الجيش المصرى لقتال المغول ، ووافق الصليبيون بل ان بحسن عقلاء الصليبيين أدركوا خطورة هؤلاء المغول الوثنيين ، فأمدوا الجيش الاسلامى بحاجته من المؤن والأقوات •

اتجه الجيش الاسلامى شرقا عبر الجليل الى الأردن عن طريق الناصرة ، ورسم السلطان قطز خطة حربية حكيمة ، فقد أخفى معظم جنده بين الأحرش والأشجار المحيطة بعين جالوت ، بين بيسان ونابلس • وصاح قطز مسيخته المشهورة ( وا اسلاماه ) ، وبدأت معركة عين جالوت ، وهى احدى المعارك التاريخية الحاسمة ، فقد أوقفت تماما الزحف المغولى ، وبدأ المماليك يطاردون المغول ويجلوهم عن مدن الشام ، وبذلك أنقذ المماليك والمصريون العالم العربى الاسلامى من الخطر المغولى الداهم • ومن أبرز نتائج موقعة عين جالوت اعادة الوحدة بين مصر والشام •

ولكن ما لبث أن ظهر خطر جديد ، فقد كان أبغا بن هولاكو مسيحيا منسلوريا ، فتزوج من ابنة الامبراطور البيزنطى ، وحرص على أن يدمج علاقاته بالقوى المسيحية فى الشرق والغرب للانتقام من المسلمين فى بلاد الشام ومصر • ولكن اضطراب الأحوال الداخلية فى دولة المغول أدى الى اخفاق هذا المشروع ، واتمس المغول من السلطان الظاهر بيبرس الصلح ، ولكنه رفض مسالحتهم • ثم تغير الموقف بعد وفاة ( أبغا ) فقد اعتنق أخوه ( تكودار ) الاسلام فكف المغول عن عدائهم القديم للعالم الاسلامى •

وكما نجح المماليك فى صد المغول وانقاذ العالم الاسلامى ، فقد نجحوا أيضا فى مواجهة الخطر الصليبي • وفى الحقيقة ، كان الخلاص من خطر المغول يذهب ، القوة الصليبية ، وكان قد قام تحالف بين الطرفين ، لاتفاقهما فى عداة العالم العربى الاسلامى • وكانت مملكة أرمينية هى الوسيطة فى ذلك التحالف بين الفريقين •

وكان لتولى سلاطين أقوياء فى دولة المماليك أثره فى مواجهة الخطر الصليبي فى الشام • ومن أشهر هؤلاء السلاطين الظاهر بيبرس الذى يشبه المؤرخون بصلاح الدين الأيوبي فقد استولى بيبرس على كثير من مدن فلسطين ، وبعث جيشا لتأديب مملكة أرمينية التى كانت تعرض المغول ضد المسلمين • وتوج بيبرس انتصاراته بفتح أنطاكية سنة ١٢٦٨ م ، وانسحاب الصليبيون الى عقد هدنة مع بيبرس لمدة عشر سنوات •

أصبح الصليبيون في بلاد الشام في دور الاحتضار ، نتيجة توقف مساعدات أوروبا ، ووقوع الخلافات الداخلية بين الصليبيين ، فنجح المماليك في القضاء التام على القوى الصليبية ، وقام السلطان قلاوون بدور كبير في ذلك الجهاد المقدس .

أخفقت الحملات الصليبية أخفاقا ذريعا ، نتيجة انعدام روح الوفاق بين عناصر دعائها ، وتفكك عرى وحدة الصفوف ، والخلاف الشديد حول الزعامة والقيادة والسيادة . وكان الجنود الطليبيون خليط عجيب من عناصر متباينة في ميولها وأهدافها ولغاتها وعناصرها ومذاهبها ، فقد بلغ عدد الأجناس في الحملة الصليبية السادسة أكثر من عشرين جنسا يتحدثون ١٧ لغة .

كما أن هذه الحملات الصليبية لم يكن لها هدف يستند الى نتائج ذات فائدة سياسية أو مدنية أو تجارية ، بل كانت لمحض ارضاء الشهوات الدينية التي تقوم على التعصب ، وكان رجال الدين أصحاب السلطة في أوروبا في ذلك الحين ، بينما تمتع العرب والمسلمون بحضارة زاهرة ، وكانت لهم نظم سياسية واجتماعية وعسكرية راقية .

#### مصر ومطامع اليهود في القدس :

وقد قام اليهود بدور بارز خلال الحروب الصليبية ، أشار اليه المؤرخ ( جيمس هوسنر James Hosner ) في كتابه عن ( اليهود ) ، فقد حرص اليهود الصليبيين على غزو فلسطين ، وكانت أموال اليهود وراء تحركات الصليبيين وحملاتهم ، فقد طمع اليهود في ثروات الشرق وتجاريتها ، ورأوا أن الحروب الصليبية تمكن اليهود من الاستقرار على الشاطئ الشرقي للبحر المتوسط وممارسة النشاط الاقتصادي .

# الكاذب اليهود على الله

الدكتور أحمد الحرفي

يا عجباً لليهود اذ يحاولون بافترائهم أن ينسبوا الى الله تعالى تحديد وطن لهم ، ويحاولون بكذبهم أن يسندوا اليه تعالى ملكيتهم لبيت المقدس ، وطمعهم في سيناء ، وتطلعهم الى وطن فيما بين الفرات والنيل ، وهذا ونظائره باطل بل هو باطل الأباطيل .

فقد كان بيت المقدس عربياً ، ثم صار عربياً إسلامياً ، حماء المسلمون بأعز ما يملكون ، وسانوه من عدوان الطغاة على مر الأعصار ، واليهود لاهون عنه في أقطار الأرض يجمعون الذهب والفضة ويكنزون المال . ولم يدع المسلمون في عهد من العهود أن بيت المقدس حكرًا لهم دون سائر الناس ، ولم يصدوا عن سبيله النصارى أو اليهود ، بل جعلوه حرماً آمناً للأديان الثلاثة يزوره الزائر ويتعبد فيه العابد ، لأن الإسلام دين السماحة والسلام والمحبة والعدالة والمساواة وليس من شك في أن بيت المقدس سيبقى عربياً إسلامياً وأنوف اليهود راغمة ، وستجلى الغمة فتعود الأرض العربية الى ذوبها مثلما ينبلج الصبح بعد ليل كئيب .

وليعلم اليهود أن المسلمين والعرب لن يدعوا الجهاد في سبيل الله والوطن وفيهم بقية من قوة وروح ، والله ناصرهم ، وأنه لقوى عزيز . وفي هذا البحث الموجز كشف عن بعض مفتريات اليهود على الله تعالى ، يتبين منه أنهم هم الذين لفقوها وفق منافعهم وأهوائهم .

والحق أن المسلمين جميعاً يؤمنون بأن هذه التوراة التي بين أيديهم وأيدي اليهود مفتراة على الله ، وبأنها ليست هي التوراة التي أنزلها الله تعالى على موسى عليه السلام ، مصدقين قوله تعالى : « من الذين هادوا

يحرفون الكلم عن مواضعه ، ويقولون سمعنا وعصينا <sup>(١)</sup> وقوله سبحانه .  
« ومن الذين هادوا سماعون للكذب سماعون لقوم آخرين لم يأتوك ،  
يحرفون الكلم من بعد مواضعه » <sup>(٢)</sup> وقوله تعالى : « أفنتطمعون أن  
يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ، ثم يحرفونه من بعد  
ما عقلوه وهم يعلمون » <sup>(٣)</sup> وقوله سبحانه وتعالى : « يا أهل الكتاب  
لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وأنتم تعلمون » <sup>(٤)</sup> وقواه جل  
وعلا : « فيما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية ، يحرفون  
الكلم عن مواضعه ، ونسوا حظا مما ذكروا به ، ولا تزال تطلع على خائنة  
منهم الا قليلا منهم » <sup>(٥)</sup> .

وهكذا يسخط القرآن الكريم على ملفقى التوراة الذين كتبوها بأيديهم ،  
وزعموا أنها من عند الله فى مثل قوله تعالى : « ومنهم أميون لا يعلمون  
الكتاب الا أمانى وان هم الا يظنون ، فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ،  
ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا ، فويل لهم مما كتبت  
أيديهم ، وويل لهم مما يكسبون » <sup>(٦)</sup> .

لكن غير المسلم محتاج الى تدليل وتفصيل وتعليل ، ليزداد قلبه وعقله  
اطمئنانا الى أن هذه التوراة مكذوبة على الله .

وقد يحتاج المسلم الى دراسة كاشفة منصفة تبين له ألوأنا من مفتريات  
اليهود على الله .

وبحسب المسلم وغير المسلم أن يقيس على هذه المفتريات كل ما جاء فى  
التوراة المفتراة خاصا بالمولى سبحانه أو بأنبيائه .

- 
- (١) سورة النساء ٤٦ .
  - (٢) سورة المائدة ٤١ .
  - (٣) سورة البقرة ٧٥ .
  - (٤) سورة آل عمران ٧١ .
  - (٥) سورة المائدة ١٣ .
  - (٦) سورة البقرة ٧٨ — ٧٩ .

ولست أعمد في هذه الدراسة الى الاستدلال بما شهد به العلماء المنصفون الثقات من غير المسلمين ، بل أعمد الى التوراة نفسها لأستدل من بعض نصوصها على أنها وليدة الأرض وليست وحيا من السماء ، ومعاذ الله أن يوحى من عنده بهذا الهراء \*

١ — فقد صورت التوراة المفتراة الله — سبحانه وتعالى عما يافك اليهود — صورا لا تليق بالألوهية ، ولا يرتضيها مؤمن بالله ، ولا يطمئن اليها عاقل ليس له دين ، فهو — سبحانه وتعالى — جسد مجسم كالمخلوقات ، يمشى أمام اليهود فيرونها نهارا ، ويرونها ليلا « وكان الرب يسير أمامهم نهارا في عمود سحب ، ليهديهم في الطريق ، ويسير ليلا في عمود نار ليضيء لهم » (١) \*

وجاء في نص آخر « ثم صعد موسى وهارون وناداب وأبيهو وسبعون من شيوخ إسرائيل ، ورأوا اله إسرائيل ، وتحت رجله حلية من العقيق الأزرق الشفاف كالسماء في النقاء ، ولكنه لم يمد يده الى اشراف بنى إسرائيل فرأوا الله وأكلوا وشربوا » (٢) واعتقدوا أنه سبحانه وتعالى يتخذ له مكانا يقيم فيه كما يقيم الناس ، جاء في مزاميرهم أن الرب قد اختار جبل صهيون مسكنا له » (٣) ، وجاء فيها « رنموا للرب الساكن في صهيون ، لأنه يطالب بالدماء » (٤) \*

٢ — وهذا التجسيد الباطل اقتضى أن تصور التوراة الاله يأكل مما يأكل الناس ، ويشرب مما يشربون ، ويغتسل بالماء كما يغتسلون ويتكلم مثلما يتكلمون ، ويجادل كما يتجادلون ، كأنه — جل وعلا — شيخ من شيوخهم أو نبي من أنبيائهم \*

ذكرت التوراة (٥) في الاخبار باهلاك قوم لوط وتدمير سدوم وعمورة أن ثلاثة رجال هم الله وملكان معه قدموا على ابراهيم وهو أمام خيمته ،

(١) سفر الخروج ٢٠/١٣

(٢) سفر الخروج ٩/٢٤ — ١١

(٣) مزامير داود ١٣٢ \*

(٤) المزامير ٩

(٥) سفر التكوين \*

فعرّف الله من بينهم ، ورجاه أن يستريح عنده من السفر هو ومن معه ، ثم قدم إليهم ماء ليشربوا منه ، وليغسلوا أرجلهم ، وقدم لهم عجلا وفطائر ليطعموا ، فأوى الاله والملكان الى ظل شجرة ، وأكلوا مما قدم إليهم ابراهيم ، وهو جالس على مقربة منهم \*

فأى عاقل من المسلمين أو من غيرهم تلتبس عليه هذه الترهات فلا يرفضها رفضا ؟ \*

وأى رشيد من المسلمين أو من غيرهم يصدق أن كتابا منزلا من عند الله يصف الله بهذه الصفات ؟ \*

وأين هذا التصوير الضال من تنزيه الخالق عن هذا كله كما يذكر القرآن الكريم ، وهو كتاب الله الذى لا يأتية الباطل من بين يديه ولا من خلفه وحسبنا أن نذكر بعض الآيات الكريمة مثل قوله تعالى : « ليس كمثله شئ » وهو السميع البصير <sup>(١)</sup> وقوله سبحانه : « لا تدركه الأبصار ، وهو يدرك الأبصار ، وهو اللطيف الخبير » <sup>(٢)</sup> وقوله تعالى : « واذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة ، فأخذتكم الساعة وأنتم تنتظرون » <sup>(٣)</sup> وقوله سبحانه : « وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحي بأذنه ما يشاء انه على حكيم » <sup>(٤)</sup> وقوله جل وعلا : « قل أغير الله أتخذ وليا فاطر السموات والأرض وهو يطعم ولا يطعم » <sup>(٥)</sup>

فهو سبحانه وتعالى متفرد لا يماثله شئ من مخلوقاته ، وهو لا يبصره أحد ، ولا يسمع صوته أحد ، وهو منزّه عن الطعام والشراب وأعراض البشر \*

(١) سورة الشورى ١١

(٢) سورة الانعام ١٠٣

(٣) سورة البقرة ٥٥

(٤) سورة الشورى ٥١

(٥) سورة الانعام ١٤

وأما قصة قوم لوط فقد جاءت في القرآن الكريم على حقيقتها ، اذ أن الذين قدموا على إبراهيم عليه السلام كانوا ملائكة في صورة بشر ، فظنهم إبراهيم بشرا ، فقدم اليهم طعاما ، فلم يمدوا اليه أيديهم لأن الملائكة لا تأكل « فلما رأى أيديهم لا تصل اليه نكرهم وأوجس منهم خيفة ، قالوا لا تخف ، انا أرسلنا الى قوم لوط » (١) .

فلم يكن الله أحدهم ، ولم يطعم مما قدم اليهم إبراهيم كما افتسرى واضعو التوراة ، واذا كانت الملائكة وهم من خلق الله لا يأكلون ولا يشربون فكيف جرؤ الفكر الاسرائيلي أن يصور الله تعالى يأكل ويشرب؟

٣ — وتزعم التوراة المفتراة أن الله — سبحانه وتعالى عما يافكون — ابنا كما أن للبشر أبناء .

وهل يستحيل على جسد يأكل ويشرب ويمارس ما يمارسه البشر أن يكون له ابن أو عدة أبناء ؟

وقد أبطل القرآن الكريم هذه الفرية ، فقال تعالى : « وقالت اليهود عزيز ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم ، يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يؤفكون . اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا الا ليعبدوا الها واحدا لا اله الا هو سبحانه عما يشركون » (٢) .

وقال تعالى : « وقالوا اتخذ الله ولدا سبحانه بل له ما في السموات والأرض كل له قانتون » (٣) .

وقال جل وعلا : « وقالوا اتخذ الرحمن ولدا ، لقد جئتم شيئا ادا، تكاد السموات ينفطرن منه ، وتتشق الأرض ، وتخر الجبال هدا ، أن دعوا

(١) سورة هود ٧٠

(٢) سورة التوبة ٣٠ — ٣١

(٣) سورة البقرة ١١٦



للرحمن ولدا ، وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولدا ، ان كل من فى السموات والأرض الا آتى الرحمن عبدا « (١) •

وقال تعالى : « ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله ، اذا لذهب كل اله بما خلق ، ولعلا بعضهم على بعض ، سبحانه الله عما يصفون « (٢) •

٤ — ووصفت التوراة المفتراة الله تعالى بأنه — حاشاه — ناقص العلم ، محدود المعرفة ، محتاج الى ارشاد بنى اسرائيل ليميزهم من غيرهم •

زعموا أنه لما عزم على أن يضرب فى مصر كل بكر من الناس والحيوان خشى أن تنزل ضرباته ببنى اسرائيل ، فطلب منهم أن يميزوا بيوتهم بدماء الكباش التى يلطخون بها قوائم أبوابهم وعتباتها (٣) •

وزعموا أن ابراهيم عليه السلام ناقشه حينما هم بتدمير قريتى سدوم وعمورة ، وبين له أن بعض اهليهما صالحون لا يستحقون الدمار ، وأنه ليس من العدل أن يعاقب البرىء بذنب المجرم (٤) •

أنه لاغراق فى الضلال أن ينسب واضعو التوراة ماوضعوه الى الله ، وهم يصفونه بهذا النقص الذى يتنزه عنه ، ويبرأ المسلمون من نسبته اليه •

أما القرآن الكريم — وهو كتاب الله — فانه يصوره عليما بما جل وصغر ، خبيرا لا يحتاج الى ارشاد ، قال تعالى : « هو الذى خلقكم ، فمنكم كافر ، ومنكم مؤمن ، والله بما تعملون بصير • خلق السموات والأرض بالحق ، وصوركم فأحسن صوركم ، واليه المصير • يعلم ما فى السموات والأرض ، ويعلم ما تسرون وما تعلنون ، والله عليم بذات الصدور « (٥) •

(١) سورة مريم ٨٨ — ٩٣

(٢) سورة المؤمنون ٩١

(٣) سفر الخروج ١٢/٧ — ١٤

(٤) سفر التكوين الاصحاح ١٨

(٥) سورة التغابن ٢ — ٤

وقال سبحانه : «ان الله لا يخفى عليه شئ في الأرض ولا في السماء» (١) .  
وقال سبحانه : «وما تكون في شأن ، وما تتلو منه من قرآن ، ولا تعملون  
من عمل الا كنا عليكم شهودا اذ تفيضون فيه ، وما يعزب عن ربك من  
مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر الا في كتاب  
مبين » (٢) .

هـ — كذلك وصفته التوراة الباطلة بأنه — تعالى عما يافكون — يخدع  
عباده ويضلهم ، وبأنه جاهل بالغيب لا يدرك منه شيئاً ، فقد زعمت أنه  
نهى آدم وحواء أن يطعما من شجرة المعرفة ، وهو يخفى عليهما حقيقتها  
وعاقبة الأكل منها ، وحذرهما أن يقرباها بدعوى أن الأكل منها يفضي الى  
الفناء ، وهو يعلم أن الأكل منها يفضي الى المعرفة ونضج العقل والفكر ،  
ولكنه كان يضللهما لييقيا جاهلين فلا يشاركانه في العلم والمعرفة .

ثم ان الشيطان أغراهما ، فأكلا من الشجرة ، فبدت لهما سوءاتهما ،  
فأدركا أنه لا يليق بهما ولا بربهما أن يلقيا وهما مكشوفتا العورتين ،  
ولهذا لما سمعا صوته وهو مقبل عليهما اختفيا ، وجعلا يخصفان على  
عورتيهما من ورق الجنة ، فناداهما ربهما وسألهما ، فعرف انهما قد  
عصياه وأكلا من شجرة المعرفة .

ومنذ ذلك الوقت سار الانسان أحد الالهة ، لأنه عرف الحسن والقيبح  
وميز بينهما . فلم يكن بد للاله من طرد آدم وحواء من الجنة ، حتى لا تمتد  
يدهما الى شجرة أخرى هي شجرة الخلد ، فيضيف الانسان الى صفة  
المعرفة صفة الخلود ، وهي أعلى صفات الله (٣) .

لا ريب في أن هذا افتراء مركب ، وبهتان مضاعف ، وضلال يروج بعضه  
في بعض .

(١) سورة آل عمران ٥

(٢) سورة يونس ٦١ .

(٣) سفر التكوين الاصحاح ٣

فلنرجع الى القرآن الكريم لنجد قصة آدم وحواء في عدة سور ، وليس في آية منها كلمة واحدة تنافي علم الله وقدرته واراادته •

ومعاذ الله أن يخلق آدم وحواء ثم يحاول أن يخدعهما ليصرفهما عن المعرفة التي يختص بها ، فان معرفة الانسان قطرة من محيط المعرفة الالهية •

وحاشا لله أن يغار منهما وينفس عليهما هذه المعرفة ، فيطردهما من الجنة مخافة أن يشاركاه في صفة الخلود ، لأنه لو أراد أن يحول بينهما وبين المعرفة لفعل ، ولو أراد لهما البقاء في الجنة لحقق ما أراد •

ولم ينشأ الفناء عن طردهما من الجنة ، بل هكذا خلقهما الله للحياة والموت ، وليعمر نسلهما الأرض ، لحكم لا يعلمها سواه •

فمن قصة آدم في القرآن الكريم أن الله تعالى هو الذي خلقه وعلمه: «رعلم آدم الاسماء كلها ، ثم عرضهم على الملائكة ، فقال : أنبئوني بأسماء هؤلاء ان كنتم صادقين ، قالوا سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا انك أنت العليم الحكيم ، قال : يا آدم أنبئهم بأسمائهم ، فلما أنبأهم بأسمائهم قال : ألم أقل لكم اني أعلم غيب السموات والأرض ، وأعلم ما تبذرون وما كنتم تكتمون » (١) •

ومن قصة آدم في القرآن المجيد أن الله تعالى نهاه عن الأكل من الشجرة ، وحذره وحذر حواء وسوسة الشيطان واغراه ، قال تعالى : « فقلنا يا آدم ان هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى • ان لك ألا تجوع فيها ولا تعرى ، وأنت لا تظمأ فيها ولا تضحى • فوسوس اليه الشيطان قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى • فأكلا منها فبدت لهما سوءاتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة ، وعصى آدم ربه فغوى ، ثم اجتباها ربه فتاب عليه وهدى » (٢) •

(١) سورة البقرة ٣ - ٣٣

(٢) سورة طه ١١٧ - ١٢٢

على أن القرآن الكريم حافل بالآيات التي تثبت لله العلم الكامل الشامل بالماضى والحاضر والمستقبل ، كقوله تعالى : « عالم الغيب والشهادة وهو الحكيم الخبير » <sup>(١)</sup> وقوله سبحانه : « قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب الا الله ، وما يشعرون أيان يبعثون » <sup>(٢)</sup> وقوله جل وعلا : « وربك يعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون » <sup>(٣)</sup> فلم يكن ليخفى على الله تعالى ما سيفعله آدم وحواء ، وما يصيران اليه بعد أكلهما من الشجرة .

٦ — وأسف واضعو التوراة في كذبهم فافتروا أن في البشر من ينافسون الله في قدرته وقوته ، كأنهم لم يسألوا أنفسهم كيف خلق الله الناس بقدرته ثم صاروا له أندادا ؟ وكيف يهيمن على الكون ، ويهب الحياة ، ويمنح القوة ، وفي مخلوقاته من ينافسه في القوة حتى يكاد يماثله .

ومن ذا الذى يعقل أن الله تشكل في صورة انسان صارع يعقوب ولم يستطع أن يصصره ؟

ومن ذا الذى يصدق أن الله أراد أن يفلت من يد يعقوب فعجز ، وأن يعقوب لم يسمح له بالانطلاق الا بعد أن باركه ؟

ان هذا ليس شركا فحسب ، وليس وثنية فحسب ، بل هو أخس الشرك ، وأحط دركات الوثنية ، وأقبح صورة يرسمها خيال لئله .

تزعّم التوراة أنه بعد أن عاد يعقوب من مصر رغب في أن يقابل أخوا له ، فجلس في خيمة ، فدخل عليه رجل ، فتصارعا حتى طلع الفجر . ولما رأى الرجل أنه غير قادر على يعقوب ضرب حق فخذه — رأس الورك الذى فيه عظم الفخذ — فانخلعت فخذ يعقوب ، فقال الرجل ليعقوب : اطلقنى لأن الفجر قد طلع ، فقال يعقوب : لا اطلقك ما لم تباركنى ، فقال الرجل :

(١) سورة الانعام ٧٣

(٢) سورة النمل ٦٥

(٣) سورة القصص ٦٩

ما اسمك ؟ قال : اسمى يعقوب ، قال الرجل : لن يكون اسمك بعد اليوم يعقوب ، بل اسرائيل ، لأنك جاهدت مع الله والناس وقدرت .

فقال له يعقوب : اخبرنى باسمك ، فقال الرجل : لماذا تسأل عن اسمى ، وباركه هناك ، فسمى يعقوب ذلك المكان ( فنوئيل ) وقال : لأنى نظرت لله وجهها لوجه ، ونجيت نفسى .

وحينما اشرفت الشمس كان اسرائيل يعبر ذلك المكان ، وهو يعرج ، وهذا هو السبب فى أن بنى اسرائيل لا يأكلون عرق النسا ، لأنه على حق الفخذ ، فقد ضرب الاله حق فخذ يعقوب على عرق النسا<sup>(١)</sup> .

٧ — ومن أراجيفهم أن الله — تعالى عما يفترون — يخطئ كما يخطئ البشر ، ويندم على خطئه كما يخطئون ، ويخشى لوم الناس كما يخشون . جاء فى التوراة « ندمت على أنى جعلت شاول ملكا ، لأنه رجع من ورائى ، ولم يقم كلامى »<sup>(٢)</sup> .

وجاء فى التوراة « ندم الرب على الشر الذى قال انه يفعله بشعبه »<sup>(٣)</sup> . أما القرآن الكريم فانه ينزه الله عن هذا كله ، قال تعالى : « لا يسأل عما يفعل وهم يسألون »<sup>(٤)</sup> وقال سبحانه « والله يحكم لا معقب لحكمه وهو سريع الحساب »<sup>(٥)</sup> .

٨ — ولقد أبى واضعو التوراة الا أن يكون تصويرهم للاله نابعا من حمأة نفسياتهم وصدى لأخلاقهم الشريرة ، فهو — تنزه عما يختلفون — شديد القسوة ، كلف بالتدمير ، مولع بالتخريب .

---

(١) سفر التكوين الاصحاح ٣٢  
(٢) صمويل الاول ١٥/١٠  
(٣) سفر الخروج ٣٢/١٤  
(٤) سورة الانبياء ٢٣  
(٥) سورة الرعد ٤١

نسبت اليه التوراة هذا التوجيه : حين تقرب من مدينة لتحاربها استدعها الى الصلح ، فان أجابتك وسلمت لك فكل من بها عبيد لك ، وان لم تسالمك وحاربتك فحاصرها ، فاذا دفعها الرب الهك الى يدك فاضرب جميع ذكورها بالسيف ، وأما النساء والأطفال والبهائم وكل ما في المدينة فهو غنيمة لك •

وهكذا افعل بجميع المدن البعيدة منك التي ليست من مدن الأمم التي هنا ، والتي يعطيك الرب الهك ، لا تستبق منها نسمة (١) •

وتذكر الأسفار المفتراة فيما تذكر من وصايا الاله : لقد أوصيتكم بأن تخرموا النار في المدينة التي تحتلونها (٢) ، وتقول : ولما انتهى اسرائيل من قتل جميع سكان عاي وأفناهم بحد السيف رجع الاسرائيليون الى عاي فأفنوا من كان قد بقى بها ، فكان القتلى في ذلك اليوم من رجال ونساء اثني عشر ألفا هم سكان عاي جميعا (٣) •

ولم تقتصر التوراة والأسفار على هذه القسوة الضارية ، بل تعدت البشر الى الحيوان ، كأن الحيوانات ليست من خلق الله التي أوصى بالرحمة بها •

جاء في سفر صمويل أن نوب ضرب مدينة الكهنة بحد السيف رجالا ونساء وأطفالا ورضعا وثيرانا وحميرا وغنما (٤) •

كذلك لم تقتصر بشاعة الضراوة على الانسان والحيوان ، بل تجاوزتهما الى النبات والجماد •

ففي بعض الأسفار وصايا بقطع الأشجار ، وتخریب المزارع والحدائق، وطمس الآبار (٥) •

(١) سفر التثنية ١٦/١٠/٢٠

(٢) سفر يشوع ٨/٨

(٣) سفر يشوع ٢٤/٨

(٤) سفر صمويل الاول ١٩/٢٢

(٥) سفر الملوك الثاني ١٩/٣ ، ٢٤ ، ٢٥

أما القرآن الكريم فإنه يصف الله تعالى بالرحمة بعباده الطائعين وبالمغفرة للعاصين النائبين ، ويصفه بالشدة على عبادة العصاة المستكبرين في غير ما ضراوة وموجدة \*

من ذلك قوله تعالى : « والهمك اله واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم <sup>(١)</sup> » وقوله سبحانه : « قل أن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم <sup>(٢)</sup> » وقوله جل وعلا : « ومن يعمل سوءا أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيمًا <sup>(٣)</sup> » \*

وفي القرآن الكريم آيات كثيرة تأمر بالرحمة ، وتحض على الإصلاح والعمران ، وتنتهي عن القسوة وعن التخريب \*

وقد رحم الله عباده فوضع لهم دستوراً أوجب عليهم ألا يتعدوه في حروبهم ، منه قوله تعالى : « وان عاقبتكم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ، ولئن سببرتم لهو خير للصابرين <sup>(٤)</sup> » وقوله سبحانه : « فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم ، واتقوا الله واعلموا أن الله مع المتقين <sup>(٥)</sup> » \*

٩ — كذلك افترت التوراة والاسفار على الله تعالى أنه نهم الى الضحايا ، مولع بالقرايين ، لا يهدأ الا اذا رأى الدماء تسيل والأرواح تزهق والاشلاء تنتثر ، كأنه في تصورهم ليس الاله ، بل ليس لها ، بل لا يتصف بما يتصف به الانسان سوى المعتدل ، لأن هذه صفات لا تليق الا بالوحش الضارى أو بالانسان الشاذ المخبول \*

فقد زعموا أن الضحايا التي تحرق في المذبح يرتاح لها الاله ، ويستطيب رائحة دخانها المتصاعد ، ولهذا يثور ان لم تقدم اليه ، ويهيج اذا قدمت

(١) سورة البقرة ١٦٣

(٢) سورة آل عمران ٣١

(٣) سورة النساء ١١٠

(٤) سورة النحل ١٢٦

(٥) سورة البقرة ١٩٤

اليه على صورة أخرى ، وقد ينتهى به غضبه الى أن يرسل على المقصرين نارا تحرقهم <sup>(١)</sup> .

وما من شك في أن هذا التصوير البشع الباطل ينم عن الوحشية المسعورة التى تتلظى في نفوس اليهود ، وتأبى الا أن تستعلن في أفعالهم وفي بهتانهم الذى عزوه الى الله .

فقد كان السحرة من اليهود يستخدمون الدماء البشرية في أعمالهم منذ زمن بعيد ، حتى أن بعض أسفارهم سخطت هذا العمل <sup>(٢)</sup> ، وشهد بهذه الوحشية كثير من المؤرخين ، منهم المؤرخ اليهودى برنارد لازار Bernard Lazare في كتابه (الاسامية) ، ومنهم كيتو G. Kitto في كتابه (مجموع الكتاب المقدس) الذى نشره سنة ١٨٩٥ ، ومنهم دورزى G. A. dorsey في كتابه (الحضارة) .

وذكرت دائرة المعارف اليهودية انه اذا كان اليهود قد أقروا بأصل مما دعا اليه حكماءهم فان هذا الأصل هو القرايين البشرية التى يقدمونها للاله يهوه ملك الأمة ، وقد مارسوا تقديمها منذ أواخر عهد الملكية اليهودية .

فلنرجع الى القرآن الكريم لنجده ينزه الله تعالى عن هذا كله ، قال تعالى : « لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ، ولكن يناله التقوى منكم ، كذلك سخرها لكم لتكبروا الله على ما هداكم ، وبشر المحسنين » <sup>(٣)</sup> .

١٠ — ثم انهم لم يستحووا في افتراءهم على الله ان ينسبوا اليه الجور، والميل مع الهوى ، مثلما يجور بعض الناس على بعض ويميلون .

فهم يزعمون ان الله يؤثرهم بالمحبة ، ويفضلهم على سواهم ، لأنهم في نظره أرقى وأولى بالايثار ، ولهذا وضع لهم شريعة خاصة بهم ، لا يشركهم فيها أحد ، كأنهم وحدهم من خلقه ، وبقيّة البشر من خلق غيره .

(١) سفر اللاويين كله .

(٢) سفر أشعيا الاصحاح ٥٧

(٣) سورة الحج ٣٧



جاء في بعض الأسفار : وقل اسمعوا حكمة الرب يا ملوك يهوذا وسكان  
أورنسلیم ، هكذا قال رب الجنود اله اسرائيل <sup>(١)</sup> .

وجاء فيها : ليعظم اسمك الى الأبد، فيقال رب الجنود اله على اسرائيل <sup>(٢)</sup> .  
ولهذا زعموا أنه تعالى حرم عليهم أن يقاتل بعضهم بعضا ، أو يخرج بعضهم  
بعضا من وطنه ، على حين أنه أباح لهم بل أوجب عليهم أن يغيروا على  
غيرهم ، وأن يضربوا رقاب جميع المغلوبين ، ويسترقوا أطفالهم ونساءهم ،  
ويستولوا على أموالهم وعقارهم <sup>(٣)</sup> .

وينتصل بهذه الأكاذيب ان الله تعالى رسم لاسرائيل حدودا لوطنهم  
ومعالم كما يرسم الجغرافيون الخرائط <sup>(٤)</sup> .

وفي هذه الفرية دليل على أن التوراة من وضع اليهود ، لأن المملكة  
المزعومة لم تكن ، ولن تكون .

وهي دليل على ما كان يدور بخيالهم منذ عهد بعيد من أوهام ومن حقد  
دفين وغدر مبين وخطة قديمة الميلاد طويلة الأجل لعدوان خسيس  
لا يرعى ديناً ولا خلقاً ولا ذمة .

ويكفي لدحض دعواهم قوله تعالى : ( قل يا أيها الذين هادوا ان زعمتم  
أنكم أولياء لله من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين . ولا يتمنونه  
أبدا بما قدمت أيديهم ، والله عليم بالظالمين » . « قل ان الموت الذي تفرون  
منه فانه ملاقيكم ، ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم  
تعملون » <sup>(٥)</sup> .

(١) سفر أرميا ١٩/٣

(٢) سفر صمويل الثاني ٧/٣٦

(٣) سفر التثنية ٢٠/١٣ — ١٤

(٤) سفر العدد ١/٣٤ — ١٣

(٥) سورة الجمعة ٦ — ٨

وقوله سبحانه : « وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه ، قل : فلم يعذبكم بذنوبكم ؟ بل أنتم بشر ممن خلق ، يغفر لمن يشاء ، ويعذب من يشاء » (١) .

والقرآن الكريم يصف الله تعالى بالعدل المطلق بين عباده ، يقول تعالى : « ان أكرمكم عند الله أتقاكم » (٢) ويقول سبحانه : « وما الله يريد ظلما للعالمين » (٣) .

وهكذا تتطرق التوراة والأسفار بأكاذيب اليهود على رب العالمين ، وهكذا تصور نفوسهم الشريرة ، ونزعاتهم المادية ، وأحقادهم على الناس ، وجوعهم الى الانتقام ، واسفافهم في وصف الخالق تعالى بما يبرأ منه الاسلام ويرفضه الفكر السليم .

ولن تقوم على أكاذيبهم دولتهم المزعومة ، لأنها أوهام باطلة ، وبناء واه على كتيب من الرمال .

---

(١) سورة المائدة ١٨  
(٢) سورة الحجرات ١٣  
(٣) سورة المائدة ١٠٨



# علماء من القدس

الأستاذ على الجحيدلوطى

قبل أن نخوض فى بحثنا هذا بعرض النماذج الفذة من العلماء فى بيت المقدس أرى أن أقدم بين يدى البحث — لم آثرت اختيار هذا الموضوع دون سواه من مباحث هذا الكتاب ؟ وما المنهاج الذى سلكته فى هذا البحث ؟ ولم اتبعت هذا المنهج ؟ لعل ذلك كله يكون معالم لطريقنا توضح ما استهدفناه ويرهص لسير هؤلاء العلماء الأعلام .

أما مايتصل باختيار الموضوع فلانه يمس البقعة الطاهرة العزيرة على جميع المسلمين وهى ( بيت المقدس ) البلد الاسلامى المقدس الذى امتزج كل شبر فيه بدماء الصحابة والمجاهدين وهو يضم المسجد الأقصى أولى القبلتين وثالث الحرمين كما يضم مسجد الصخرة ومئات المساجد والمقامات الاسلامية الأثرية المقدسة وهو مهوى أفئدة ملايين المسلمين يقصدونه كما يقصدون مكة المكرمة والمدينة المنورة • ولعلنا لسنا فى حاجة الى تبيان صلة بيت المقدس بأسراء سيدنا رسول الله عليه الصلاة والسلام صلته بتلك المعجزة التى نعدّها فى الأهمية بعد معجزة القرآن الكريم ولم يختر الله سبحانه اسراء نبيينا عليه السلام من مكة الى بيت المقدس عبثا بل عن خطة الهية واستراتيجية سماوية رسمت منذ ذلك التاريخ والى الأبد علاقة ملايين المسلمين ببيت المقدس • ولئن افتخرت الشام والعراق واعتزت مصر بأن فتحها أبطال المسلمين فان لبيت المقدس أن يشمخ ويتنبر على غيره من بلاد العرب والاسلام بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد فتحه فى الاسراء بنفسه قبل الفتح العملى • ومن أهم الأدلة على قوة الصلة الروحية ببيت المقدس هى أن المسجد الأقصى بلغ من تقديس المسلمين له ما جعلهم يفكرون فى نقل جثمان الرسول الكريم بعد وفاته ودفنه بجانب المسجد الأقصى •

وإذا كان الفتح الاسلامى لبيت المقدس فى عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه وكانت ( العهدة العمرية ) تلك الوثيقة التى اشترطت ألا يسكن اليهود ( ايلياء ) بناء على طلب ( صفرونيوس ) الذى كان يحرم عليهم السكنى فى بيت المقدس فقد ظل الحكم الاسلامى الذى دام أكثر من ثلاثة عشر قرنا لا يمكن لليهود فى هذا البلد المقدس اللهم الا ما كان من سماحة الاسلام بتمكين بعضهم من اقامة شعائر الندب والبكاء أمام حائط المبكى \*

وقد سلم بيت المقدس بعد حكم الأوربيين له مدة ثمان وثمانين سنة للمسلمين بعد أن خلصه القائد البطل صلاح الدين وقد دفع المسلمون ثمنا لاسترداده أكثر من مليون شهيد ويثاء الله أن تسلم المدينة للمسلمين فى يوم الجمعة السابع والعشرين من رجب الذى حدث فى مثله منذ ستة قرون أن أسرى الله سبحانه بعبدده محمد صلى الله عليه وسلم من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى \*

فاذا كانت حرب ١٩٤٨ م استطاعت الأمة العربية أن تظهر القدس القديمة من اليهود وتحفظ للمدينتين الاسلاميه والمسيحية مقدساتهما التاريخية الخالدة والانتصار فى معركة القدس أبقى للعرب منطقة نابلس ومنطقة الخليل لأن مدينة القدس هى الدعامة التى ترتكز عليها الميمنة نابلس والميسرة الخليل كما أن بيت المقدس هو فلسطين ومن يمتلكه وما فيه من مقدسات يعد مالكا فلسطين وهذا هو المفهوم لقوله تبارك وتعالى ( المسجد الأقصى الذى باركنا حوله ) \*

وأخيرا فقد كان سقوط القدس فى يد اليهود فى حرب ١٩٦٧ م ضمن الخطة الصهيونية العالمية التى تصل حلقات الحروب الصليبية فى القرون الوسطى بالمعارك الدائرة الآن — وليست معركة القدس معركة حربية يكسبها اليهود بل هى معركة تتجدد على مر السنين أطرافها المسلمون فى مشارق الأرض ومغاربها ومعهم المسيحيون الشرقيون والعدوان على مقدساتها هو القنبلة الزمنية التى جلس اليهود فوقها وهى أكبر أخطائهم التى وقعوا فيها خلال ألفين من السنين \*

ولعل فيما قدمت عن ( بيت المقدس ) ما يؤكد أننا لابد أن نخوض معركة القدس على أساس الجهاد الدينى فان الدفاع عنه فرض عين على كل مسلم على وجه الأرض وبخاصة والدعوة الصهيونية قامت على الفكرة الدينية والتعصب الدينى وما الناحية العنصرية فى تلك الدعوة غير مظهر من مظاهر التعصب الدينى \*

والآن نرى طريق الجنة قد أصبح مرسوما أمام المؤمنين بالله ورسله وكتبه واليوم الآخر انه طريق يمر بفلسطين وبالقدس الشهيدة \*

واذا كانت معركتنا فى القدس دينية مقدسة كان لزاما علينا أن نختار من أعلامها علماء الدين ليتسق ذلك مع روحانية المدينة وقداستها \* وهنا يكون المنهاج الذى سرت عليه فى هذا الاختيار فهذه المدينة المقدسة تعج بالقيم الشامخة ممن خلفوا تراثا خالدا من علماء اللغة والتفسير والحديث والأدب والفقه والتاريخ وسائر ألوان الفكر الاسلامى على ممر العصور \*

ولكننى وقفت فى الاختيار لضيق المجال عند أنماط معدودة من علماء الدين كما أسلفت وفى فترة محددة من التاريخ هى القرنان السابع والثامن الهجرى اذ أنها الحقبة التى يمكن أن نسميها العصر الذهبى للموسوعات الاسلامية على تباين أنواعها ففى اللغة نجد ابن منظور الافريقى ( صاحب لسان العرب ) والفيروزبادى ( صاحب القاموس ) والسكاكى ( صاحب مفتاح العلوم ) وفى علوم التفسير نرى ابن كثير ( صاحب تفسير ابن كثير ) ومن قبله القرطبى ( صاحب الجامع لأحكام القرآن ) وابن تيمية وابن القيم — وفى علوم الحديث نجد الحافظ الذهبى ( صاحب تذكرة الحفاظ وميزان الاعتدال فى نقد الرجال ) وابن عبد الهادى ( صاحب الصارم المنكى ) والحافظ زكى الدين المنذرى ( صاحب الترغيب والترهيب ) والحافظ ابن حجر ( صاحب فتح البارى والاصابة ) وفى الأدب نجد القلقشندى ( صاحب مسبح الأعشى ) وضياء الدين بن الأثير ( صاحب المثل السائر ) والميدانى ( صاحب مجمع الأمثال ) وابن أبى الأصبع ( صاحب تحرير التحبير ) وفى الفقه نرى على بن عبد الكافى السبكى ( صاحب تكملة المجموع الأولى

وطبقات الشافعية ) ومئات ذكرهم ابن حجر العسقلاني في كتابه ( الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ) وابن قدامة ( صاحب المغنى ) وفي التاريخ نجد ابن اياس ( صاحب بدائع الزهور ) وابن كثير ( صاحب البداية والنهاية ) والذهبي ( صاحب تاريخ الاسلام ) والمقرئ ( صاحب الخطط ) وابن خلدون ( صاحب التاريخ ومقدمته المعروفة ) وهؤلاء غيض من فيض ازدهرت بهم هذه الحقبة من تاريخ الأمة الاسلامية فرحت أختار منهم بعض من عمر بهم بيت المقدس في القرنين اللذين حددناهما ولا مطمع لنا هنا في استقصاء ذكر هؤلاء العلماء •

وهنا لا ندحة لنا من ذكر بعض الملاحظات التي يزيكها ما سنورده في تضاعيف هذه الترجمات وهي ملاحظات عابرة تحتاج الى دراسات فاحصة لمن أراد المزيد •

أما الملاحظة الأولى فاننا سنجد في سير هؤلاء الصفوة من العلماء ما يؤكد وحدة الأمة الاسلامية فليس بين أقطارها حواجز محسنة ولا طليعية فهذا العالم أو ذاك يولد في مصر من الأمصار وينشأ في آخر ويأخذ عن الشيوخ في ثالث ويأخذ عنه مريدوه في مصر رابع وقد يوارى التراب في قطر خامس وهكذا •

والملاحظة الثانية هي أن ظهور شيخ الاسلام ابن تيمية في هذا القرن وما جرى بينه وبين ملوك عصره وعلمائه واعجاب أبناء هذا العصر به كثائر مجاهد وفقه ثبت وحافظ مفسر حتى قال عنه الامام الذهبي ( كل حديث لا يعرفه ابن تيمية فليس بحديث ) وقال عنه الدكتور طه حسين ( كان ابن تيمية اذا تكلم في فن يظن أنه لا يعرف غيره ومع ذلك كان يعرف كل شيء ) أجل كان ظهور ابن تيمية أحد الأسباب الفاعلة التي أكثرت من تلاميذه ومريديه ممن ينزعون منزعه والذين يحبون أن يتمذهبوا بمذهب الامام الكبير أحمد حتى شاع مذهب الحنابلة كما سنرى بين علماء هذا العصر •

والملاحظة الثالثة هي أنه بعد اقتحام جحافل الصليبيين لبيت المقدس واستيلائهم عليه وتقتيلهم بوحشية وغدر لأئمة الاسلام فر أكثرهم من بقية

السيف الى الامصار الاسلامية التى كانت مفتحة الابواب لهم وهنا كانت ظاهرة الهجرة من بيت المقدس — أما بعد اجلاء الصليبيين عنها على يد الناصر صلاح الدين الأيوبي فقد هب العلماء والفقهاء الى تعمير بيت المقدس بالعلم فهرعوا اليه من كل حدب وصوب ليعيدوا اليه مجد الاسلام وليحصنوه من كرة أخرى للصليبيين وكانوا يعدون هذا رباطا في سبيل الله .

والملاحظة الرابعة هي أن الكثير من هؤلاء العلماء كانوا من الأفذاذ والنوابغ حتى قدر لتراثهم أن يعيش الى اليوم ووقفوا حياتهم واستعملوا مواهبهم بسخاء في تكوين هذه الثروة الفقهية التى لا تزال مرجعا للتشريع وقد آثروا هذا الانتاج الخالد على كل راحة ولذة وجاء في الحياة وخابت الاملع أن تشغل قلوبهم أو تتوزع عقولهم حتى رأينا هذه الذخائر النفيسة في الفكر الاسلامى .

والملاحظة الخامسة والأخيرة هي أن النهضة العلمية اذا بلغت ذروتها ازدحم الرجال والنساء في صنعها وتجد من النوابغ نجوما من النساء كما تجد أعلاما من الرجال وهذا ما كان في هذه الفترة حتى رأينا الكثير من النابغات في الفقه والحديث يتتلمذ عليهن الفقهاء ويجيز منهن كثير من الأعلام .

وفي ختام هذه المقدمة يهمننا أن نثبت حقيقة التزامها في هذا البحث وهي أننا حرصنا على أن نترجم لهؤلاء الأعلام ناقلين عن معاصريهم أو عن جاء بعدهم رأيهم فيهم وقد تكون هذه النقول مكررة وذلك لأننا موقنون بأن ترجمة علماء عصر ما تقتضى أن يعيش القارئ لهذه الترجمة في مناخهم وفي جوهم الأدبي ولذلك كان من الأمانة أن ننقل هذه النصوص من شتييت المراجع غير مشوبة بتصرف ينقلها من جو عصرها ليكون البحث معطيا غايته من الدقة ونترك للقارئ بحاسته الصادقة وحكمه الذاتى أن يستنشق عبير هذا الجو لذلك التراث المذخور الخالد :



( ١ )

### شيخ الاسلام موفق الدين

هو الامام شيخ الاسلام وأحد الأعلام موفق الدين أبو محمد عبدالله بن أحمد بن محمد بن قدامة بن مقدم بن نصر بن عبد الله المقدسى ثم الدمشقى الصالحى الفقيه الزاهد ولد فى شعبان سنة احدى وأربعين وخمسمائة بجماعيل بالقرب من نابلس بفلسطين وقدم دمشق مع أهله وله عشر سنين فقرأ القرآن وحفظ مختصر ( الخرقى ) واشتغل وسمع من والده وأبى المكارم بن هلال وأبى المعالى بن صابر وغيرهما ورحل الى بغداد هو وابن خالته الحافظ عبد الغنى عام واحد وستين وخمسمائة وسمعا الكثير من هبة الله بن الدقاق وابن البطى وسعد الله الدجاجى والشيخ عبد القادر الجيلانى وابن تاج القراء وابن شافع وأبى زرعة ويحيى بن ثابت وكثرة من العلماء الأعلام وسمع بمكة من المبارك بن الطباخ مدة يسيرة فقرأ عليه ( متن الخرقى ) ثم توفى الشيخ المبارك فلازم أبا الفتح بن المنى وقرأ عليه المذهب والخلاف والأصول حتى برع وصار حجة ثبنا وأقام ببغداد نحو أربع سنين كما ذكر ( الحافظ ضياء الدين المقدسى ) ثم رجع الى دمشق ثم عاد الى بغداد سنة سبع وستين وخمسمائة كما قال ( سبط بن الجوزى ) وقد ذكر الناصح بن الحنبلى أنه حج سنة أربع وسبعين وخمسمائة ورجع مع وفد العراق الى بغداد وأقام بها سنة فسمع درس ابن المنى الحنبلى وجلس مع ابن الناصح فى بغداد الى الشيخ أبى الفتح ثم رجع الى دمشق واشتغل بتصنيف كتاب ( المغنى فى شرح الخرقى ) فبلغ الغاية فى اتمامه وهو كتاب بليغ فى مذهب الحنابلة بل هو عمدة هذا المذهب بلغ عشرة مجلدات بخطه وقد سهر عليه وعانى الكثير حتى بلغ غايته حيث أجمل فيه المذهب وقرأ عليه جماعة وانتفع بعلمه طائفة كثيرة وقد نشأ على سمته أبيه وأخيه فى الخير والعبادة وغلب عليه الاشتغال بالفقه والعلم وقد بقيت أصوات التقدير تعطر سيرة ذلك الامام الفقيه العظيم والجبل الشامخ ولا ندحة لنا من ذكر قليل من عبارات الثناء التى قالها هؤلاء العلماء .

فقد قال عنه سبط بن الجوزي : كان اماما في فنون كثيرة ولم يكن في زمانه بعد أخيه أبى عمر العماد أزهد ولا أورع منه وكان كثير الحياء عزوفا عن الدنيا وأهلها هينا لينا متواضعا محبا للمساكين حسن الأخلاق جوادا سخيا من رآه كأنما رأى بعض الصحابة وكأن النور يخرج من وجهه وكان كثير العبادة يقرأ كل يوم وليلة سبعا من القرآن ولا يصلى ركعتي السنة في الغالب الا في بيته اتباعا للسنة وقد قال ( السبط المذكور ) أيضا عنه : وكان يحضر مجالسي دائما في جامع دمشق وقاسيون ثم قال : شأهدت من الشيخ أبى عمر وأخيه الموفق ونسييه العماد ما نرويه عن الصحابة والأولياء فأنسانى حالهم أهلى وأوطانى ثم عدت اليهم على نية الاقامة عسى أن أكون معهم فى دار المقامة •

وقال ابن النجار عنه : كان الشيخ موفق الدين شيخ الحنابلة بالجامع وكان ثقة حجة نبىلا غزير الفضل كامل العقل شديد التثبت دائم السكون حسن السمى نزيها ورعا عابدا على قانون السلف على وجه النور وعليه الوقار والهيئة ينتفع الرجل برؤيته قبل أن يسمع كلامه صنف التصانيف المليحة فى المذهب والخلاف وقصده التلامذة والأصحاب وسار اسمه فى البلاد واشتهر ذكره وكان حسن المعرفة بالحديث وله يد فى العربية •

وقال الحافظ عمر بن الحاجب فى معجمه عنه : هو امام الأئمة ومفتى الأمة خصه الله بالفضل الوافر والخطر العاطر والعلم الكامل طنت بذكره الأمصار وضنت بمثله الأعصار قد أخذ بمجامع الحقائق العقلية والنقلية فأما الحديث فهو سابق فرسانه وأما الفقه فهو فارس ميدانه أعرف الناس بالفتيا وله المؤلفات الغزيرة وما أظن الزمان يسمح بمثله متواضع عند الخاصة والعامة حسن الاعتقاد ذو أناة وحلم ووقار وكان مجلسه عامرا بالفقهاء والمحدثين وأهل الخير وصار فى آخر عمره يقصده كل أحد وكان كثير العبادة دائم التهجد لم نر مثله ولم ير هو مثل نفسه •

وقال عنه الضياء : كان رحمه الله اماما فى القرآن وتفسيره اماما فى علم الحديث ومشكلاته اماما فى الفقه أوحى زمانه فيه اماما فى علم الخلاف

أوجد زمانه في الفرائض اماما في أصول الفقه اماما في النحو اماما في الحساب اماما في الفلك ( قال ) ولما قدم بغداد قال له الشيخ أبو الفتح ابن المنى اسكن هنا فان بغداد مفتقرة اليك فأنت تخرج من بغداد ولا تخلف فيها مثلك — ثم قال : وكان شيخنا العماد يعظم الشيخ الموفق تعظيما كثيرا ويدعو له ويقعد بين يديه كما يقعد المتعلم من العالم وسمعت الامام المفتى شيخنا أبا بكر محمد بن معالى بن غنيمه ببغداد يقول : ما أعرف أحدا في زماننا أدرك درجة الاجتهاد الا الموفق وسمعت أبا عمرو بن الصلاح المفتى يقول : ما رأيت مثل الشيخ الموفق — وقال الشيخ عبد الله اليونينى : ما أعتقد أن شخصا مما رأيت حصل له من الكمال في العلوم والصفات الحميدة التى يحصل بها الكمال سواء فانه رحمه الله كان كاملا في صورته ومعناه من الحسن والاحسان والحلم والسؤدد والعلوم المختلفة والأخلاق الحميدة والأمور التى ما رأيتها كملت في غيره وقد رأيت من كرم أخلاقه وحسن عشرته ووفور حلمه وكثرة علمه وغزير فطنته وكمال

مروءته وشدة حيائه ودوام بشره وعزوف نفسه عن الدنيا وأهلها والمناصب وأربابها ما قد عجز عنه كبار الأولياء فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ( ما أنعم الله تعالى على عبد نعمة أفضل من أن يلهمه ذكره ) فقد ثبت بهذا أن الهام الذكر أفضل الكرامات وأفضل الذكر ما يتعدى نفعه الى العباد وهو تعليم العلم والسنة وأعظم من ذلك وأحسن ما كان جبلة وطبعا كالعلم والكرم والعقل والحياء وكان قد جبلة الله على خلق شريف وأفقرغ عليه المكارم افراغا وأسبغ عليه النعم تطوف به في كل حال \*

وقد علمنا أن الامام الموفق فقيه حنبلى ومحدث أثرى (من علماء الحديث) قد ألف عدة كتب قيمة في فقه الحنابلة ولكنه أراد أن يكون كتابه ( المغنى ) في فقه المسلمين كافة فهو يذكر أقوال علماء الصحابة والتابعين وعلماء الأمصار المشهورين كالأئمة المتبوعين ويحكي أدلة كل منهم واذا رجح مذهب الحنابلة في كثير من المسائل فهو لا ينتقص غيرهم ولا يحمله التعصب على كتمان شيء من أدلتهم ولا على تكلف الطعن فيها كما يفعل أهل الجمود من المقلدين فالمزية الأولى لكتاب المغنى أنه لخص لنا مذاهب

فقهاء المسلمين المجتهدين بأدلتها في أمهات الأحكام ومهمات المسائل فأغنانا عن مراجعة كتب المذاهب الكثيرة فيما نحتاج الى الوقوف عليه منها وعن مراجعة كتب السنن والآثار لمعرفة أدلتها ومذاهب الصحابة والتابعين ومسائل الاجماع والخلاف على أن المصنفات التي تتوسع في رواية هذه الآثار لم تطبع ونسخها الخطية قليلة الوجود كمصنفات عبد الرزاق والأثرم وابن المنذر .

ومن المعلوم أن كتب فقه المذاهب المتبعة والخلاف — منها مالا تذكر فيه الأدلة ومنها ما يذكر فيها ما يؤيد مذاهب مصنفها ويضعف المذاهب المخالفة لها ولو بضروب من التأويل والتحريف وتضعيف الأحاديث التي توافقها وإن كانت ضعيفة أو السكوت عن نقل الطعن فيها وصاحب المغنى لا يعتمد مثل هذا فهو يرجح ما يعتقد رجحانه من أدلة الحنابلة ولا يبتكف الطعن في أدلة من خالفهم ولولا هذا وذاك لما فضله سلطان العلماء في عصره ( الشيخ عز الدين بن عبد السلام رحمه الله ) على كتب الشافعية وهو كما نعلم من أجل علمائهم وهي التي يشهد لها من لم يعرف من مزايا تحريرها ما يعرفه هو بأنها فاقت كتب سائر المذاهب في دقة التحرير والاستدلال والجزم بالحسبيح من الأقوال وكان سلطان العلماء يعتمد على مراجعته في الفتوى إذ صار يفتي بالدليل ويسلك سبيل الاجتهاد . وقد أوضح الامام العالم الأوحى شيخ الاسلام وسيد العلماء وامام أهل السنة مفتي الأمة موفق الدين في مقدمة كتابه ( المغنى ) منهجه في الكتاب وأنه بناء على شرح مختصر أبى القاسم عمر بن الحسين بن عبد الله الخرقى وجعل كتابه مرتبا على مسائل ( متن الخرقى ) وأبوابه .

والحق أن كتاب ( المغنى ) فقه مقارن يعتمد على الدليل متوسع في عرض القضايا الفقهية ولا يقيد مؤلفه فيها باتباع المذهب الا قوة الدليل فلو كان الدليل في غير مذهب الحنابلة فهو يدور مع الدليل حيثما دار ولذا كثيرا ما يذكر في القضايا الفقهية رأيه بقوله ( ولنا ) ويكون فيه بعض ما ينفرد به هو ولو كان مخالفا لمذهب ( أحمد ) كل هذا في أسلوب مطوع ليس فيه تعقيد بعض الفقهاء .

وأخيرا لما كان كتاب ( المغنى ) هو عماد مذهب الحنابلة استحق به مؤلفه عن جدارة وكفاءة لقب ( الامام شيخ الاسلام بقية السلف مفتى الأمة امام أهل السنة ) •

رحم الله شيخ الاسلام الموفق ورفع مقامه في دار البقاء كفاء ما رفع به من بنائنا الفقهي عدة طبقاته الأولية وخلف تراثا فقهيا ثميناً وثروة تشريعية عظيمة تنوء بالجامع العلمية والمؤسسات الكبيرة في هذا العصر... • انه تعالى سميع مجيب •

( ٢ )

### ضياء الدين بن أبى أحمد

هو الحافظ الكبير ضياء الدين بن أبى أحمد محدث عصره ووحيد دهره — أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد بن أحمد بن عبد الرحمن بن اسماعيل ابن منصور السعدى المقدسى الصالحى وشهرته تغنى عن الاطناب في ذكره والاسهاب في أمره ولد رضى الله عنه في خامس جمادى الآخرة سنة تسع وستين وخمسائة قال الحافظ بن رجب في طبقاته كذا وجدته بخطه وقال ابن النجار سألت عن مولده فقال في جمادى الأولى من السنة •

وقد سمع بدمشق من أبى المجد البانياسى والخضر بن هبة الله بن طاووس وأحمد بن الموازىنى وغيرهم من جلة العلماء وسمع بمصر من البوصيرى وفاطمة بنت سعد الخير وجماعة وسمع ببغداد الكثير من الجوزى وابن المعطوس وابن سكينه وابن الأخضر وطبقتهم وسمع من أبى جعفر الصيدلانى وطبقته بأصبهان ومن عبد الباقي بن عثمان بهمدان ومن المؤيد الطوسى وطبقته بنيسابور ومن أبى روح بهراة ومن أبى المظفر بن السمعانى بمرو ورحل مرتين الى أصبهان وسمع بها مالا يوصف كثرة وكتب بخطه الكثير من الكتب الكبار وغيرها ويقال انه كتب عن أزيد من خمسمائة شيخ وحصل أصولا كثيرة وأقام بهراة ومرو مدة وله اجازة من السلفى وشهده •

وقد أجمع كل من ترجم له على تقديره والثناء عليه وقد قال ابن النجار عنه • كتب عنه ببغداد ونيسابور ودمشق وهو حافظ متقن ثبت ثقة صدوق نبيل حجة عالم بالحديث وأحوال الرجال • له مجموعات وتخرجات وهو ورع تقى زاهد عابد محتاط فى أكل الحلال مجاهد فى سبيل الله ثم قال ابن النجار ولعمري ما رأت عيناى مثله فى نزاهته وعفته وحسن طريقته فى طلب العلم •

وقال عمر بن الحاجب عنه : شيخنا أبو عبد الله شيخ وقته ونسيجه وحده علما وحفظا وثقة ودينا من العلماء الربانيين — قال — وهو أكبر من أن يدل عليه مثلى كان شديد التحرير فى الرواية مجتهدا فى العبادة كثير الذكر منقطعا عن الناس متواضعا فى ذات الله سهل العريكة رأيت جماعة من المحدثين ذكروه فأطنبوا فى حقه ومدحوه بالحفظ والزهد سألت الزكى البرزالي عنه فقال : ثقة جبل حافظ دين وقال الشرف بن النابلسي : ما رأيت مثله شيخنا الضياء — ونقل الذهبي عن الحافظ المزى أنه كان يقول : الضياء أعلم بالحديث والرجال من الحافظ عبد الغنى ولم يكن فى وقته مثله — وقال الذهبي فى ترجمته الامام العالم الحافظ الحجة محدث الشام شيخ السنة ضياء الدين صنف وصحح ولين وجرح وعدل وكان الرجوع اليه فى هذا الشأن — وقال الشريف أبو العباس الحسينى عنه : حدث بالكثير مدة وخرج تخاريج كثيرة مفيدة وصنف تصانيف حسنة وكان أحد أئمة هذا الشأن عارفا بالرجال وأحوالهم والحديث وسقيمه وصحيحه ورعا متدينا طارحا للتكليف وقال الذهبي عنه : الضياء بنى مدرسته على باب الجامع المظفرى بسفح قاسيون وأعانه عليها بعض أهل الخير ووقف عليها كتبه وأجزاءه وقال غيره : بناها للمحدثين والغرباء الواردين مع الفقر والقلة وكان يبنى فيها جانبا ويصبر الى أن يجتمع معه ما يبنى به ويعمل فيها بنفسه ولم يقبل من أحد فيها شيئا تورعا وكان ملازما لجبل الصالحية قبل أن يدخل البلد أو يحدث به • ومناقبه أكثر من أن تحصر — وقد ذكر الحافظ ابن رجب من تصانيفه :

كتاب ( الأحاديث المختارة ) وهى الأحاديث التى يصلح أن يحتج بها سوى ما فى ( الصحيحين ) خرجها من مسموعاته كتب فيها تسعين جزءا ولم تكمل قال بعض الأئمة هى خير من ( صحيح الحاكم ) قلت ( ابن رجب ) رأيت لشيخ الاسلام ابن تيمية كلاما فى الثناء عليها وأنها خير من ( صحيح الحاكم ) ، ( وابن حبان ) •

وله كتاب ( فضائل الأعمال ) مجلد وكتاب ( فضائل الشام ) مجلد وكتاب ( مناقب أصحاب الحديث ) أربعة أجزاء وكتاب ( صفة الجنة ) ثلاثة أجزاء وكتاب ( صفة النار ) جزءان وكتاب ( أفراد الصحيح وغرائبه ) تسعة أجزاء وكتاب ( ذم المسكر ) جزء وكتاب ( فضائل القرآن ) جزء وكتاب ( الرواة عن البخارى ) جزء وكتاب ( دلائل النبوة والالهيات ) ثلاثة أجزاء وكتاب ( فضائل الجهاد ) جزء وكتاب ( النهى عن سب الأصحاب ) جزء وكتاب ( الحكايات المستظرفات ) أجزاء كثيرة فيها أحاديث مخرجة وكتاب ( سبب هجرة المقداسة الى دمشق وكرامات مشايخهم ) نحو عشرة أجزاء وأفرد لأكابرهم من العلماء لكل واحد سيرة فى أجزاء كثيرة وكتاب ( أطراف الموضوعات لابن الجوزى ) فى جزئين وكتاب ( تحريم الغيبة ) جزء وكتاب ( الموقف والاقتصاص ) جزء وكتاب ( الاستدراك على الحافظ عبد الغنى فى عزوه أحاديث فى دور الأثر ) جزء وكتاب ( الاستدراك على المشايخ النبيل لابن عساكر ) جزء وكتاب ( الارشاد الى بيان ما أشكل من المرسل فى الاسناد ) جزء كبير فيه فوائد جلية وكتاب ( الموافقات ) جزء وكتاب ( طرق حديث الحوض النبوى ) جزء وكتاب ( أحاديث الحرف والصوت ) جزء وكتاب ( الأمر باتباع السنن واجتناب البدع ) جزء وكتاب ( مسند فضالة بن عبيد ) جزء وكتاب ( الأمراض والكفارات والطب والرقيات ) وغير ذلك •

وقد ذكر الحافظ بن رجب عنه أيضا : قد روى عنه ابن نقطة فى استدراكه فقال : حدثنا محمد عبد الواحد الحنبلى بالجبل ظاهر دمشق وابن النجار فى تاريخه والبرزالى وعمر بن الحاجب وعمر بن الفخر البخارى والقاضى تقي الدين سليمان بن الفراء والنجم الشقراوى واسماعيل

ابن الخباز والحسن بن الخلال والمدثني وأبو بكر بن عبد الدائم وعيسى المطعم وخلق كثير غير من ذكر ثم قال الحافظ بن رجب : لقد توفي الحافظ الضياء يوم الاثنين ثامن عشر جمادى الآخرة سنة ثلاث وأربعين وستمائة بسفح قاسيون ودفن به \*

ولقد ذكره الحافظ جلال الدين السيوطي في ( طبقات الحفاظ ) فقال عنه : الامام العالم الحافظ الحجة محدث الشام شيخ السنة ضياء الدين ثم قال لقد رحل وصنف وصحح ولين وجرح وعدل وكان المرجوع اليه في هذا الشأن جبلاً ثقة ديناً زاهداً ورعاً ثم ذكر تاريخ وفاته ومولده على النحو الذي ذكر آنفاً رحمه الله ورضي عنه لقاء ما بذل في سبيل نشر الهدى النبوي على الأجيال والفناء في دين الله \* ولعلنا قبل أن نعرض لمؤلفه القيم الضخم الذي يعد ثروة مذكورة في الحديث كتاب ( ثلاثيات المسند ) نرى لزماً علينا أن نلم المامة سريعة بصنوه وزميله في اعداد هذا المصنف النفيس وهو :

الامام العالم المحقق والامام العلامة المحدث الحافظ المتقن محب الدين اسماعيل بن عمر بن أبي بكر المقدسي أبو اسحق وأبو القاسم وأبو الفضل سمع بدمشق من أبي اليمن الكندي وغيره \* وبمصر من البوصيري ومن الحافظ عبد الغني وبيعداد من ابن الأخضر وطبقته وبأصبهان من أبي عبد الله محمد بن مكي وأبي بكر أحمد بن عبيد الله الخاني وطبقتهما من أصحاب الرستمي ومسعود الثقفي وكانت رحلته مع الضياء بعد الستمائة وعني بالحديث وقرأ وقد قال الحافظ ابن رجب في الطبقات عنه كما وصفه جماعة من الثقات بالحافظ وقد تفقه وحدث وتوفي ثامن عشر شوال سنة ثلاث عشرة وستمائة وكان لا يزال شاباً - ومضى الروح الأمين الى رحاب رب كريم وقد علم الله صدق ايمانه وعظيم جهاده فأنزله منازل الصديقين ان شاء الله رب العالمين \*

وهنا بقى أن نتعرض للكتاب الذي أخرج فيه الأحاديث من المسند الامامان الجليلان ضياء الدين ومحب الدين المقدسيان وهو كتاب ( ثلاثيات



المسند ) وهو مسند امام أهل السنة أحمد بن حنبل رضى الله عنه والكتاب ينتظم الأحاديث الثلاثية والثلاثى ما كان بين المخرج للحديث وبين النبى صلى الله عليه وسلم ثلاثة رواة صحابى وتابعى وتابع تابعى وحينئذ تجتمع من أفراد الثلاثة القرون المفضلة كما فى الأخبار الواردة عن رسول الله عليه الصلاة والسلام فيما رواه عمران بن الحصين عن النبى عليه السلام ( حير الناس قرنى ثم الذين يلونهم — قال عمران فلا أدري أذكر بعد قرنه قرنين أو ثلاثة — ثم ان بعدهم قوما يشهدون ولا يستشهدون ويخونون ولا يؤتمنون وينذرون ولا يوفون ويظهر فيهم السمن ) رواه الشيخان فى صحيحهما وغيرهما وفى معناه أخرج أبو داود والنسائى والترمذى أحاديث عن عائشة وابن مسعود وأبى هريرة •

والطبقة الأولى طبقة الصحابة وهؤلاء عدول بنص القرآن وقد عرفوا الصحابى بأنه كل من رأى النبى صلى الله عليه وسلم مؤمنا به ومات على الايمان — أما ما عدا الصحابة من الطبقتين التاليتين فتكون عدالتهم بالنسبة لكل فرد منهم بحسب ما عرف من حاله عدالة وضبطا أو ما خالف ذلك ويعطى من الدرجة بقدر ما يجتمع له من الصدق والتثبت والحفظ وكل ما يمت الى العدالة والضبط •

وقد جرى صاحبنا ( الثلاثيات ) على أن يوردا الأحاديث مبوبة بحسب الصحابة على صورة المسند والمعروف أن المسند يورد الأحاديث التى رواها الصحابى ومن معه وهكذا كل صحابى وليست مصنفة بحسب موضوعاتها أو أحكامها كما يفعل أصحاب الصحاح والسنن كالشيخين وأبى داود والنسائى والبيهقى وابن ماجه والترمذى والدارمى وغيرهم ويخالف أيضا نظام المعاجم للطبرانى فإنه يعرضها فى معجمه بحروف الأبجدية بالنسبة لشايعه هو — وحسبنا هنا هذا التعريف الموجز بهذا المؤلف القيم الذى يعد ذخرا من تراثنا الروحى وكنزا من الهدى النبوى والله المستعان •

( ٣ )

### العلامة المحقق محمد بن أحمد

هو الشيخ الامام العلامة المحقق محمد بن احمد بن عبد الهادى بن عبد الحميد بن عبد الهادى بن يوسف بن محمد بن قدامة المقدسى الحنبلى شمس الدين وهو أبو عبد الله الفقيه المقرئ المحدث الحافظ الناقد النحوى المتفنن الجبل الراسخ ولد فى رجب سنة أربع أو خمس أو ست وسبعمائة وتوفى سنة أربع وأربعين وسبعمائة فى عاشر جمادى الأولى وعمره أربعون سنة أو أقل \*

وقد سمع من التقى سليمان والحجار والمطعم وابن سعد وطبقتهم وتفقه بآبى مسلم ولازم شيخ الاسلام ابن تيمية وعنى بالحديث وفنونه وبرع فى ذلك وأفنى ومهر فى الأصول والعربية وغيرها \*

وقد أثنى عليه جلة من العلماء : فقال الصفدى عنه : لو عاش كان آية \* كنت اذا لقيته سألتته عن مسائل أدبية وفوائد عربية فينحدر كالسيل وكنت أراه يوافق المزي فى أسماء الرجال ويرد عليه فيقبل منه — وقال الذهبى فى معجمه المختص عنه : الفقيه البارع المقرئ المجود والمحدث الحافظ النحوى الحاذق ذو الفنون كتب عنى واستفدت منه — وقال عنه ابن كثير كان حافظا علامة ناقدًا حصل من العلوم ما لا يبلغه الشيوخ الكبار وبرع فى الفنون وكان جبلا فى العلل والطرق والرجال حسن الفهم جدا صحيح الذهن — وقال الحسينى عنه : درس بالصدرية والضيائية وتصدر وقد حدث الذهبى عن المزي عن السروجى عنه \*

وقال عنه المزي : ما التقيت به الا واستفدت منه — وقد ذكره الذهبى فى طبقات الحارث وقال عنه : لقد صنف التصانيف الكثيرة بعضها كمل وبعضها لم يكمل لهجوم المنية عليه وله توسع فى العلوم والفقه والأصليين ( أصول التوحيد وأصول الفقه ) وقد عدله ابن رجب فى طبقاته ( صاحب كتاب طبقات الحنابلة ) ما يزيد عن سبعين مصنفا منها كتاب ( الأحكام )

في ثمانية مجلدات ( والمحرر في الحديث ) اختصره من الامام فجوده جدا واختصر ( التعليق ) لابن الجوزي وزاد عليه وحرره وشرح ( التسهيل ) في مجلدين وله مناقشات ( لأبى حيان ) فيما اعترض به على ابن مالك في الألفية وغير ذلك وله كلام على ( أحاديث مختصر ابن الحاجب ) وشرح ( كتاب المعل ) على ترتيب كتب الفقه ( المجلد الأول ) وجمع ( التفسير المسند ) ولم يكمل — وقد كثر التأسف عليه لما مات وحضر جنازته من لايحصى كثرة ودفن بسفح قاسيون \*

وقد ظهر أنه أحد أحرار الفكر وجندى من جنود الله في كتابه ( الصارم المنكى في الرد على السبكي ) وكان قد تخرج في مدرسة شيخ الاسلام ابن تيمية وثمره من ثمرات الامام المجاهد الصابر المظلوم ولذا نافح في هذا الكتاب عن شيخه حيث اتهمه السبكي بتحريم زيارة قبر الرسول صلى الله عليه وسلم وقد قال في مقدمة هذا الكتاب ( أما بعد فاني وقفت على الكتاب الذى ألغه السبكي وهو من قضاة الشافعية في الرد على شيخ الاسلام تقى الدين أبى العباس أحمد بن تيمية في مسألة شد الرحال واعمال المطى الى القبور وذكر أنه كان قد سماه شن الغارة على من أنكر سفر الزيارة ) ثم زعم أنه اختار أن يسميه ( شفاء السقام في زيارة خير الأنام ) موضوع زيارة قبر الرسول صلى الله عليه وسلم وما يتعلق به من حياة القبور وسماعهم الكلام .. الخ وختم مقدمة كتابه هذا بقوله ( وليعلم قبل الشروع في الكلام مع هذا المعترض أن شيخ الاسلام رحمه الله لم يحرم زيارة القبور على الوجه المشروع في شئ من كتبه ولم ينهاه عنها ولم يكرها بل استحباها وحض عليها ومناسكه ومصنفاته طافحة بذكر استحباب زيارة قبر النبى صلى الله عليه وسلم وسائر القبور ) . وقد التزم الكتاب جانب الفقه في القول والأمانة في النقل والتحرر من آراء الرجال مما يجب أن يلتزمه كل مخالف مع من يخالفه وكنا نظن أن شيخ الاسلام ابن تيمية لم يترك لنا أعظم من تلميذه ( ابن القيم ) فإذا بهذا الكتاب يعلن أن تلميذه ( ابن عبد الهادى ) لا يقل عن ابن القيم سعة في الاطلاع ولا دراية في علم الحديث ورجاله ولا سهولة أسلوب ولا بلاغة منطق ولا عفة لسان وكل من كتبوا أو تكلموا في هذه المسائل

من عشرات السنين الى اليوم كانوا عالة على هذا الكتاب الذى يتمسك فى كل سطر من سطره بالحقيقة الواضحة التى تستند الى الدليل الثابت من كتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام والتزم فيه منهج أهل صنعة الحديث من المسلمين الأوائل هذا المنهج الذى عرفه المسلمون قبل أن تعرفه أكاديميات وجامعات العالم الحديث •

رحمه الله ورضى عنه وأثابه الجنة بفضل رحمته وسائر المسلمين الصالحين •

( ٤ )

### سليمة التقى والورع فاطمة المقدسية

هى أم ابراهيم فاطمة بنت العز ابراهيم بن الخطيب شرف الدين عبد الله ابن أبى عمر المقدسية وقد ولدت عام سنة وخمسين وستمائة أو عام أربعة وخمسين وستمائة وأحضرت على ابراهيم بن خليل مشيخة أبى مسهر وحديث ابن أبى الفراتى وتفردت بالسماع منه وسمعت على ابن عبدالدائم جزء ابن الفرات والأربعين للأجرى وانتخاب الطبرانى وجزء أيوب وجزء ابن عرفة والمبعث لهشام ومشيخة تخريجه لنفسه ( ارجاع الرواية الى مظانها ) وثالث علم ابن حجر وسمعت على والدها وعم والدها الشمس ابن أبى بكر وعبد الوالى بن جبارة وأحمد بن جميل وأبى بكر الهروى •

وأجاز لها محمد بن عبد الهادى وعبد الحميد بن عبد الهادى وخطيب مردا وأبو طالب بن السرورى وتفردت بالرواية عنهم وكانت عابدة خيرة وهى كما رأينا سمعت من أئمة عصرها الأعلام ونشأت فى أسرة تقى وورع وعلم وانحدرت من أصلاب طاهرة وقد صعدت روحها النقية الى ربها راضية مرضية فى شوال سنة سبع وأربعين وسبعمائة وقد ادخر الله لها كريم مثوبته فى الجنة التى جعلها مثوى لأكرم الصالحات والصالحين •

( ٥ )

## مسند العصر أبو الفضل سليمان

هو القاضي تقي الدين مسند العصر أبو الفضل سليمان بن حمزة بن أحمد بن عمر بن أبي عمر محمد بن أحمد بن قدامة المقدسي وقد ولد في رجب سنة ثمان وعشرين وستمئة وأحضر على بن الزبيدي وعلى جده وابن المغيرة والأبلي وسمع من ابن اللثمي وجعفر وابن الجميزي وكريمة والحافظ الضياء فسمع منه ستمئة جزء فأكثر وأجاز له ابن عمار وابن باقا والمسلم المازبي ومحمد بن زهير شعراثة ومحمود بن ابراهيم والسهورودي والمخاف بن أبي ستان وعيسى بن عبد العزيز وجمع جم من بغداد وأصبهان وغيرهما وكلهم من جلة الفقهاء وصفوة الأئمة وتفقه بآب أبي عمر وصحبه مدة وبرع في المذهب وكانت له معرفة وثيقة بتوالييف الشيخ الموفق وقد درس بعدة أماكن وطلب بنفسه وقتا وقرأ على المشايخ الثقات وكان جيد الإيراد لدروسه وقد حدث وهو شاب سمع منه الأبيوردي وعلاء الدين الكندي ثم تكاثروا عليه والتفوا حوله بعد السبعمئة وولى القضاء عشرين عاما وشارك في العربية والفرائض والحساب وكان مشهورا بالعدل والعفة بارعا في الفقه جيد التدريس وتخرج به جماعة من العلماء وحدث بالكثير ولم يزل على حاله لم يصبه الوهن الى أن مات فجاءة في ليلة الاثنين الحادي عشر من ذي القعدة سنة خمس عشرة وسبعمئة وكان الجاشنكير لما ولى السلطنة عزله بالشرف بن الحافظ فلما عاد الناصر أعاده لثقته به .

وقد قال الذهبي عنه : كان محبا للرواية كثير التلاوة طيب الأخلاق صاحب ليل وتهجد وصيام وإيثار وسماح لا يخل بالجماعة وكان ضخم البناء تام الشكل أزرق العين أشقر منور الشيبة حلیم النفس منبسطة لقضاء الحوائج لين العريكة وكان يقول سمعت من الشيخ ضياء ألف جزء وكان رفيع البزة ديننا متمسكا بمذهب السلف وكان لا ينهر أحدا ويصمم على مراده بعقل وسكون وفيه بر بأقاربه ولطف بالناس ويحكي عنه كرامات ولما وقعت محنة ابن تيمية في عام خمسة وسبعمئة وألزم الحنابلة بالرجوع

عن معتقدهم وهمدوا تلتف القاضي تقى الدين وداراهم وترفق الى أن سكنت القضية ولم يك شيئاً وقد حدث له في نوبة غازان أذى كبير .

وحكى ابن عبد الحميد عن شمس الدين الحارثي أنه رأى وهو في طريق الحج أن القنديل بمحراب جامع الصالحية طفئ قال فكلمتهم في إيقاده فقالوا ما بقى يعود فكان ذلك وقت وفاة القاضي تقى الدين سليمان .

وقال عنه ابن رافع : انه سمع من الضياء ألف جزء وعنى بالحديث وقراءته وكتابته فقرأ الكتب الكبار وروى الكثير من سماعته . وشيوخه بالسماع نحو المائة وبالإجازة نحو السبعمئة وقد حدث عنه أبو الحسن بن أبي المجد وحده بالقاهرة وفاطمة بنت المنجا وحدها بدمشق وهى آخر من حدث عنه بالإجازة وحدث عنه من مات قبلها بمائة وثلاثين سنة وهكذا عاش القاضي العادل والفقيه الثبت والامام الجليل مشعلا ينير لكل من حوله فكانوا في الأرض العلماء المجاهدين وكانوا في الآخرة الأبرار الخالدين .

( ٦ )

### الصالحة حبيبة بنت الزين

هى أم عبد الرحمن حبيبة بنت الزين عبد الرحمن بن أبى بكر محمد ابن ابراهيم بن أحمد بن عبد الرحمن بن اسماعيل بن منصور المقدسى وقد ولدت عام أربعة وخمسين وستمئة وحضرت على البلدانى وخطيب مردا وسمعت من ابراهيم بن خليل وأحمد بن عبد الدائم وكلهم من الأئمة الأعلام وأجاز لها السبط وفضل الله الجيلى مع آخرين من بغداد وحدثت بالكثير خصوصا بالإجازة ( أى حدثت بالاسناد عنها وحدثت بالإجازة في الكتب الصحيحة والمسانيد والمعاجم والمصنفات وأجيزت في الكثير منها ) وقد قال عنها الذهبى في ( تذكرة الحفاظ ) سمعت منها وعرفها زوج الناج وملأت حياتها الصالحة بالرواية والحفظ وشهود مجالس العلم والتفقه في دين الله ولم تتزوج وماتت في شعبان سنة ثلاث وثلاثين وسبعمئة ورجعت نفسها الطاهرة الى ربها راضية مرضية

( ٧ )

## الامام الجليل صلاح الدين بن أبى عمر

هو أبو عبد الله صلاح الدين بن أبى عمر المقدسى ثم الصالحى الحنبلى محمد بن أحمد بن ابراهيم بن عبد الله بن أبى عمر محمد بن أحمد بن قدامة ابن مقدام المقدسى وقد ولد سنة أربع وثمانين وستمئة وسمع من الفخر على ابن البخارى مشيخته تخريج ابن الظاهرى ومسند الامام أحمد بفوت يسير وكذلك الثمائل للترمذى والسادس والسابع من أمالى الجوهري (صاحب الصحاح) ومشيخة الجوهري الصغرى وسمع أيضا من التقى ابراهيم بن على الواسطى ومن أخيه ومن شمس الدين محمد بن الكمال بن عبد الرحيم ومن العز اسماعيل بن الفراء ومن التقى أحمد بن عبد المؤمن الصورى ومن عيسى المغارى فى آخرين وأجاز له أبو الفتح بن المجاور وزينب بنت مكى وعبد الرحمن بن الزين أحمد بن عبد الملك وزينب بنت المعلم وغيرهم وكل من سمع منهم وأجازوا له من الأئمة الثقافات وقد ولى الامامة بمدرسة جده أبى عمر وحدث بأكثر مسروعاته فسمع منه القدماء \*

وقد ذكره الذهبى فى مجمعه الكبير فقال : وعمر دهرا طويلا حتى صار مسند عصره وتفرد بأكثر مسروعاته ومشايخه وكان صبورا على السماع محبا للحديث وأهله ومات فى الرابع والعشرين من شوال سنة ثمانين وسبعمائة ونزل الناس بموته درجة وهو آخر من حدث عن الفخر بالسماع والاجازة الخاصة وآخر من حدث عن النبى صلى الله عليه وسلم تسعة أنفوس بالسماع المتصل بشرط الصحيح قد أجاز لمن أدرك حياته خصوصا للمصريين فدخلت فى ذلك (الذهبى) ولم أظفر لى منه باجازة خاصة مع امكان ذلك والله المستعان \*

وخرج له الصدر الياصوفى مشيخته وحدث بها وآخر من سمعها منه البرهان سبط بن العجمى \*

رحم الله الامام الجليل ونضر وجهه وجعل مثواه الجنة مع الصديقين والصالحين وحسن أولئك رفيقا \*

( ٨ )

### الشيخ الفاضل أبو محمد بن الحافظ

هو شرف الدين أبو محمد بن الحافظ عبد الله بن الحسين بن عبد الله ابن عبد الغنى بن عبد الواحد بن علي بن سرور المقدسى الحنبلى وقد ولد فى رمضان سنة ست وأربعين وستمائة وأحضر عند محمد بن سعد ومكى ابن علان وغيرهما وسمع من محمد بن عبد الهادى والبلدانى وخطيب مردا وعلى بن يوسف الحورى وسبط بن الجوزى وابراهيم بن خليل وغيرهم وكلهم أئمة عصره وحمله مشاعل الهداية فيه — ومن مسموعه على العماد عبد الحميد بن عبد الهادى نسخة أحمد بن أبى الحوارى عن أبى معاوية ومن العز عبد الرحمن بن التقي محمد بن الحافظ عبد الغنى الثانى من حديث البغوى ( صاحب مشكاة مصابيح السنة ) \* وأجاز له ابراهيم بن أبى بكر الزعبي وعلى بن عبد اللطيف بن الخيمى وفضل الله الجبلى ومحمد بن نصر ابن الحصرى وأحمد بن المفرج والزكى عبد العظيم وابن عبد السلام والرشييد العطار وعبد الغنى بن بنين \*

وقد ذكره البرزالى فقال عنه : شيخ جليل صالح فاضل من أهل العلم والدين يقرأ الحديث قراءة حسنة فصيحة وقد ولى مشيخة الحديث بالصدرية وغيرها وطلب بنفسه وقرأ على ابن عبد الدائم وتفرد بالكثير وتفقه وبرع فى مذهبه وأفنى ودرس وناب فى الحكم ثم ولى القضاء فى أخريات حياته \*

وقال عنه الذهبى : كان مليح الذهن حسن المناظرة ولم يكن بالمتحذلق بل كان سليم الباطن وكان ديناً صيناً وكان لا يصبر على الحديث وكانت مدته فى القضاء سنة وشهراً وأياماً وكان ساكناً وقوراً حسن السمات فاره القامة وقد مات فجأة وهو يتوضأ لصلاة المغرب فى غرة جمادى الأولى سنة اثنتين وثلاثين وسبعمائة بعد أن قضى حياته الحافلة فى خدمة الشريعة السمحة وبقيت حياته خلوداً مع الرفيق الأعلى \*



( ٩ )

### الامام العلامة الحسن بن عبد الله

أحمد بن الحسن بن عبد الله بن أبي عمر المقدسى الحنبلى شرف الدين ابن شرف الدين بن قاضى الجبل ولد فى شعبان سنة ثلاث وتسعين وستمائة وأسمع من اسماعيل بن عبد الرحمن الفراء ومحمد بن على الواسطى وأحمد ابن عبد الرحمن بن مؤمن وآخرين وطلب بنفسه بعد العشر فسمع من المتقى سليمان ونحوه وأجاز له ابن عساكر وابن القواس وغيرهما وخرج له ابن سعد مثنى عن ثمانية عشر شيخا حدث بها واشتغل بالعلم فبرع فى الفنون وكان بارعا فى العلوم بعيد الصيت قديم الذكر وله نظم بديع وذهن سيال وقد أفتى فى شبيبته ويقال ان ابن تيمية أجاز به بالافتاء وكان يزدهم الفضلاء والعامه فى مجالس علمه وقد ولى القضاء فى عام سبعة وستين وسبعمائة وكان صاحب نواذر طريفة وخط حسن وقد ذكره الذهبى فى المعجم المختصر فقال عنه : الامام العلامة شرف الدين صاحب فنون

وذهن سيال وتودد سمع معى ( الذهبى ) وطلب الحديث وقتا وكانت وفاته فى رجب سنة احدى وسبعين وسبعمائة ومن تصانيفه ( القصد المفيد فى حكم التوكيد ) ومسألة رفع اليدين والكلام على قوله تعالى ( أنت قلت للناس اتخذونى وأمى الهين من دون الله .. الخ ) وله نثر فائق فى المذهب ومن شعره \*

نبى أحمد وكذا امامى      وشيخى أحمد كالبهر طامى  
واسمى أحمد وبذاك أرجو      شفاعته سيد الرسل الكرام

( ١٠ )

### المتعبدة حبيبة بنت العز

هى أم عبد الله حبيبة بنت العز ابراهيم بن عبد الله بن أبي عمر المقدسى وقد ولدت سنة أربع وخمسين وستمائة وسمعت على الامام أحمد بن عبد الدائم انتخاب الطبرانى ( للطبرانى ثلاث معاجم وله مختارات من هذه

المعاجم الثلاثة هي الكبير والأوسط والصغير هذه المختارات هي التي تسمى انتخاب الطبراني ( وجزء ابن عرفة ومشيخته تخريجه لنفسه ) ( وهو ما رواه ابن عرفة عن مشيخته بالاسناد ) وأجاز لها العلامة محمد بن عبد الهادي والسدر البكري وقد وقفت حياتها للعلم ولم تتزوج وتوفيت في ليلة عاشر ذي القعدة سنة خمس وأربعين وسبعمائة رحمها الله كفاء ما بذلت في سبيل اعلاء كلمته والحفاظ على شريعته •

## ( ١١ )

### موفق الدين عبد الله بن محمد

هو موفق الدين عبد الله بن محمد بن عبد الملك بن عبد الباقي الربيعي المقدسي الحنبلي وقد ولد سنة احدى وتسعين وستمائة أو في أواخر السنة التي قبلها ( كما كتب بخطه في مولده ) وولى قضاء الديار المصرية للحنابلة في جمادى الآخرة عام ثمانية وثلاثين وسبعمائة وبقي في منصبه هذا حتى مات وسمع بالقاهرة من أبي الحسن بن الصواف وسعد الدين الحارثي والشريف الزينبي وحسن الكردي وموفقية بنت وردان وزينب بنت شكر وست الوزراء والحجار وسمع بدمشق من عيسى المطعم وأبي بكر بن أحمد ابن عبد الدائم وغيرهما وسمع بمكة من الرضى الطبري وغيره وتفقه وحدث عنه جماعة من الأئمة •

وقد قال عنه الذهبي في معجمه : عالم ذكى خير صاحب مروءة وديانة وأوصاف حميدة قدم علينا صاحب حديث وسمع من أبي بكر بن عبد الدائم وعيسى المطعم وغيرهما وعنى بالرواية وسمع معى وهو ممن أحبه في الله وولى القضاء فحمدت سيرته وسدده الله وكان واسع المعرفة بالفقه وفي زمنه انتشر مذهب الحنابلة بالديار المصرية وكان يتعبد ويتعهد ويحب الصلحاء والعلماء ويصمم في الأمور الشرعية وكان محببا في الناس معظما عند الخاص والعام •

وذكر في تاريخ اليوسفى ان غضب السلطان على ابن عبد الحق قاضى الحنفية فعزل وأخرج هو وأولاده الى الشام وهنا سأل السلطان عن

يصلح للقضاء من الحنابلة فأشار عليه ( جنكلى بن البابا ) بموفق الدين فولاه وقد استقر بعده فى الحكم صهره أبو الفتح نصر الله بن أحمد وولى درس الحديث بالقبة المنصورية بعده بدر الدين بن أبى البقاء وقد مات العلامة المحدث الفقيه موفق الدين فى السابع عشر من المحرم سنة تسع وستين وسبعمائة نغمده الله برحمته ورضوانه وأجزل عما قدم للإسلام مثنوته \*

### خاتمة :

وبعد فهذه ثلة من الأئمة تشرف بالانتساب الى بيت المقدس نشأت فى نوره وتنفست فى عطره حتى نبغت وكانت للعالمين منارا وللإسلام والمسلمين ذخرا وهم قليل من كثير من هذا الجحفل اللجب الذى احتضنه بيت المقدس ولو شئنا الاطالة لضاق المقام وانما هى نماذج من أشباههم ونظائريهم ممن حفل بهم بيت المقدس لهم علينا حقوق بيئة القداسة وفى أعناقنا ديون واجبة الأداء \* ونحن اذ نستعرض سيرهم الطاهرة قضاء لحقوقهم وأداء لديونهم ننتفع من ذلك أكثر مما ينتفعون الا أن تنبسط مناكف ظهور الى الله تبارك وتعالى داعية لهم بالرحمة والرضوان وأن ينعم على أرواحهم بالخلد وعلى ذكراهم بالخلود \*

# من علماء سنة الخليل

الاستاذ ابراهيم طوقه عرض

( ١ ) الامام الجعبرى

نسبه : هو ابراهيم بن عمر بن ابراهيم بن خليل أبو العباس السلفى  
أبو محمد الربعى الجعبرى الشافعى ، ويقال له ابن السراج « لقبه ببغداد  
تقى الدين وبالخليل برهان الدين » \*

مولده : ولد بربض قلعة جعبر سنة ٦٤٠ هـ — سنة ١٣٤٢ م ، توفى  
بالخليل وكان شيخها سنة ٧٣٣ هـ — ١٣٣٢ م ، وقيل سنة ٧٣٢ هـ سكن  
دمشق مدة وبغداد ، ثم استقر بالخليل ونال مشيختها \*

نشأته : لقد تنشأ تنشئة صالحة بين أهل صالحين \* وأصدقاء مخلصين \*  
فوجه الى حفظ القرآن الكريم فحفظه عن ظهر قلب حفظا جيدا ، وجوده  
تجويدا متقنا ، وتعلم القراءات وعلومها ، وسمع الحديث وأتقن الأصول ،  
والعلوم العربية والتفسير \*

شيوخه : قرأ للسبعة على أبى الحسن الوجوهى ، صاحب الفخر الموصلى ،  
والعشرة على المنتخب حسين بن حسن التكريتى ، صاحب بن كدى ، بكتاب  
در الافكار ، ومن ثم لم تنفع له بالتلاوة عن كل من العشر الا رواية واحدة \*  
وروى القراءات بالاجازة عن الشريف الداعى ، وروى الشاطبية بالاجازة ،  
عن عبد الله بن محمود الجزرى وسمع من محمد بن سالم المنجى ، وابراهيم  
ابن خليل ، وابن البخارى ، وأجاز له يوسف بن خليل وقرأ كتاب التعجيز  
على مؤلفه \*

من أخذوا عنه : وقرأ عليه القراءات العشر شيخنا أبو بكر بن الجندى ،  
وذكر المؤرخون أن الشيخ عمر بن حمزة شيخ صفد قرأ عليه وقرأ عليه  
أحمد بن نخلة سبط السلعوس ، محمد المطرز ، والقاسم المغربى ، وابراهيم

البلعبي الشاهد • وقرأ عليه بعض القرآن بالقراءات وأجازه بالباقي  
شيخنا أبو المعالي بن اللبان ، وابراهيم بن أحمد الضرير الشامي ، وقرأ  
عليه أيضا • الحسام المصري شيخ القوم •

مصفاته : له تصانيف كثيرة • في القراءات • والتفسير • والحديث •  
والأصول • وعلوم العربية والتاريخ •

منها : كنز المعاني في شرح حرز الأمانى ، نزهة البررة في القراءات  
العشرة ، وشرح التعجيز ، وشرح الرائية في علم رسم القرآن « عقيلة  
أتراب القصائد في أسنى المقاصد » وكتاب مختصر النزول للواحدى •  
ومنظومة الأفهام والاجابة في مصالح الكتابة والايجاز في الألفناز وغير  
ذلك • وله من التصانيف ما يقارب المائة •

وكان رضى الله عنه منور الشيبية ، ساكنا وقورا ذكيا ، واسع العلم ،  
حلو العبارة ، محققا حاذقا ثقة كبيرا •

### رحلاته في طلب العلم

ولما كان شديد الشغف بكتاب الله وسنة رسول الله ( صلى الله عليه  
وسلم ) تطلعت نفسه وهو في مقتبل شبابه الى البلاد العربية ، ولم يأبه بما  
يلحقه في ذلك من وعثاء السفر ومصاعبه ومشاقه وبعد الشقة ووحشة  
الغربة ، ليشبع رغبته ، ويرتشف من معين علومها الصافي ما تطيب به  
نفسه ، ويطفئ أوار ظمئه ، فيمم بلاد الحجاز • والشام • والعراق ، وكان  
كلما ارتحل الى بلد شعر بأنه موطنه الذى فيه ولد وفيه تربى ودرج ،  
تقله أرضه وتخلله سماؤه ويحنو عليه فيه أهله وأخوانه ، وما كان يرى وحشة  
ولا سامة فيقيم فيه ما شاء أن يقيم حتى يقتنص ما شاء أن يقتنص من  
أوابد العلوم وشواهدا •

وحيثما يجد طلبته وضالته المنشودة يهرع اليها ، فينهل من كل قطر المزيد  
من العلوم والمعارف ••

وكان يخص علوم القرآن والحديث المزيد من العناية التامة ، فما كان  
يقتنص على سماع من شيخ واحد ، بل كان يكثر من المشايخ عله أن يجد

عند أحدهم ما لا يجده عند غيره ، وما كان يلتزم طريقة السماع من الشيخ فحسب ، وإنما كان يقرأ هو بنفسه الحديث تارة فيقره الشيخ ، وأخرى كان الشيخ هو الذى يقرأ وهو يسمع منه ، سواء أكان فى العراق أو الشام أو غير ذلك من كل بلد يرحل اليه ، وبذلك أتقن علومه اتقاناً لا حد له \*\*\* ومن هناك كثرت مشايخه فى كل قطر من الأقطار التى ازدهرت فيها العلوم والمعارف غير أنه اتخذ له فى كل فن من الفنون شيخاً • كان هو العمدة له فى ذلك الفن •

أخلاقه :

كان عليه رحمة الله ورضوانه على جانب كبير من الأخلاق الكريمة والصفات الحميدة •

كان خلقه القرآن العظيم وحديث رسول الله ( صلى الله عليه وسلم ) •

فما كان يغفل عن الاشتغال بهما ، وكان من أبرز صفاته التى عرف بها الحلم والتواضع واحتمال المشاق والصبر على المكروه والصيام وقيام الليل فى الطاعة ، والورع والآداب الجامعة مع شيوخه وطلابه ومن يعرف ومن لا يعرف ، محبته للعلماء وذوى الفضل ، والتتويى بذكرهم ، وعدم تناول أحد بما يسيء وعدم التفاخر بعلمه ومزاياه ، والى جانب ما ذكر ما انتصف به من الكرم والمروءة والبذل والسخاء والزهد فى متاع الحياة الدنيا ، وغير ذلك من الصفات الكريمة التى لم تجتمع لأحد من أهل زمانه ، وقد شهد له القدماء بالحفظ والمعرفة التامة ، والذهن الحاد والذكاء المفرط ، وسعة الاطلاع فى كثير من الفنون • • وانه ليصدق فيه حديث الرسول ( صلى الله عليه وسلم ) « ثلاث من كن فيه استكمل الايمان واستوجب الثواب : خلق يعيش به فى الناس ، وورع يحجزه عن محارم الله ، وحلم يرد به جهل الجاهلين » ولم يزل رضى الله عنه ، على جلالته فى العلم وعظمته فى النفوس ، ومداومته على المبرات • وفعل الخيرات ، الى أن توفاه الله ، وصلى عليه بمشهد عظيم لم ير من حضره مثله ، تغمدته الله برحمته وجزاه الله عن الاسلام والمسلمين خير الجزاء • •

٢ — القاضي شهاب الدين محمد بن عبد القادر بن ناصر الأنصاري الشافعي ويعرف بابن العالمة \* ولد في سنة ٦٠٠ هـ ، وارتحل كثيرا في طلب العلم ، وكان أدبيا فاضلا وفقهيا ولى قضاء الخليل وله شعر ،

وكانت أمه عالمة كبيرة القدر ، حفظت القرآن وشيئا من الفقه والخطابة .

روى عنه ولد قاضي القضاة زين الدين ، قاضي « حلب » توفي سنة اثنتين وسبعين وستمائة هـ .

٣ — القاضي شمس الدين أبو عبد الله محمد بن كمال الدين كامل التدمري الشافعي ، كان عالما فاضلا \* ولى كثيرا من المناصب الهامة وله مؤلفات ، ولى الخطابة والامامة بحرم الخليل عليه السلام سنة ٧٢٥ هـ .

باشر نيابة الحكم بدمشق ، وتولى قضاء القدس الشريف من دمشق وسافر إليها في مستهل ربيع الأول سنة ٧٣٤ هـ حتى سنة ٧٤١ هـ ، من مؤلفاته « شرح الأربعين \* والأشباه \* والنظائر » .

٤ — القاضي شمس الدين أبو عبد الله محمد بن الخطيب زين الدين أبي محمد عبد الرحمن بن محمد التدمري الشافعي تولى قضاء الخليل سنة ٧٨٩ هـ

٥ — القاضي سعد الدين سعد بن اسماعيل بن يوسف النواوي الدمشقي الشافعي ولد سنة ٧٢٩ هـ ، ارتحل وهو صغير في طلب العلم وقدم الى دمشق ، ولأزم الشيخ تاج الدين المراكشي ، وتفقه على شمس الدين بن قاضي شعبة ، ودرس علوم الحديث على الشيخ عماد الدين بن كثير ، وتفوق فيه وله فيه مؤلفات ، وأذن له بالفتوى \* واشتغل بالجامع الأموي ، وعمل معيدا بالناصرية ، وصنف في الاجازات \* وفي الفتاوى \* ودرس في آخر عمره وناب في القضاء ، ولى قضاء بلد الخليل عليه السلام مدة يسيرة ، وتوفي بها في ربيع الآخر سنة ٨٠٥ هـ .

٦ — الخطيب مجد الدين عبد الوهاب بن الخطيب عماد الدين اسماعيل التدمري الأصل الخليلي الشافعي كان والده عالما خطيبا لمقام الخليل عليه السلام ، وباشر الخطابة بعد مدة طويلة وتوفي سنة ٨٩٠ هـ في شهر ربيع الأول ودفن بمدينة الخليل •

٧ — الشيخ علي البكاء صاحب الزاوية بمدينة الخليل ، اشتهر بالصلاح والتقوى ، وكان يطعم من يجتاز به من المسارة والزوار ، واتصل بالملك المنصور قلاوون وأثنى عليه الملك وذكر أنه اجتمع به وهو أمير وكاشفه في أشياء وقعت له ، ويروى في سبب بكائه الكثير الذي اشتهر به أنه سحب رجلا كانت له أحوال وخرج معه من بغداد فوصلا في ساعة واحدة الى بلدة بينها وبين بغداد مسيرة سنة وقال له ذلك الرجل سأمت في الوقت الفلاني فاشهدني ، فلما كان ذلك الوقت حضر عنده وقد وافته منيته •

٨ — الشيخ القدوة • أبو حفص عمر بن نجم الدين يعقوب البغدادي • ثم القدسي المعروف بالمجرد وهو غير الشيخ عمر المجرد واقف زاوية المغاربة بالقدس • وان اشتركا في الاسم والشهرة كما توهم بعض المؤرخين،

ولد ببغداد سنة ٧١٢ هـ وانتقل الى دمشق وسمع البخاري سنة ٧٢٦ هـ وأقام بها وبنى زاوية انفق عليها كثيرا وكانت غاية في الحسن ، وبنى أماكن بأعلاها ورتب فيها من يتعلم القرآن وأجرى عليهم الأموال واشتهر بالبذل والسخاء • واطعام أطايب الطعام ، وكان لا يقصد في حاجة الا قضاها • وكان اذا قرأ القرآن عند أحد يخيره بين الإقامة عنده بشرط أن يشغل بالعلم ويعطيه كتابا أو يذهب الى بلدة أخرى ولا يدع أحد يقعد عنده بغير تعليم •

وكان فارغ الطول يلبس قلنسوة من غير عمامة توفي سنة ٧٩٥ هـ ودفن بزاويته بالخليل •

٩ — الشيخ شمس الدين محمد بن أبي عبد الله سليمان الشهير بابن البرهان الخليلي الأصل ، ثم المقدسي الشافعي ولد بالخليل سنة ٧٧٦ هـ واشتغل بالعلم ، سمع الحديث وتفوق في علم الوقت وتولى



الخطابة بالقدس الشريف بعد والده • وكان فقيها فرضيا توفى في ذى  
الحجة سنة ٨٥٢ هـ ولم يتزوج •

١٠ — الشيخ الامام العالم المحقق شيخ الاسلام • برهان الدين  
أبو اسحاق ابراهيم بن زين الدين عبد الرحمن الأنصارى الخليلي الشافعي ،  
ولد في عاشر محرم سنة تسع عشرة وثمانمائة ببلد الخليل عليه السلام  
وطلب العلم على علماء الخليل وسمع الحديث ورحل الى القاهرة وأخذ  
الحديث عن علمائها أجلم الحافظ بن حجر وأخذ الفقه عن كثير منهم فقيه  
عصره • • تقى الدين أبو بكر بن قاضي شهبة ، وأذن له في الافتاء والتدريس •  
الغياثي • والوفائي • وشمس الدين المالكي الرملي وغيرهم منهم الشيخ  
شهاب الدين أرسلان •

أفتى • ودرس • وناظر • ورحل من بلد الخليل الى القدس الشريف  
واستوطنه وبأشر نيابة الحكم عن قاضي القضاة برهان الدين بن جماعة  
قبل سنة ٨٦٠ هـ وبعدها • واعتزل الحكم وأصبح من أعيان العلماء  
ببيت المقدس • وقد عرضت عليه قطعة من كتاب المقنع في الفقه بالرواية  
الختنية في شهر جمادى الآخرة سنة ٨٧٣ هـ وأجازه في الرواية •

ولما استوطن الشيخ برهان بيت المقدس سنة ٨٦٧ هـ أنشد :

كذلك الهى قد حبانى بما حبا به الشيخ استاذى لقد نال سؤله  
فحمدا وشكرا الهى وأنه دليل على أنى محب أخ له

واستمر بالقدس حتى حدثت فتنه بسبب كنيسة اليهود سنة ٨٧٩ هـ  
وسافر الى القاهرة ، ومنع من سكنتي القدس ولبت بالقاهرة حتى سنة  
٨٨٨ هـ ثم قدم بلد الخليل عليه السلام وأقام بها الى أن توفى في السادس  
عشر من شهر ربيع الآخر سنة ٨٩٣ هـ شهيدا بمرض البطن وصلى عليه  
بمقام الخليل ودفن بزاوية الشيخ على البكاء ورزق ولدان أحدهما الشيخ  
العلامة شمس الدين أبو الجود محمد ولد بمدينة الخليل في شعبان سنة

٨٤٥ هـ حفظ القرآن • والمنهاج وألفية بن مالك • والجزرية والشاطبية ، وأخذ عن والده وعن جماعة من العلماء بمصر • أجلهم شيخ الاسلام فاضى القضاة شرف الدين يحيى النواوى • والشيخ كمال الدين امام الكاملية ، وأخذ العلوم عن الشيخ نفى الدين الشمنى الحنفى وتفوق وتميز وأجيز بالافتاء • وأعاد بالمدرسة الصلاحية زمن الشيخ شيخ الاسلام كمال الدين أبى شريف وله مؤلفات كثيرة منها شرح الأجرومية • وشرح المقدمة الجزرية وشرح مقدمة الهداية فى علوم الرواية للجزرى وشرح معونة الطالبين فى معرفة اصطلاح المعربين وجزء من شرح تنقيح اللباب لشيخ الاسلام ولى الدين العراقى وغير ذلك من التعليقات والفوائد ودرس وأفتى فى حياة والده وبعده مع وجود اجلاء العلماء ببیت المقدس واستمر طويلا الى أن قضى نحبه ولقى ربه ولم أعثر على تاريخ وفاته •

والآخر القاضى شهاب الدين أبو العباس أحمد ولد فى شهر رمضان سنة ٨٤٦ هـ حفظ القرآن واشتغل بالعلم على والده وعلى شيخ الاسلام كمال الدين بن أبى شريف وغيرهما وسمع الحديث وفضل وتميز وأعاد بالصلاحية زمن الشيخ ابن أبى شريف وتولى نيابة الحكم بالققدس الشريف فى حياة والده وهو رجل خير متواضع • ولى مشيخة الختنية بتنازل والده له قبل وفاته وبقي بها حتى أدركته منيته رحمهم الله جميعا رحمة واسعة •



# سجل علماء نابلس

الدكتور عبد المغيى المنشاوى

أحمد بن إبراهيم

ابن محمد بن محمد بن عمر الشهاب بن البرهان النابلسى ، ثم الدمشقى الحنبلى ثم الشافعى نزىل القاهرة •

ولد فى عاشر رجب سنة احدى عشرة وثمانمئة بنابلس ، وقرأ بها القرآن ، ونشأ كأبيه حنبلىا ، وحفظ كتباً فى المذهب ، ثم اتصل بالبهاء بن حجى وصهره الكمال البارزى بدمشق ، واختص بهما ، فتحول بأمرهما شافعىا ، وتفقه على عبد الوهاب الحريرى ، وسمع الحديث عن ابن ناصر الدين ، واشتغل بالنحو على العلاء القابونى بدمشق ، والنظام يحيى الصيرامى لما قدم عليهم نابلس ، وكثر تردده بين كل من دمشق والقاهرة ، وقطنهما وقال انه سمع المسلسل على القبانى ببيت المقدس ، كما سمع عليه غير المسلسل ، وسمع بالقاهرة على ابن بردس وعلى ابن الطحان وغيرهما . قال البقاعى — ونظم الشعر غير أنه لم يكن يرفض ما يقع له منه ، ولقد كان أحمد بن إبراهيم هذا — حلو الكلام سريع الجواب ، عذب النادرة ، نزيه المحاضرة •

اقترح البهاء بن حجى عليه أن يضمن قول الشاعر :

فوالله ما أدرى أأنت كـمـا أرى

أم العين مزهو اليها حبيها

فقال أحمد بن إبراهيم — وكان ذلك أول شئ نظمه

أراك اذا مامست يوماً على الزبى

تخر لك الورقا ويبدو وجيها

فوالله ما أدري أننت كـمـا أرى  
أم العين مزهو اليها حبيبها

ومما حكاه الشهاب أحمد بن ابراهيم هذا ، أنه كان بدمشق في بعض  
حماماتها بلان كسيح يخدم الناس بالخلق والتغسيل ، وهو جالس • وأنه  
رأى في منامه الشيخ رسلان أحد الأتقياء الصالحين ، فقال له يا سيدي ،  
انظر حالي فقال له : أنا لست في هذا المقام ولكن سيدخل عليك اثنان  
فسلها حاجتك ، ثم خرج من عنده فدخل عليه اثنان فاذا هما نبينا محمد  
وأبوه الخليل ابراهيم عليهما أفضل الصلوات وأزكى التسليمات فشكا اليهما  
حاله ، فقالا له : قم ، فقام بمشيئة الله وقد صار معافي صحيحا — قال  
الشهاب حاكي هذه القصة — ولقد كنت ممن رأوه كسيحا ، ثم رأيته  
بأمر الله صحيحا ، وقد سمعت هذا المنام من جمع لا يحصى ، والله سبحانه  
وتعالى أعلم •

هذا ولقد امتحن أحمد بن ابراهيم هذا الذي نترجم له وأهين من الأشرف  
قائمتاي في كائنة جرت بينه وبين أبي الحجاجي الأسيوطي — ولا عجب  
فصاحب السلطان كراكب البحر ، ان سلم من الغرق لم يسلم من المخاوف —  
هكذا نطقت حكمة الأولين ، يرحمهم ويرحمنا معهم رحمان الأولين  
والآخرين •

### عبد الغنى النابلسي (١)

هو الشيخ عبد الغنى بن اسماعيل بن عبد الغنى بن اسماعيل بن أحمد  
ابن ابراهيم المعروف كأسلافه بالنابلسي الحنفى الدمشقي النقشبندى  
أستاذ الأساتذة ، وجهبذ الجهابذة ، الولي العارف ، ينبوع العوارف  
والمعارف ، الامام الوحيد ، والهمام الفريد ، شيخ الاسلام ، وصدر الأئمة  
الأعلام ، صاحب المصنفات التي طافت المشرقين واحتوت المغربين ،

---

(١) سلك الدرر .

وتداولها الناس عربهم وأعاجمهم ، ذو الاخلاق الرضية ، والنعوت  
السامية ، قطب الأقطاب ، ولباب ألباب ذوى الألباب ، العارف بربه ،  
والفائز بحبه وقربه •

هيهات لا يأتى الزمان بمثله ان الزمان بمثله لبخيل

ولد عليه الرضوان بدمشق فى خامس ذى الحجة سنة خمسين وألف ،  
ونشأ فى بيئة يغذيها الصلاح وترعاها التقوى ، من أبوين صالحين  
فاضلين ، فشغله والده بقراءة القرآن ، ثم بطلب العلم ولما توفى والده  
لم ينقطع عن مدارس القرآن ومزاولة العلم ، فقرأ الفقه وأصوله ، والنحو  
والمعاني والبيان والصرف ، والحديث ومصطلحه والتفسير كذلك ، تخرج  
فى كل ذلك على جمهرة من أفاضل العلماء لا يكاد يحصى عديدهم ، وأدمن  
المطالعة فى كتب الشيخ محبى الدين بن عربى ، وكتب السادة الصوفية  
كابن سبعين والعفيف التلمسانى ، فعادت عليه بركة أنفاسهم وواتاه الفتح  
الادنى فنظم بديعية فى مدح رسول الله عليه صلوات الله ، وبلغت من  
روعتها أن شك بعض المنكرين أن تكون من نظمه ، واقترحوا عليه أن  
يشرحها ، فكان شرحه بالغا قمة الابداع كتنظيمه ثم نظم بديعية أخرى ،  
وشرع يلقي الدروس فى الجامع الأموى ، وصدر له فى أول أمره أحوال  
غريبة وأطوار عجيبة — ظل فى داره سبع سنوات لم يخرج منها ، وقد  
أسدل شعره ولم يقلم أظافره وظل فى حال عجيبة ، وتناولته السنة الحساد  
بكلام لا يليق بأمثاله ، ثم شاء مولاه أن يخرج للناس خير مخرج ،  
فأشرقت به الأيام وانتفع بعلمه وببركته الأنام ، ووردت عليه أفواج  
الواردين ، وصار بنعمة الله ورضاه كهف الحاضرين •

وقد رحل الى دار الخلافة فأقام بها قليلا ، ثم زار البقاع وجبل لبنان ،  
ثم بيت المقدس والخليل وزار بعدهما مصر والحجاز ، ثم طرابلس الشام —  
وكان يدرس البيضاوى فى صالحية دمشق •

ومن تصانيفه عليه الرضوان — التحرير الحاوى ، بشرح البيضاوى ،  
وبواطن القرآن ومواطن العرفان ، منظوم على قافية التاء ، وكثر الحق

المبين في أحاديث سيد المرسلين ، والحديقة الندية شرح الطريقة المحمدية،  
وجواهر النصوص في حل كلمات الفصوص لابن عربي ، ثم شرح ديوان  
ابن الفارض — وقد سماه كشف السر الغامض في شرح ديوان ابن الفارض،  
وزهر الحديقة في ترجمة رجال الطريقة ، واطلاق القيود في شرح مرآة  
الوجود ، والظل الممدود في معنى وحدة الوجود ومثله — ايضاح المقصود  
في معنى وحدة الوجود ، ونهاية السؤل في حلية الرسول ، وبقية الله خير  
بعد الفناء في السير ، ولعمان الأنوار في المقطوع لهم بالجنة والمقطوع  
لهم بالنار ، وتحقيق الذوق والرشف ، في معنى المخالفة بين أهل الكشف ،  
وروض الأنام في بيان الاجازة في المنام وصفوة الأصفياء ، في بيان  
الفضيلة بين الأنبياء ، والكوكب السارى في حقيقة الجزء الاختياري  
وأنوار السلوك في اسرار الملوك ، وتحريك سلسلة الوداد في مسألة خلق  
أفعال العباد ، والفتوحات المدنية في الحضرات المحمدية ، وكشف النور  
عن أصحاب القبور ، وبذل الاحسان ، في تحقيق معنى الانسان ، وكتاب  
علم الملاحه في علم الفلاحة ، وتعطير الأنام في تعبير المنام ، وديوان  
الغزليات المسمى : خمرة بابل وغناء البلابل ، وعذر الأئمة في نصيح الأمة ،  
وجمع الاسرار في منع الاشرار عن الظن في الصوفية الاخيار ، وصدق  
الحمامة في شروط الامامة ، وتحفة الناسك في بيان المناسك ، وحلية الذهب  
الابريز ، في رحلة بعلبك والبقاع العزيز والحضرة الأنسية في الرحلة  
القدسية ، وايضاح الدلالات في سماع الآلات \*

هذه بعض عشرات من مئات المؤلفات لهذا السيد الورع التقى العالم  
الفاضل الجليل ، ولا بدع فقد كان عليه الرضوان عالما راسخ العلم ،  
مبيناً مالكا لأزمة البراعة والبيان ، فلا عجب أن يشرف في تأليفه على  
الاحسان ، وهو الذي يحذق الفقه ويتبحر فيه ويلم بأطرافه من جميع  
نواحيه ، كما كان يكشف عن أسرار التفسير ويحرره ، خبيراً بأبرع طرق  
الاستدلال ، ذا بديهة حاضرة مطواع ، وطبع منقاد \*

إذا أخذ القرطاس خلت يمينه      تفتح نورا أو تنظم جوهرها

وكان مصون اللسان عن الشتم واللغو ، لا يخوض فيما لا يعنيه ، ولا يضغطن على أحد ، يحب الصالحين والفقراء ، ويختص طلبه العلم بلون ممتاز من التكریم ، ويبذل جاهه بالشفاعات الحسنة عند ولادة الأمور فتقبل ولا ترد — كما كان معرضا عن الشهوات لالذة له الا في طلب العلم ، ونشره ، كما كان رحيب الصدر كثير السخاء ، وله كرامات لا يجب أن تظهر عليه ولا أن تحكى عنه ، هذا مع اقبال الناس عليه ، وشدة حبهم اياه •

رأى في أواخر عمره من العز والجاه ورفعة القدر ما لم ينله أحد في عصره ، وقد أمتعه الله على امتداد عمره بقوة عقله ، فكان يصلى النافلة من قيام ، ويصلى التراويح في داره اماما بالناس الى أن مات ، وكان يقرأ الخط الدقيق ويكتب في تصانيفه بعد اذ جاوز التسعين ، شعره ينشد في المحافل ويتغنى به ويسير مسير الشمس في أفلاكها لأنه صادر من قلب شاعر مفعم بالايمان ، مزين بالاحسان واليقين •

فما أجدر نابلس ، وهى عروس مدن فلسطين ، بل هى البلد ذو الاسم الطنان بما تحتويه الآن من أحداث الزمان ، في سبيل الدفاع عن الأوطان ، واغلاق راحة الاعداء في كل مكان — أقول — ما أجدرها أن تفتخر بالنابلسي العظيم ، وهو أحد أبنائها الذين حركوا يد التاريخ لتسجل له وبلده الخطير ، هذا السجل الخطير •

وللنابلسي ديوان شعر فخم ضخم ، صرح فيه بمذهب الصوفية في وحدة الوجود — وهو مالا نوافقه على بعض ما احتواه — يغفر له ولنا الله •

احتوى هذا الديوان بين دفتيه ، زهاء ثلاثة عشر ألف بيت من الشعر ، استوعب فيها كل مذاهب الصوفية ، في الخالق والخلق ، والوجود والفناء ، والانسان والكائنات •

وأرى أن نعقب تعقيب الاعجاب على بيت حكيم من شعر هذا الشاعر المتصوف الحكيم ، الذى يقول :



ولا تعجل على ما لست تدري  
فانك سوف تدري بالتسأنى

فما أشبه ما يحتويه هذا البيت الحكيم ، من حكمة غالية ، بحكمة غالية  
تشبهها في كلمة عالية ، سجلها الدكتور طه حسين في أحد مؤلفاته ، وكلنا  
الحكمتين هنا وهناك تهدف الى غاية واحدة سامية ، وقد قرأت أيها  
القارئ الكريم البيت الحكيم ، وبقي أن تقرأ الحكمة التي تحتويها كلمة  
الدكتور طه ، حتى يتبين لك أن البيت والكلمة صنوان — يهدفان الى هدف  
نبيل واحد في هذا الميدان — يقول الدكتور طه في كلمته :

ان لله فيما يأتى من الأمر لحكمة بالغة ، يدركها الناس حيناً ، ويقصرون  
عن ادراكها في كثير من الأحيان •

وأن الرجل الرشيد لحرى أن يكتفى بما فهم وألا يحاول ادراك ما لم  
يفهم ، وأن يطمئن الى أن حكمة الله بالغة ، وأن قضاءه منته الى الخير  
دائماً •

#### أوراد النابلسي (١) :

لما كان السيد النابلسي على هذه الدرجة الرفيعة من التقوى والتصوف  
فقد رأينا في غير افتيات على القارئ الكريم ، أن نورد نماذج رفيعة من  
أوراده الواصلة ، ينشئها من ذات نفسه ، ويستمد فيضها من ماعون  
قلبه ، أو يغترفها من المناهل العذبة للكتاب والسنة ، أو من آثار أئمة  
الأمة ، الذين يتأثر خطاهم ويمشي على نور هداهم — عمدنا الى ايراد  
بعض هذه الألوان من الأوراد ، حتى يكون في مكتبة القارئ الكريم أن  
يجتلى الصورة كاملة القسما واضحة الملامح لهذا الصوفي الجليل العظيم —

---

(١) بلغ من عناية المعجبين بالنابلسي أن اخرجوا في أوراده مؤلفا خاصا  
بها اسمه : أوراد النابلسي •

ولا سيما أن بعض القادرين قدره ، قد أفردوا لهذه الأوراد كتابا خاصا ،  
تحفيا بها وتقديرا لقدر صاحبها \*

قال قدس الله روحه وطيب ثراه ، مفتتحا بآى من كتاب الله ، تيمنا  
والتماسا للبركات : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، بسم الله الرحمن  
الرحيم — : ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من  
النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، وحسن أولئك رفيقا ، ذلك الفضل  
من الله ، وكفى بالله علما \*

« من يطع الرسول فقد أطاع الله ، ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيظا »  
اللهم افتح مسامع قلبى لذكرك ، وارزقنى طاعتك وطاعة رسولك ،  
وعملا بكتابك ، اللهم انك سألتنا من أنفسنا ما لا نملكه الا بك ، اللهم  
فأعطنا ما يرضيك عنا ، والهكم اله واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم —  
أن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار ، والفلك التى تجرى  
فى البحر بما ينفع الناس — الى آخر الآية الكريمة \*

شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط ، لا اله  
الا هو العزيز الحكيم ، ان الدين عند الله الاسلام \*

اللهم انى أسألك رحمة من عندك ، تهدى بها قلبى ، وتجمع بها أمرى ،  
وتلم بها شعئى وتحلح بها غائبى ، وترفع بها شاهدى ، وترزقنى بها علمى ،  
وتلهمنى بها رشدى ، وترد بها ألفتى ، وتعصمنى بها من كل سوء \*

اللهم أعطنى ايمانا صادقا ، ويقينا ليس بعده كفر ، ورحمة أنال بها  
شرف كرامتك ، فى الدنيا والآخرة \*

اللهم انى أسألك اللطف فى القضاء ، ونزل الشهداء ، وعيش السعداء ،  
والنصر على الأعداء ، اللهم انى أنزل بك حاجتى ، فان قصر رأبى وضعف  
عملى ، فأسألك اللهم يا قاضى الأمور ، ويا شافى الصدور ، كما تجير بين  
البحور ، أن تجيرنى من عذاب السعير ، ومن دعوة الثبور \*

ولقد عمر الشيخ عبد الغنى النابلسى عمرا خصبا مديدا مباركا فيه ، فلقد نيف عليه الرضوان على التسعين — ثم مرض فى السادس عشر من شعبان سنة ثلاث وأربعين ومائة وألف ، وأسلمه هذا المرض الأخير ، الى مقره الأخير فاختره الله الى جواره ، وصلى عليه فى داره ، ودفن فى القبة التى أنشأها فى حياته قبيل وفاته ، فعليه وعلى أشباهه من الصوفية الصالحين ، رحمت واسعات من رب العالمين .

### عبد الحليم المشويكى (١)

انه عبد الحليم بن عبد الله الشافعى النابلسى ، الشيخ العالم اللوذعى العلامة الفاضل ، الأديب الأريب كان أحد الأفاضل النابيين ، رقيق الطبع ، ينظم الشعر الرائق فى غير تكلف ولا تعمل ، غزير الفضل موفور الذكاء ، فصيح العبارة واضح الأداء ، نشأ فى بلدته الشويكة وارتحل الى مصر قاصدا أن يسلكه الجامع الازهر فى سلك طلابه ، حتى يغترف من عذب ثرابه ، علما وفضلا ، فتلقى العلم عن خير الأساتذة كالشيخ الجليل محمد ابن سالم الحفنى ، وأخيه الشيخ يوسف ، ومن لف لفهما وسلك سبيلهما علما وفضلا ونبلا ، فأفاد من جمهرة هؤلاء العلماء الفضلاء ، وأتقن وحصل وفاق وحاز قصب السبق ، واحتاز عنصرى العرفان والفضل ، وكان المجلى فى هذا الميدان على جميع الأقران .

ولقد أجازه الشيوخ على عادتهم ، وعاد الى وطنه وهو الظاهر برضا الجميع ، ثم ارتحل الى الديار القدسية وأخذ بها الطريق عن الأستاذ العارف الشيخ مصطفى الصديقى الدهشقى ولازمه ردحا من الزمن حصلت له فيه بركته ، واستجيبت له دعوته ، ثم استوطن نابلس وبها استقر ما شاء الله أن يستقر ، ثم قصد الى عكا وحاكمها اذ ذاك الشيخ ظاهر العمر شيخ مشايخ بلاد صدد ، فأقامه عنده بعكا فظل بها يراجع المسائل

---

(١) سلك الدرر

التي يحفل بتحقيقها مذهب الشافعي ، وقد ظفر في مقامه بعكا بما لم يحلم  
به اضربه من ذبوع الفضل ونباهة الشأن وحسن الأحداث •

ولا عجب بعد ذلك الذي قدمنا أن يكون هذا المترجم له فريد عصره  
ونسيج وحده علما وأدبا حتى أقر الجميع بأن عصره الذي يظله لم يظفر  
بمثل علمه ولا بمثل فضله ، وكان له شعر قوى النسيج ناضر الديباجة  
مضى نضير ، عديم النظر

قدم دمشق وامتدح رؤساءها ، فبادلوه بمدحه اياهم اقبالا واجلالا ،  
ومن تكليفه رسالته في علم الكلام ، رد بها على معاصره الشيخ أبي  
الحسن العاملي الرافضي في مؤلف له أودعه بعض الدسائس الرافضية ، وله  
كذلك شرح على السنوسية قرظ له عليه علماء مصر لما وصلهم — ونماذج شعره  
كثيرة جيدة — نسوق منها للقارئ الكريم ما يكشف عن علو كعب الشاعر  
في هذا الميدان العظيم •

أما لـبابتي فيك انتهـاء  
كما السلوان ليس له ابتداء  
أما آن الوفاء لذى شـجون  
وفي بالعمـود له وفاء  
خليف جوى فلا ينسى فيسلو  
فكيف به وقد عز العـزاء  
إذا ما الليل جن عليه شبت  
لواعجه وزاد به العـناء

وعلى هذا الاسلوب البديعي ، يطول نفس الشاعر الشويكي ، حتى يختم  
أبياته مادحا بقوله :

من له الأفضـال والبر الوفي  
ياثـقـا من عنـه بالآمال مال

من نمته دوحه من هاشم  
في رياض المجد بالاقبال قال

وقد كانت وفاة هذا العالم الفاضل ، والأديب الاريب ، سنة خمس  
وثمانين ومائة وألف ، بمدينة عكا التي دفن بها ، عليه من مولاه شاكيب  
رحمة ورضوان •

### محمد السفاريني

ابن أحمد بن سالم بن سليمان السفاريني النابلسي الحنبلي ، الشيخ  
الامام ، والحبر البحر النحرير الكامل الهمام الأوحد العلامة والعالم  
العامل الفهامة ، صاحب التكايف الكثيرة والتصانيف الشهيرة أبو العون  
شمس الدين •

ولد بقرية سفارين من قرى نابلس سنة أربع عشرة ومائة وألف ، ونشأ  
بها وتلا القرآن العظيم ثم رحل الى دمشق لطلب العلم ، فأخذ بها عن  
الأستاذ الشيخ عبد الغنى بن اسماعيل النابلسي ، وشيخ الاسلام محمد بن  
عبد الرحمن الغزي وأبى الفرج عبد الرحمن بن محيي الدين وأبى المجد  
مصطفى بن مصطفى السوارى والشهاب أحمد بن على ، وأخذ الفقه  
عن أبى التقي عبد القادر بن عمر التغلبى ، وأبى الفضائل عواد بن عبيد الله  
الكورى وغير هؤلاء كثير •

وقد حصل لصاحب الترجمة في طلب العلم ملاحظة ربانية حتى حصل  
في الزمن اليسير على ما لم يحصله غيره في الزمن الكثير ، ورجع الى بلده  
ثم توطن نابلس واشتهر بالفضل والذكاء ودرس وأفتى وأفاد وألف تأليف  
عدة — منها شرح ثلاثيات مسند الامام أحمد في مجلد ضخيم وشرح نوونية  
الصررى سماها معراج الأنوار في سيرة النبی المختار ، في مجلدين ،  
وتحبير الوفا في سيرة المصطفى ، وغذاء الألباب ، في شرح منظومة الآداب ،  
والبحور الزاخرة في علوم الآخرة ، وكشف اللثام في شرح عمدة الأحكام ،  
ونتائج الأفكار ، في شرح حديث سيد الاستغفار ، والجواب المحرر في

الكشف عن حال الخضر والاسكندر ، وعرف الزرنب في شرح السيدة زينب ،  
والقول العلى في شرح أثر أمير المؤمنين على كرم الله وجهه ، وقرع  
السياط في قمع أهل اللواط ، والتحقيق في بطلان التلقيح ، وتحفة النفسك  
في فضل السواك والدرر المصنوعات ، في الأحاديث الموضوعات ، واللمعة ،  
في فضائل الجمعة ، وتعزية اللبيب بأحب حبيب ، وغير ما أشرنا إليه كثير ،  
وأما الفتاوى التي كتب فيها فقد فاقت حد الإحصاء ، ولو جمعت لبلغت  
المجلدات .

وله عليه الرحمت من الأشعار في المراسلات والغزليات والوعظيات  
والمرثيات الشئ الكثير ، وعلى الجملة فقد كان السفاريني غرة عصره ،  
وشامة مصره ، لم يظهر في بلاده بعده مثله ، وقد كان لثقة الناس به يدعى  
للملمات ، ويقصد لتفريج المهمات ، إذ كان عليه الرحمت ذا رأى صائب ،  
وفهم ثاقب ، جسورا على ردع الظالمين ، وزجر المفتريين إذا رأى منكرا  
أخذته رعدة ، وعلا صوته من شدة الحدة ، وإذا سكن غيظه وبر قيظه ،  
يقطر رقة ولطافة ، وحلاوة وظرفا وله الباع الطويل في علم التاريخ وحفظ  
وقائع الملوك والأمراء ، والعلماء والأدباء وما وقع في الأزمان السالفة ،  
وكان يحفظ من أشعار العرب العرباء والمولدين الشئ الكثير — وله شعر  
لطيف منه قوله :

والنفس أمسيت في بلا	الصبر عيل من القلا
والقلب في شجوى غلا	والجفن جف من البكا
شكواه لا حول ولا	وشكا اللسان فقال في

## أحمد الباقاني (١)

هو أحمد بن محمد الشافعي الباقاني النابلسي الشيخ العالم الفقيه ، المحدث الأصولي ، المفسر المتكلم النحوي المنطقي الأديب الفاضل .

كان من العلماء الأجلاء ، ولد في سنة ثمان عشرة ومائة وألف ، وأخبر أنه لا يعي نفسه الا في تلاوة القرآن وتجويده ، والاعتناء بحفظه وحفظ المتون ، وتحصيل الفنون ، وحفظ القرآن العظيم ، على العالم الصالح الشيخ السيد محمد السفيني العباسي النابلسي الشافعي ، مع جملة من المتون ، كالجوهرة والسنوسية ومقدمة ابن الجزري ، وغير ذلك ، وقرأ عليه طرفا من الفقه ، وقد تخرج عليه وبالع في نصحه وحثه على الطلب ، وكان من أكابر الصالحين ، الأجواد جامعا بين الشريعة والحقيقة وقد لقي الأكابر وأخذ عنهم العلوم ، وحضر معه المترجم له مجلس الشيخ محمد الخليلى ، المحدث المقدسى واستدعى منه أن يسمعه الحديث المسلسل بالأولية فأسمعه إياه بسنده ، ثم قدم المترجم له دمشق ومكث فيها مجاورا مدة ، وأخذ عن شيوخها ألوانا من العلوم ، كالتفسير والحديث والفقه والأدب ، والتصوف ومن بين الشيوخ الذين أخذ عنهم الشيخ على بن أحمد الدمشقي ، قرأ عليه كتبا عدة في الفقه ، ومنهم الأستاذ الشيخ عبد الغنى النابلسي ، الدمشقي ، حضر دروسه في البيضاوى وفي صحيح مسلم ، وفي الشمائل ، وأجازه اجازة عامة ، بسائر مؤلفاته ومروياته وقرأ على الشيخ الياس الكردى نزيل دمشق جملة من الرسائل ، في التوحيد وغيره .

ومنهم الشيخ اسماعيل بن محمد العجلوني ، حضر عليه وسمع منه طرفا من صحيح البخارى ، وحضر دروس الشيخ احمد بن على الدمشقي في البخارى وأجازه اجازة خاصة ، ومنهم الشيخ مصطفى بن سوار المحيوى حضر دروسه في البخارى وأجازه به ، وبغيره ، وقرأ في الفقه والعربية على الشيخ محمد بن عبد الرحمن الغزى ، الدمشقي ، وحضر دروس الشيخ

---

(١) عن كتاب سلك الدرر في أعيان القرن الثانى عشر .

موسى بن أسعد المحاسبى الدمشقى فى البيضاوى وغيره ، وقرأ عليه شرح الكافية للجامى بتمامه مع حاشية عصام الدين عليه ، كما حضر دروس الشيخ محمد بن محمود الجمال الدمشقى ، فى تفسير البيضاوى ، وقرأ على الشيخ عبد الرحيم المخلاتى الدمشقى رسائل فى المنطق وقرأ فى النحو على الشيخ حسن المصرى ، نزيل دمشق ، وحضر دروس الشيخ عبد الله البصرى الدمشقى ومنهم الشيخ محمد الكردى المعروف بأبى فيض ، نزيل دمشق ، قرأ عليه شرح مقدمة الجزرى ، للقاضى زكريا ، وقرأ على الشيخ محمد ابن عبد الغنى العجلونى نزيل دمشق وغير هؤلاء كثير ، قرأ عليهم وعادت عليه بركاتهم ، وتنبل وحصل وتوفى وعاد الى نابلس فخورا بها وفخورة به ، وقد لبث بها يغترف الجميع من بحار علمه وفضله ونبله ، وأخذ طريق السادة الخلوتية عن العارف الشيخ مصطفى بن كمال الدين الصديقى الدمشقى ولازمه ردحا من عمره ، وأثنى عليه العارف المذكور أعطر الثناء ، وأشاد بذكره ودقة فهمه ، وسعة اطلاعه ، وقد ألف المترجم له رسائل فى علوم المادة موفور النفع لقارئها ، كما علق على شرح المنهاج لابن حجر تعليقا دقيقا بليغا فائقا .

والخلاصة أن هذا السيد المترجم له وهو الشيخ احمد الباقانى ، كان لونا ممتازا بين أخيار العلماء الفضلاء فى هذا العصر الأخير ، ولم يزل نهاضا بأداء رسالته النبيلة نحو العلم والتعليم حتى وافاه أجله المحتوم فى سنة خمس وتسعين ومائة وألف ، عليه موفور الرحمات .

### محمد بن أحمد

ابن سعيد العز القدسى النابلسى ثم الدمشقى الحلبي المكي ، قاضيها الحنبلى .

ولد فيما كتبه بخطه فى سنة احدى وسبعين وسبعمائة بكفر لبد — من جبل نابلس — ونشأ به فحفظ القرآن ، ثم انتقل فى سنة تسع وثمانين لصالحية دمشق ، فتفقه بها على التقى بن مفلح وأخيه الجمال عبد الله ، والعلاء بن اللحام ، والشهاب الفندقى ، ثم انتقل الى حلب فى سنة احدى



وتسعين ، فحفظ بها عمدة الأحكام ، ومختصر الخرقى وعرضهما ، وتفقّه فيها أيضا على الشرف ابن فياض ، وسمع بها على ابن صديق ، وناب بها في القضاء وفي الخطابة بجامعها الكبير ، ثم رحل الى بيت المقدس في سنة اثنتى عشرة وأقام به الى أثناء سنة ثمانى عشرة ثم الى دمشق أيضا ، وحج وجاور مرارا ، وسمع من الجمال بن ظهيرة ، وكتب له بخطه جزءا من مرويّاته ، ثم قطن مكة من سنة اثنتين وخمسين ، وناب في امامة المقام الحنبلى بها بل ولى قضاء الحنابلة فيها بعد موت السيد السراج عبد اللطيف الفاسى •

وكان اماما عالما كثير الاستحضار لفروع مذهبه ، مليح الخط دينيا ساكنا ، ميالا للعزلة عن الناس ، مديما للجماعة مع كبر سنه ، متواضعا حسن الخلق ، غفيفا نزيها محمود السيرة في قضائه تجاوبا مع حسن سيرته ، وله تصانيف منها الشافى والكافى في مجلد ، وكشف الغمة بتيسير الخلع لهذه الأمة ، في مجلد لطيف ، والمسائل المهمة فيما يحتاج اليه العاقد في الخطوب المدلّمة ، وسفينة الأبرار الجامعة للأثار والأخبار في المواعظ في ثلاثة مجلدات وزعم بعضهم أنه حدث بالروضة النبوية الشريفة ، وأخذ عنه فيها الوفاى والسيد البغدادى ، وهو الساعى له في قضاء مكة ، وأنه سمع من الحافظ بن رجب ، وهو آخر من روى عنه بالسماع ، والله سبحانه وتعالى أعلم بهذا كله •

مات محمد بن أحمد بمكة في ليلة الخميس الرابع عشر من صفر سنة خمس وخمسين ، وصلى عليه من الغد ، ودفن بالمعلاة ، يرحمه ويرحمنا الله •

### كلثوم بنت عمر

كلثوم بنت عمر بن صالح ، أم محمد ابنة الزين أبى حفص بن الصلاح النابلسى الأصل ، القاهرى الشافعى ، ولدت سنة اثنتين وسبعين وسبعمائة بالقاهرة ، وسافرت مع أبيها لدمشق وهى مرضع ، فأقامت معه هناك نحو عشرين سنة ، وأسمعها الصحيح على أبى الحسن يوسف بن الصيرفى ، وقرأت القرآن كله ، وكتبت الخط الحسن ، ثم رجعت بعد وفاة أبيها الى

القاهرة فأقامت بها ، وحدثت بالصحيح ، وسمع منها الأئمة •  
وكانت كلثوم بنت عمر هذه خيرة ذات فهم وعقل وثبتت ، — وجد بخطها  
هذه الأبيات

احفظ لسانك واستعذ من شره  
ان اللسان هو العدو الكاشح  
وزن الكلام اذا نطقت بمجلس  
وزنا يلوح لك الضياء اللاشح  
فالصمت من سعد السعود وانه  
زين الفتى والنطق سعد الذابح (١)  
توفيت في رمضان سنة ست وخمسين وتسعمائة — عليها رحمة الله  
حافظ الدين بن مكيه

هو حافظ الدين بن مكيه النابلسي ، مفتي الحنفية في الديار النابلسية ،  
أحد الجهابذة والأسانذة الأماثل البارزين ، والعلماء النابهين المجلين •  
يقول عنه صاحب كتاب « سلك الدرر » : انه كان عالما عجيب الفضل ،  
نقيا واضحا الفقه ، أدبيا ناصع الأدب ، ذا فكاهات جمة ، ومصنفات  
مهمة ، ومن أبرز مؤلفاته شرح المتقى بالفقه : أزال به صعابه ، وأزال عنه  
سحابه ، وفتح أمام الطالبين بابه ، وله كتابة على منح الغفار ، مات وهو  
يعالج مسودتها فعفت عليها عناكب الهجران ومزقت أوصالها تاركة أياها  
مبعثرة في كل مكان •

ومن رائق نظمها ما أرسل به الى الشيخ عبد الرحيم اللطفي الحنفي ،  
مفتي القدس — فقد كتب اليه يقول :

حافظ الدين بيتني الجود عفوا  
من أياديك وهي في الجود سحب  
كم همى الغيث من نـداها فأثرى  
معدم واعتراه في الجذب خصب

---

(١) سعد الذابح : من سعود النجوم عند العرب

قال قوم بأننى فيك أطما  
قلت كلا فان ذا البحر عذب  
حاش لله أن يبيت بضيق  
عند باب الجمال والدار رحب

### محمد بن عبد القادر

هو محمد بن عبد القادر بن عثمان بن عبد الرحمن بن عبد المنعم الجعفرى النابلسى : وكنيته أبو عبد الله شمس الدين فاضل من فقهاء الحنابلة من أهل نابلس بفلسطين يقال له « الجنة » لكثرة ما فيه من الفضائل ، سحب ابن قيم الجوزية ، وتفقه عليه ، وأصيب فى آخر عمره بفقد ولد له ، ففقد بفقد عقله ، ومات بنابلس عن نحو سبعين سنة ، ومن كتبه طبقات الحنابلة ، اختصره من طبقات الأصحاب ، ومختصر كتاب العزلة للخطابى ، وتصحيح الخلاف •

ويقول صاحب كتاب : شذرات الذهب : بعد ذكر المسلسل من آبائه وأجداده • انه ابن سرور الجعفرى النابلسى الحنبلى المعروف : بالجنة : الامام العالم العلامة ، ولد بنابلس سنة سبع وعشرين وسبعمئة تقريبا ، وسمع بها من الامام شمس الدين أبى محمد عبد الله بن محمد بن يوسف ، وسمع على الحافظ صلاح الدين العلائى ، والشيخ ابراهيم الزينائى وغيرهما ، ممن لا يحصون كثرة ، ورحل الى دمشق فسمع بها ، وكان من الفضلاء الأكابر •

كان عليه الرضوان يلقب بالجنة لكثرة ما عنده من العلوم ، لأن الجنة فيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين ، وكان عنده ما تشتهيه أنفس الطلبة • انتهت اليه الرحلة فى زمانه •

ويقول صاحب شذرات الذهب : ان له مصنفات حسنة ، منها مختصر طبقات الحنابلة ، وتصحيح الخلاف المطلق فى المقنع مطولا ومختصرا ، وجزء من تفسير القرآن العظيم ، كما شرع فى شرح الوجيز — ولقد كان ذا حظ حسن على امتداد عمره ، يتولاه الله وأمثاله بوسع رحمته ، ويدخله وقد كان الجنة فى الدنيا فسيح جنته •

# الشهيد الشيخ عز الدين القسام

## أول من نظم العمل الفدائي في الثورة الفلسطينية

### الدكتور أحمد الشرباصي

هذا عالم من علماء الاسلام ، ورجل من رجال الشام — الشام الذي كان يضم سوريا ولبنان وفلسطين وشرق الاردن — وقد ضرب مثلاً للعالم العامل ، والفقيه المجاهد ، والمسلم الباذل روحه في سبيل وطنه وبلاده ، وهو المرحوم الشيخ محمد عز الدين القسام ابن الشيخ عبد القادر القسام شيخ الزاوية الشاذلية في بلدة « جبلة » من أعمال اللاذقية في شمال سورية ، و « جبلة » كانت قلعة مشهورة ، ويذكر ياقوت في كتابه « معجم البلدان » أنها بساحل الشام من أعمال حلب قرب اللاذقية ، ويروى أن معاوية هو الذي أنشأها وشحنها بالرجال .

وقد ولد الشيخ عز الدين سنة ١٣٠٠ هـ الموافقة سنة ١٨٨٢ م من أسرة كريمة لها مكانتها ، وقد نشأ في مولده ، وتعلم مبادئ العلوم ، ولما بلغ أشده بعث به والده الى مصر ليتلقى العلم في الجامع الأزهر الشريف على كبار العلماء حينئذ ، من أمثال الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده ، وبعد أن نال حظه من التعليم في الأزهر الشريف عاد الى بلده « جبلة » واشتغل فيها بالتعليم والتدريس ، والوعظ والارشاد ، وكان صاحب خطابة ولسن ، وحينما احتل الفرنسيون بلاد الشام — باستثناء الجزء الجنوبي منها وهوفلسطين والاردن — في نهاية الحرب العالمية الاولى سنة ١٩١٨ م، نادى الشيخ الثائر عز الدين القسام بأن الجهاد ضد المحتلين قد صار فريضة على المسلمين ، وترك كرسى التدريس والتعليم ، وجمع حوله مجموعة من تلاميذه ومريديه ، وحملوا سلاحهم ، وانضموا الى الثائرين السوريين

ضد الفرنسيين والمستعمرين ، وحمل الشيخ القسام البندقية ، وحارب مع هؤلاء الثوار ، وكان الى جوار ذلك يعظهم ويرشدهم ، ويقوى روح الجهاد فيهم •

واستمر هذا النضال ما يقرب من عامين ، ولكن الفرنسيين حشدوا قواتهم ومعداتهم ، واحتلوا سورية • وأخمدوا ثورتها ، وهدموا العرش الفيصلى فيها • واستولوا على دمشق العاصمة سنة ١٩٢٠ م فاضطر الشيخ القسام أن يغادرها الى فلسطين ليواصل كفاحه فيها ، فقصده الى مدينة « حيفا » ، وهناك أقام في ضيافة الحاج أمين نور الله ، وتعرف برجال الجمعية الاسلامية فيها وعين مدرسا فيها ، كما تولى وظيفة الامامة والتدريس الدينى في جامع الاستقلال بحيفا ، وتولى رئاسة جمعية الشبان المسلمين فيها • واشترك مع الشيخ محمد كامل القصاب في تأليف كتاب « النقد والبيان » وهو مطبوع •

• لكن الشيخ عز الدين القسام لم يكن رجلا يقبل لنفسه أن يقتصر علىلقاء دروسه الدينية ، ويترك وطنه الكبير الشام تنهبه أيدي الاعداء، أو يترك فلسطين العربية الاسلامة يسيطر عليها الانجليز لكى يقدموها اقمة سائغة لدخلاء اليهود ، تحقيقا للوعد المشئوم الجائر ، وعد بلفور الذى أعطته انجارترا لليهود فى الثانى من شهر نوفمبر سنة ١٩١٧ ، فكان اعطاء غير مشروع ممن لا يملك لمن لا يستحق •

لم يكن عز الدين القسام ممن يقبل لنفسه أن يكون شيخا منعزلا عن مجتمعه أو قومه أو وطنه ، بل كان من أولئك العلماء والأعلام الذين زانوا تاريخ الشام الحديث على قلتهم ، فنظروا الى أرض فلسطين على أنها جزء من صميم الشام ، وعلى أنها بقعة من بقاع العروبة والاسلام ، ومن هؤلاء على سبيل المثال الشيخ عبد الحفيظ أبو الفبلات أحد علماء المسلمين، وأحد شهداء المجاهدين من أبناء فلسطين ، وهو الذى قاد فريقا من المناضلين فى سنة ١٩٣٦ بفلسطين ، وكمنت له ولرفاقه مجموعة كبيرة من الجنود الانجليز واليهود ، واشتبك معهم فى معركة ضارية ، وحينما سدد

بندقيته الى أعدائه لم ينطلق منها الرصاص ، فبادر الى اخراج خنجره ،  
واقبل يقاتل به أعداءه ، حتى تكبكبوا عليه ، وسقط شهيدا في سبيل  
العروبة والاسلام .

ومن هؤلاء المجاهدين الشهداء أيضا الشيخ قاسم محمد الشايب أحد  
علماء المسلمين ، وأحد شهداء مجاهدى فلسطين وقد نال الشهادة  
في معركة « بلعا » التي وقعت يوم ٣ سبتمبر سنة ١٩٣٦ ، وحينما حملوا  
جثته لم يجدوا بين ثيابه سوى المصحف الشريف ، واثنى عشر مليما ١١ .

ولقد ذكرت في غير هذا المكان أنى كنت ذات يوم أتحدث الى مجموعة  
من الشباب عن واجبهم نحو قضية فلسطين المغتصبة ، وازالة احتلال  
الصهيونية للوطن العربى ، وكنت أقول لهم : انكم معقد الأمل وموطن  
الرجاء .

وبعد انتهاء الحديث أقبل على شاب رآخذ يحاورنى في غضب وانفعال ،  
وكان مما قال : ان الذى أعرفه أن صفحات الجهاد الميدانى والعمل الفدائى  
في تاريخ فلسطين ، تخلو من ذكر أحد من العلماء . فقلت له : لقد عرفت  
شيئا وغابت عنك أشياء ، فان أول من نظم العمل الفدائى في النضال  
الفلسطينى ضد الصهيونية والانجليز هو الشهيد المرحوم : الشيخ عز الدين  
القسام أحد علماء المسلمين .

فدهش الفتى وقال : هذا اسم لم أسمع به قبل اليوم ! .

ان عز الدين القسام يمثل وحدة النضال العربى من أجل فلسطين ، فعلى  
الرغم من أنه من شمالى سورية فقد رأى أن النضال من أجل فلسطين واجب  
مقدس عليه ، وحينما ضيق الفرنسيون عليه الخناق في سورية ذهب الى  
أرض الاسراء والمعراج ليواصل منها ولها هذا النضال ، واستقر به المقام  
في « حيفا » .

و«حيفا» كما يقول ياقوت حصن على ساحل بحر الشام قرب يافا ، وكان الصليبيون قد احتلوا حيفا في عدوانهم الأثيم ، ولكن البطلة الاسلامى صلاح الدين استردها منهم سنة ٥٧٣ هـ ، فهى اذن بلدة تعرف معانى المجاهدة من قديم ، ولذلك كانت من أسرع البلاد الفلسطينية فى الاستجابة الى روح المقاومة ضد الاحتلال البريطانى والبعى الصهيونى . فاشتريكت حيفا فى ثورة سنة ١٩٣٩ بفلسطين ، وقدمت فيها عددا من الشهداء ، وذاق مرارة النفى عدد آخر من أبنائها .

وفى سنة ١٩٣٦ كانت حيفا مصدر التحريك لروح الثورة الفلسطينية ، ومصدر الدعوة الى الاضراب العام والمقاطعة الشاملة ضد السياسة البريطانية العنصرية فى فلسطين ، وقد عم الاضراب بعد ذلك فلسطين كلها ، وهو الاضراب التاريخى المشهور الذى بدأ يوم ٢٠ من ابريل سنة ١٩٣٦ . واستمر حتى شهر اكتوبر من العام المذكور ، أى أن الاضراب استمر ستة أشهر ، وهذا ما لم يعرف له مثيل فى تاريخ الاضرابات .

ولقد كانت حيفا أيضا معقلا من معقل البطولة العربية خلال المسيرة الممتدة للثورة الفلسطينية ، وحاول اليهود منذ وقت مبكر أن يطوقوا حيفا بالمستعمرات الصهيونية تمهيدا لاحتلالها فى يوم من الأيام ، ولكن أهل حيفا أظهروا ضروبا من الشجاعة الفريدة ، وحاربوا اليهود المعتدين من شارع الى شارع ، ومن بيت الى بيت ، وحاربوا الانجليز مع اليهود ، ولم يسلموا فى سنة ١٩٤٧ — وهى سنة بداية النكبة — برغم كثرة الضحايا وقلة السلاح ، وضخامة عدد الاعداء .

وظل أهل حيفا يحاربون اليهود بلا انقطاع خمسة شهور ، ورفض الانجليز اللثام أن يسمحوا للمجاهدين العرب أصحاب الديار بأن ينقلوا جراحهم للاستشفاء أو للعلاج فى المستشفيات ، واستمر أهل حيفا يجاهدون الى آخر لحظة ، ويرفضون تهديد بريطانيا ، ويقولون لقواتها : لن نسلم مدينتنا .

ونستطيع أن نقول ان هذه الروح البطولية التي تجلت من حيفا ترجع في بعض أسبابها الى الشيخ عز الدين القسام الذي أخذ ينفخ في عزائم أبنائها ، ويدفعهم الى مواقف البذل والفداء ، من سنة ١٩٢٠ الى سنة ١٩٣٥ حيث لحق بربه شهيدا كما سنعرف ، وترك من خلفه تلاميذ ورفاقا تابعوا الخطوات على طريق الكفاح والنضال .

كان القسام رجلا عالما يجيد الخطابة والتدريس والتوجيه ، وما كاد ينزل حيفا حتى نظم دروسا دينية في أحد مساجدها ، ولكنه لم يكن يحصر دروسه في مسائل فقهية مألوفة ، بل كانت دروسه في الغالب استعراضا لمواقف البطولة في الاسلام . وحثا على الجهاد العملي والقتال الصادق ضد المحتلين من الانجليز واليهود .

وكان للشيخ عز الدين القسام « لازمة » يختم بها دروسه ، وهي ترديده لقول الله تعالى مشيرا الى أعداء الله وأعداء رسوله : « يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ، ومن يتولهم منكم فإنه منهم ، ان الله لا يهدي القوم الظالمين » .

وهو يذكر بقول الله تعالى : « انما ينهاكم الله عن الذين قاتلكم في الدين ، وأخرجوكم من دياركم ، وظاهروا على اخراجكم ، أن تولوهم ، ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون » .

وكثر رواد هذه الدروس التي يلقيها الشيخ عز الدين القسام باسم الدين ، داخل بيت من بيوت الله عز وجل ، وهو أحد المساجد في حيفا ، وكانت هذه الدروس تفعل فعل السحر في نفوس مستمعيها ، فهي تثيرهم ، وتحرك عواطف النضال وحب الاستشهاد في نفوسهم ، وتحذرهم عاقبة التقاعس عن شرف النفير في سبيل الله ، وكيف لا يخاف المؤمن تلك العاقبة الوخيمة ، وهو يسمع قول الله جل جلاله : « يا أيها الذين آمنوا ما لكم اذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم الى الارض ارضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة ، فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة الا قليل ، الا تتفروا يعذبكم



عذابا أليما ويستبدل قوما غيركم ولا تنصروه شيئا ، والله على كل شيء قدير ، الا تنصروه فقد نصره الله ، اذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين ، اذهما في الغار ، اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا . فأنزل الله سكينته عليه ، وايده بجنود لم تروها ، وجعل كلمة الذين كفروا السفلى ، وكلمة الله هي العليا ، والله عزيز حكيم ، انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ، ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون » .

وأثمرت هذه الدروس ثمراتها ، فبدأ فريق من أبناء فلسطين ، ومن تلاميذ الشيخ القسام ، يستجيبون لتوجيهات الشيخ العالم ، ويطبقون نصائحه في القيام بواجب الجهاد .

ومنذ أوائل سنة ١٩٣٤ أخذت نتائج تلك الاستجابة تظهر في الاعمال البطولية الفدائية التي يقوم بها هؤلاء التلاميذ في المثلث العربي الذي تكونه البلاد الفلسطينية الثلاث : جنين — نابلس — طولكرم .

حيث أخذ هؤلاء الأبطال يقومون بنسف القطارات ، ومهاجمة المعسكرات الانجليزية واليهودية ، واغتيال الضباط الانجليز المحتلين ، وقتل أى خائن يتنكر لعروبه ، ويتعاون مع الدخلاء المجرمين .

وكانت أعمال هؤلاء الأبطال تتم في سرية عميقة وتنظيم دقيق ، ومع ذلك أخذت تشعل نار الحماسة والاقدام في نفوس أبناء فلسطين ، فتكاثر عدد المنضمين الى حركة الشيخ القسام التي كان يمسك بزمامها ويحرك جنودها من وراء العمود الذي يجلس اليه للتدريس في ذلك المسجد من مساجد حيفا .

وأثقلت ثورة القسام مضاجع بريطانيا ، وأفزعته ، واتخذ جنودها اجراءات كثيرة للتسلح والاحتياط ضد ثورة القسام ورفاقه ، وجندت بريطانيا لذلك عددا كبيرا من قواتها ، ولكن الثورة القسامية — على الرغم من ذلك كله — ظلت تهدد قوات بريطانيا واليهود فترة طويلة .

ثم رأت هذه الثورة أن من الخير الاعلان عن نفسها بعد أن ظلت سرية مكتومة ردحا من الزمن ، فأعلنت عن نفسها في اليوم الثاني من شهر نوفمبر سنة ١٩٣٥ بمناسبة ذكرى الوعد الأثيم « وعد بلفور » • ومضت الثورة القسامية في طريقها تكتب كل يوم صفحة جديدة من صفحات النضال الفلسطيني الذي يجمع فيه أبنائه بين الاستجابة لداعى الجهاد في سبيل الله ، والغيرة على حرمت الوطن العربى العزيز •

وتطلع الشيخ عز الدين القسام فرأى أن عمله قد أثمر ، وأن زرعه قد أينع ، وأن كلماته قد صنعت ما تصنع النار القوية في صهر المعادن الكريمة ، وأن هذه الحركة النضالية قد أصبحت تحمل اسمه ، وينسبها الناس اليه ، وهنا سأل الشيخ الداعية نفسه هذا السؤال :

أليق بك أن تقول للناس مالا تلتزمه ، وأنت قادر عليه • وأن تدفعهم الى مجال نضال خطير ولا تسبقهم اليه ليكون تلاميذك هناك في الميدان — وبتوجيه منك — يلاقون المتاعب والمصاعب ، ويتعرضون لمشاق الجهاد حتى الاستشهاد ، وأنت هنا يا عز الدين تكتفى بالكلام ، وتقنع بأن تقبّع في المسجد خلف عمود من أعمدته ، وأنت قادر على حمل السلاح ؟ ان هذا لا يليق بك يا داعية النضال والجهاد •

وأعلن الشيخ القسام بين خلائه أنه سينتقل من معبد المسجد الى معبد الميدان ، وأنه سينضم عمليا الى صفوف المجاهدين ليقودهم في ساحة الشرف ، كما عبأهم روحيا في ساحة المسجد ، ولعله تذكر حينئذ ما أورده الامام ابن كثير عند تفسيره قول الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون » ، فقد ذكر فيما ذكر أن القائد أبا عبيدة بن الجراح كتب الى الخليفة عمر بن الخطاب يذكر له أن جموعا من الروم قد تجمعوا وهو يتخوف من كثرتهم ، فكتب اليه عمر يقول : « أما بعد ، فانه مهما ينزل بعبد مؤمن من منزلة شدة يجعل الله له بعدها فرجا ، وانه لن يغلب عسر يسرين ، وان الله تعالى يقول : يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون » •

كما ذكر ما رواه الامام ابن عساكر في ترجمة عبد الله بن المبارك من طريق محمد بن ابراهيم بن أبي سكينه ، وهو أن عبد الله بن المبارك كان يجاهد أعداء الله والاسلام . وكان مرابطا في « طرسوس » سنة سبع وسبعين ومائة . فدفع الى ابن أبي سكينه رسالة طلب منه أن يحملها الى الفضيل بن عياض الذي كان في ذلك الوقت مقيما يتعبد بجوار البيت الحرام في مكة . وكانت هذه الرسالة تتضمن قول ابن المبارك للفضيل :

يا عابد الحرمين ، لو أبصرتنا لعلمت أنك في العبادة تلعب  
من كان يخضب خده بدموعه فنحورنا بدمائنا تتخضب  
أو كان يتعب خيله في باطل فخيولنا يوم الصبيحة <sup>(١)</sup> تتعب  
ريح العبير لكم ، ونحن غيرنا رهج <sup>(٢)</sup> السنايك والغبار الأطيب  
ولقد أتانا من مقال نبينا قول صحيح صادق لا يكذب :  
لا يستوى اغبار خيل الله في أنف امرئ ودخان نار تلهب  
هذا كتاب الله ينطق بيننا ليس الشهيد بميت لا يكذب

وذهب ابن أبي سكينه ، ودفع رسالة ابن المبارك الى الفضيل وهو في المسجد الحرام ، فلما قرأها سألت الدموع من عينيه ، وقال : صدق أبو عبد الرحمن ونصحني ! \*

ثم قال الفضيل لابن أبي سكينه : أأنت ممن يكتب الحديث ؟ \*

قال : نعم \*

قال الفضيل : فاكتب هذا الحديث مقابل حملك كتاب أبي عبد الرحمن اليينا . وأملى عليه الفضيل الحديث المروى عن أبي هريرة أن رجلا قال : يا رسول الله ، علمني عملا أنال به ثواب المجاهدين في سبيل الله . فقال : هل تستطيع أن تصلي فلا تفتر ، وتصوم فلا تفطر ؟ . فقال : يا رسول الله ، أنا أضعف من أن أستطيع ذلك . فقال النبي صلى الله عليه وسلم :

(١) الصبيحة : الغارة والحرب .

(٢) الرهج : الغبار .

« فوالذى نفسى بيده لو طوقت ذلك ما بلغت المجاهدين فى سبيل الله ،  
أو ما علمت أن الفرس المجاهد ليستن فى طوله<sup>(١)</sup> فيكتب له ذلك  
الحسنات » ١٤ •

وانتقل الشيخ عز الدين القسام الى الميدان ، وتحولت ثورته مع رفاقه  
الى حركة عصيان مسلح ضد حكومة الانتداب الانجليزية والعصابات  
الصهيونية •

وارتعدت فرائص الانجليز حين رأوا بطولات هؤلاء الفدائيين ،  
فجعلوا كل همهم أن يتخلصوا من الشيخ القسام العقل المفكر المدبر  
للثورة ، فجمعوا عددا ضخما من جنودهم ، وحاصروه مع رفاقه فى غابة  
على مقربة من « جنين » وجاهد الأبطال جهاد الصدق ، وقاتلوا فى ثبات  
حتى الموت ، ونال الشيخ القسام نعمة الشهادة مع فريق من زملائه ،  
بعد معركة ضارية فى اليوم الخامس والعشرين من شهر نوفمبر سنة  
١٩٣٥ م • ودفن الشيخ القسام فى قرية « الشيخ » بجوار حيفا عليه  
رضوان الله •

وكان استشهاد القسام ورفاقه سببا فى اندلاع ثورة كبرى فى أرض  
فلسطين •

وشعرت بريطانيا بالخطر المحدق ، وأرادت أن تتفادى كارثة ستقع  
عليها ، فلم يمتز سوى شهر واحد على استشهاد البطل الشيخ القسام  
حتى أعلن المندوب السامى البريطانى فى فلسطين أنه يعترف بتأسيس  
مجلس تشريعى فى فلسطين ، وأنه سيضع قانونا يمنع انتقال الأرض من  
أيدي أصحابها العرب فى بعض المناطق ، وأنه سيعمل على استبقاء  
جزء كاف من الأرض فى يد الأسرة لاعتلتها •

(١) استن الفرس : عدا لمرجه ونشاطه ولا راكب عليه • ويستن المجاهد  
بسيفه : أى يخطر به وطوله : — بكسر الطاء وفتح الواو — هو الحبل  
الطويل يشد أحد طرفيه فى وتد أو غيره ، والطرف الآخر فى عنق الفرس ،  
ليدور فيه ويرمى ولا يذهب لوجهه ( النهاية ) •

ومع أن هذه الوعود البريطانية العرقوبية الخادعة لم تنفذ ، كانت في حد ذاتها دليلا على الأثر العميق الذي خلفه استشهاد البطل الشيخ عز الدين القسام •

وتعقب الانجليز جماعة من رفاق القسام ، وحكموا على أنسرادها بالسجن ، وبعد انتهاء المدة المحكوم بها عليهم ، جاء الطاغية البريطاني « أندروز » حاكم لواء « الجليل » فأصدر أمرا إداريا بسجن هؤلاء عاما آخر فوق المدة المحكوم بها ، وكان هذا الضابط الخسيس أشد الانجليز تحيزا لليهود وقسوة على العرب ، فقرر المجاهدون الفلسطينيون قتله ، ونفذوا ذلك :

وترك القسام من ورائه رجالا أبطالاً وفوا لرسالته ، ومنهم « أبو محمود الصفدي » المجاهد الفلسطيني ، وكان من جيش الجهاد المقدس الفلسطيني ، وكان يقود جماعة من المجاهدين الأبطال في أوائل مايو سنة ١٩٤٨ م في معركة عكا المشهورة ، وكان عدد رفاقه ثمانية وأربعين مجاهدا ، ومع ذلك خاضوا المعركة باقدام وثبات حتى نفدت ذخيرتهم •

وإذا كان القسام قد ضرب مثلا في الثبات وهو وجود بنفسه في المعركة ، فإنه قد أعطى في ذلك القدوة لغيره ، فإن المجاهد الشهيد عبد القادر الحسيني قد اقتدى بالقسام وهو ينال الشهادة في معركة القسطل •

ولقد بقي من رفاق القسام رجال أطلقوا على أنفسهم اسم « جماعة القسام » وهؤلاء قد شاركوا في العمل الفدائي البطولي حتى بعد النكبة المشؤمة في يونيو الأسود سنة ١٩٦٧ م ، ومنهم الشهيد « صبحي محمد ياسين » الذي أعلنت القيادة العامة لقوات « العاصفة » في مساء اليوم التاسع عشر من شهر أكتوبر سنة ١٩٦٨ م أن جثمانه سيُشيع إلى القاهرة ، وسيرافقه وفد من الشخصيات الفلسطينية للمشاركة في وداعه الأخير ، وأعلنت نبأ استشهاديه في البيان التالي :

وقال الشاعر فؤاد الخطيب في الشهيد القسام قصيدة منها هذه  
الآبيات :

<p>حرم على أطراف «يعبد»<sup>(١)</sup> قائم هبطته أكرم عصابة ، لو أنها ان الزعامة والطريق مخوفة أولت عمائمك العمائم كلها وجعلت لاسم الشيخ أرفع رتبة واليوم حين رأتك قد ذكرت بها ما كنت أحسب قبل شخصك أمة يا رهط عز الدين حسبك نعمة شهداء بدر والبقيع تهالت</p>	<p>في «الطرم»<sup>(٢)</sup> بارك حوله الرحمن سبقت لرتك مدحها القرآن غير الزعامة والطريق أمان شرفا تقصر عندها التيجان نبذت قديم عهودها الأوطان زي الملوك وما ارتدى الفرسان في بردتيه يضمها انسان في الخلد ، لا عنت ولا أحزان فرحا ، وهش مرحبا رضوان</p>
---	--

---

( ١ ، ٢ ) بلدان في فلسطين .

# من حطين إلى بيت المقدس

الأستاذ عبد العزيز سيدي الأهل

لن نكتب هنا سطوراً نتغنى فيها بأمجادنا بقدر ما نكتبها لتكون عظة لقومنا وعبرة لأعدائنا ، اذ كانت وقعة حطين ١١٨٧ م وقعة فاصلة في حروب العصور الوسطى بين العرب والغزاة الصليبيين \* وما لم تحدث معركة فاصلة مثلها في قتال بين عدوين فإن القتال مستمر حتى يفصل مثل هذه الوقعة بين المتقاتلين وتستقر الأمور على منتصر ومهزوم \*

وكما كانت هذه هي الحال بين العرب وقيادة صلاح الدين من جانب وغزاة الفرنجة الغربيين من جانب آخر فانها هي الحال نفسها بيننا نحن العرب وقيادة عبد الناصر من جانب وفلول الغزاة المتخيلين الذين تجمعوا تحت راية صهيون \*

ولم تكن وقعة حطين الا وسطا في أيام صلاح الدين ومن قبلها لقي نصرنا وهزيمة ولكنه دأب وحبر واستمر كما ندأب نحن اليوم ونصبر ونستمر ، وما زال صلاح الدين كذلك حتى بلغ القمة من أيامه في حطين ، ثم وجد بعدها انتصارات وانكسارات ولكنها لم تكن لها آثار هذه الوقعة التي دمغت أهل الخيال والطمع من الغزاة بخزي التاريخ \*

لقد أراد صلاح الدين ومعه العرب وغير العرب في زمانه — كما يريد قائدنا اليوم ومعه العرب والشرق كله — أن يسبر غور المجد كله بعد مواقعه العديدة مع الصليبيين في البابين ودمياط والاسكندرية ومرجعيون فنأدى في عسكره وعساكر النواحي — ومعظمهم من المتطوعين — أن

يجتمعوا لديه في مرج صفورية ، وما كادوا يجتمعون تحت رايته حتى وطىء بهم طبرية — وطبرية نفسها التي نسمع ذكرها اليوم — فوطئها في ساعة واحدة من نهار .

وشاهد الفرنجة مصرع طبرية الرهيب فتجمعوا والتأموا في خمسين ألفا تحت راية « جوى » أحد قادتهم وملوكهم ، ورأى مجلس المشورة في القدس المحتلة آنذاك بالفرنجة أن ينفر الغزاة الى صفورية لمواجهة جيش صلاح الدين وفي طبرية نفسها أو على مقربة منها .

وكان « ريموند » صاحب طرابلس والذي امتد سلطانه الى طبرية قد خرج منها قبل أن يوقع بها صلاح الدين . كان رجلا عاقلا منصفًا رأى بعينه مصارع قومه اذا هم تلاقوا بذلك البطل في أرض عراء فنادى في الغزاة يخطب فيهم ويقول :

« انه لأمر ذو حماقة أن نخاطر بعساكرنا في أرض قفر أمام صلاح الدين . . وان صلاح الدين لن يكتفى بطبرية ولكنه يريد أكثر منها . . وقد انسحبت منها بارادتي لكي أحمى معكم مدينة اورشليم . . لن يضرنا ضياع طبرية . . وكان انقاذها يهمنى شخصا أكثر مما يهكم أنتم يا أصحاب السمو الامراء . . فهي خاضعة لسلطاني وفيها امرأتى وأولادى وثروتى . . فأننا لا أرى ما ترون من وجوب مهاجمتها . . واذا خطوتم هذه الخطوة فانكم تكونون قد وقعتم في الشرك الذي نصبه لكم صلاح الدين . . اذ ليس له من غرض الا أن يستدرجنا الى منطقة صحراوية قاحلة وفي شهر تموز ( يوليو ) حتى نهلك من الحر والعطش ومشافر السيوف » .

قال « ريموند » هذا القول ناصحا لقومه ولكنهم لم يستجيبوا . وهو الأمر الذى يحدث في كل زمان ومكان فان الأصوات التي تمتلىء حكمة واتزان لا تقابل من المخدوعين والمتخيلين الا بالرفض والاتهام والاستهزاء كما هو حادث اليوم لمن ينصحون لاسرائيل .



ولم يقبل قادة الفرنجة قول « ريموند » بل شكوا فيه واتهموه بالمودة لصالح الدين فصدر الأمر لعساكر الفرنجة من فورهم الى الحرب واتخذوا طريقهم الى الحنف المقدور •

وضحك القدر فخيّل لجيش الغزاة حين تحرك من صفورية قاصداً طبرية أنه جبال تتحرك أو أمواج بحر تثور ، ولكن صلاح الدين حين تحقق من أن جيش عدوه قد سار قرت عينه وابتهج قلبه ليقينه في نفسه من أنه مقتدر وثقته في النصر ، وكان العرب معه كذلك فبات هو وجنده في ليلة كليا إلى العيد •

وطالما تمنى صلاح الدين لقاء عدوه في معركة مكشوفة تظهر فيها حقائق البطولة فلم يمكنوه من أنفسهم بل ظلوا يحاربونه من وراء السدود والحصون فحانت للبطل الفرصة التي تمنّاها من عهد طويل •

والأمر نفسه مانراه من الجيش الصهيوني اليوم فانهم يقيمون السدود وينشئون الحصون ، وما الأمر الا الجبن والهلع الذي صورهم قرآننا فيه بقوله — وهو أصدق الأقوال — « لا يقاتلونكم جميعا الا في قرى محصنة أو من وراء جدر » فهو كما يشهد عليهم بالجبن يشهد بأنهم لن يقاتلوا من وراء هذه الجدر الا مجتمعين ليثد بعضهم أزر بعض حذرا من كل فرد منهم على حياته وحرصا منه على نجاته •

وسار جيش الغزاة الضخم يتقدمه قادته وفراعينيه وتتوسطه لجة العسكر من مختلف الأمم وأشتات الطامعين ، وسار في مؤخرته ملك أورشليم في عسكر من الخيالة الممثلين زهوا وبطرا والمسمون بضيايف الغربا والهيكلين •

موكب لجب ولكنه أشبه بموكب الجنازة قد خيم عليه الأسى والجزع ، وما كادت مقدمته تلتقي بمقدمة صلاح الدين ثم يلتحم العسكران حتى حم القدر وتحققت أمنية صلاح الدين فأذاق الفرنجة طعم الموت المرير •

وانصلت أيام أربعة في قتال ذى حيل وفنون ضاقت فيه على الأعداء وجوه الحيلة والخلص فأسرعت المؤخرة وفيها ملك القدس والهيكلين والضياف لتدرك بحيرة الجليل فأطبق عليها العرب وانهاالت عليها شآبيب السهام فدخل الملك خيمته وقد وثق هو ومن حوله من أشرار الجند بأن الموت قد أحاط بهم من كل جانب \*

وكانت قضبان الأعشاب اليابسة التي تكسو أرض المعركة كلها والتي تحيط بجيش الغزاة قد ذوت وجفت من حرارة الصيف ففطن لها العرب ورموا عليها السهام المشتعلة بالنار فاشتعلت وتأججت فوق الصليبيون بين عطش ونار ففروا في جنون يطلبون الماء ولكنهم وجدوا العرب قد حالوا بينهم وبين بحيرة الجليل \*

وأشرق اليوم الخامس على الأعداء وهم يصعدون في التلال العسرة قرب البحيرة في ضعف ووهن ومذلة وضيم وإذا بعساكر صلاح الدين تسقط عليهم من أعلى التلال بصيحات ترعش المفاصل ، فاندفعوا اليأس الى الانتحار وجعل من لا تأكله النيران يلقي بنفسه على الحداثد والسيوف أو يلقي بسلاحه مستسلما لعسكر صلاح الدين \*

\* \* \*

وسرعان ما صار هؤلاء المعاندون متمزقين قطعاً قطعاً ، وجنود صلاح الدين تحيط بهم فرقة فرقة ، وجعلت كل قطعة منهم تذوب بين أيدي العرب ذوباً شديداً ، الا قطعة واحدة كانت تجمعت بكامل عدتها واعتصمت بتل هناك يقال له حطين بين طبرية على البحيرة وعكا على ساحل البحر \*

وما أن تجمعت هذه القطعة حتى رأت نفسها محاصرة من العرب والموت يتلقفها من كل مكان ، وبلغ من قتل منهم في ذلك اليوم أكثر من عشرة آلاف ، ولم ينبج من الموت الا هارب أو أسير \*

ووقع في ذلك اليوم من الأسرى ملك بيت المقدس « جوى » وأمراء جليل وطبرية والمقدمون في الفرق وأشد الفرسان ، وكان الصيد الثمين

في معركة حطين رجل مكابر حقود اسمه « أرنولد » وسماه العرب «أرناط»  
كان على الكرك والشوبك — في موضع تحتله اسرائيل اليوم — وكان مع  
عداوته للاسلام جريئا على الشر ممزقا للعهود \*

وجبل حطين الذي كسى بالدم في تلك المعركة كان جبلا متواضعا سمي  
من قبل «جبل التطويبات» اذ صعد فيه السيد المسيح عليه السلام حين  
أنذر البشر بديانة ذات سلام ومحبة فأكثر من قوله « طوبى .. طوبى »  
ولم يكن عليه السلام يثنى في تطويباته الا على الفقراء والمتواضعين دون  
الطغاة والمتكبرين \*

وقد عجب بعض رجال الكهنوت يومذاك من أن يكسى جبل التطويبات  
بالدم ولكنها كانت نبوءة صادقة للسيد المسيح اذ نكس البطاشون عليه  
رءوسهم وأصبح الأمراء المختالون المعاندون في ذلة الصعاليك ، وصارت  
الأسد التي ترأر كالأغنام المبددة في كل واد ، وأقبل على حطين مصرع  
باغية متجبر لم يرع حقا ولم يخش الله في ذمة برىء \*

البرنس أرناط « رينولد دى شاتيون » صاحب الكرك كان قد أسر في  
حرب من قبل صلاح الدين في عهد نور الدين محمود بن زنكى وبيع في  
حلب اذلالا له وانتقاما من شره ثم أطلقه شاريه بالفداء بعد وقعة الرملة  
في فلسطين ، فكان جزاء المسلمين منه تكبرا وتجبرا وقسوة فكان اذا غلب  
وانتصر لا يخفر ذمة ولا يرعى عهدا \*

وعقدت هدنة بينه وبين صلاح الدين على أن لا يتعرض أرناط لقوافل  
التجار والحجاج فنقض أرناط عقده وسطا على قافلة مصرية تريد الحج  
فأخذها ونكل برجالها وعذبهم في المطامير والحبوس وتناولهم هم ودينهم  
ونبيهم بكلام بذيء \*

وما أشبه اليوم بالأمس فكل اسرائيلي صهيوني مثل أرناط ينقض العهد  
ويعتدى على الآمنين وينكل بالنساء والأطفال والأبرياء ولا يعرف في  
سبيل غرضه انسانية ولا شرفا \*

وأقسم صلاح الدين حين بلغه أمر هذا الطاغية أن يقتله بيده لو أمكنه الله منه ، فأمكنه الله منه في وقعة حطين ، ولكن صلاح الدين كان بطالا متعاليا لا يرى البطولة الظافرة أن تتحكم في الأذلاء المقهورين فود لو أشفق به مع كل ما فعل فعرض عليه من الأمر ما يصلحه فأبى أرناط الا أن يكون متعجرفا لئىما فحل كتفه صلاح الدين بضربة من خنجره ثم أجهز عليه الحراس •

ولم يعتب أحد على جزائه فقد رآه كثير من المؤرخين أشد زعماء اللاتين مغامرة وأكثرهم تعديا ونقضا للعهود ، ورأى بعضهم أن مغامراته كانت الثغرة التى كانت سببا في انهيار المملكة اللاتينية في القدس أو عجلت في انهيارها •

ومنذ قضت وقعة حطين على قوى الفرنجة التى تجمعت حول التل تخلفت في سرعة مذهلة ذلك المكان الى كل الأمكنة حول القدس من قريب ومن بعيد فسلمت حاميات القلاع وسقطت الحصون واستسلمت بلاد الساحل — ماعدا صور — وبات أمر بيت المقدس وشيك الوقوع •

وأعود فأقول : ما أشبه اليوم بالامس في كل أجزائه وتفاسيله ، وحتى تقع معركة كحطين بين العرب واسرائيل فان العاقبة ستحدث الدلغة الجدد بما تحدثت به من قبل • ولن ينجو المعتدون •

\*\*\*

وأصبحت آمال صلاح الدين بعد حطين واستسلام الحصون والقلاع نية واجبة التحقيق ، فقد بلغ في المعركة الفاصلة أوج عظمتة وانتصاره كما بلغ الفرنجة حضيض انهزاماتهم ، ولغظت الحملة الصليبية الثانية الروح ومعها رمق الحملة الاولى وتطلعت عيون العرب والمسلمين مع عيني صلاح الدين تريد القدس •

واجتمعت فياللق المحاربين على القائد العظيم عند عسقلان — على طريق مصر حينذاك — واجتمع عليه ما يقرب من ستين ألفا عدا من

انتظم في سلك المقاتلة من النساء والصبيان فقد حلا الجهاد ولمع المجد ،  
ولعلها من أكثر الحروب العربية والاسلامية التي اشترك فيها النساء والصبيان ،  
وكان صلاح الدين رجلا مثانيا لا يخرج الغضب الى حق ولا النصر  
الى بطر وزهو فرأى أن يكتب الى فرنجة القدس ليطلعهم على ما يرى ،  
وكان أهم ما يشغله قدسية اورشليم ، فذكرهم بها ونبههم الى مكانها من  
كل النفوس ، وكتب اليهم يقول :

« اننى أنا نظيركم أيضا .. وأعرف أن اورشليم هي بيت الله ..  
ولست آتيا لكى أدنس قدسيته بسفك الدماء .. فعليكم أن تدعوها ..  
وأنا أكفيكم أمركم وأهب لكم من الأرض بقدر ما تستطيعون أن تعملوا  
فيه » \*

وانها لصيحة حق أرجو أن يستمع العالم كله لها اليوم أو لثلاثها \* وكان  
نداء صلاح الدين كنداء أحد الأنبياء لا يكذب ولا يلتوى ولو كان هناك  
في داخل القدس عقلاء ومنصفون مثل « ريموند » خطيبهم قبل حطين  
لأرسل من فوره الى صلاح الدين بمفاتيح القدس وهلت لذلك أوروبا كلها  
ورجعت اليها سالمة فلول الغزاة المتخيلين \*

ولا عبرة بقول قائل في داخل القدس من الغزاة الجدد أو القدامى : ان  
القدس مباحة للأديان الثلاثة \* فانه قول للتعمية باللسان ولكن من ورائه  
غدر وعدوان \*

والحق الذي يقال والعالم كله يعرفه — ان اليهودية تنكرت للمسيحية ،  
ثم جاء الغزاة المتعصبون في القرون الوسطى ينتكرون لليهودية والاسلام  
أما الاسلام فقد اعترف منذ جاء باليهودية والمسيحية وكل أديان السماء  
فهو بلا جدال آمن على قدسية اورشليم من كل الآخرين \*

وحتى القول بتدويل القدس لتحكم بالمساواة فانه ليست فيه الا مساواة  
ظاهرة كاذبة لا تستل عداوة ولا تطفى حقدا ، أما بقاء القدس في أيدي  
العرب والمسلمين وهم يقرون بالأديان السماوية ويؤمنون بها فانه أمر أوسع  
وأصدق من كل مساواة \*

وصلاح الدين — وكل قائد مسلم عرف منذ القدم الى اليوم — لا يقول الا ذلك ولا يفعل غيره ، وقد شهدت الأزمنة والتجارب بأن أماكن العبادة في القدس ظلت آمنة مرعية مصونة في العهود الاسلامية كلها •

الصخرة والمسجد الأقصى وكنيسة القيامة والقبر المقدس وبركة التعميد وجامع القديسين وحائط المبكى — كل أولئك وغيره من المقدسات ظل في العهود الاسلامية جميعها مصونا ، فيما ترى ماذا حدث اليوم لهذا المحمي المصون ؟ ! •

\*\*\*

وجاء كتاب صلاح الدين الى الفرنجة القدس فردوا عليه — كما ترد اسرائيل اليوم على العرب والمسلمين بل وعلى هيئة الامم ومجلس الامن ، فقالوا له قول المتعطرسين : « اننا لا نسلمك المدينة ولا نبيعها ! » •

وهكذا تماما بلغة اسرائيل نفسها اليوم : غطرسة وعناد وتفكير في البيع والشراء • أما صلاح الدين وقادة اليوم من العرب والمسلمين فهم يحرصون على القدس من أجل الله وأديان السماء !

وحين لم يبق الا القتال فقد نشب على الفور وخرج الفرنجة أمام السور الذي ظل باقيا الى اليوم يحفظ المدينة العربية المقدسة ويصونها فلم يلبثوا غير قليل حتى أزالهم العرب عن مواقفهم ونقبوا السور وحشوا الأنقاب بالأخشاب ليشعلوا فيها النيران •

ورأى الفرنجة الأمر نافذا والهلاك واقعا فرعبوا وارتاعوا وشرعوا يطوفون شوارع المدينة لاجئين الى الصلوات والتضرعات وسكب الدموع ثم رأوا كل ذلك لا يجدي فاتفق رأيهم على طلب الأمان •

ولم يغلق صلاح الدين باب السلام وعمل بأداب القرآن الذي يقول : « فان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله » فحين كفوا عن القتال وألقوا السلاح قبل مطلبهم على الفور ثم دخل القدس في شهر رجب في يوم جمعة وفي ليلة الاسراء •

وأبى صلاح الدين إباء الأبطال المترفعين أن يفعل بأهل القدس من الفرنجة كما كانوا قد فعلوا بمسلميها وعربها بل ويهودها أيضا من القتل والسبى يوم فتحوه ، وكان أول من برز يطلب لنفسه ولقومه الأمان بطريق القدس فرحب به ولباه صلاح الدين •

ولا حاجة بعد ذلك لإنسان أن يرجع الى ما هناك في كتب التاريخ عن عقد الصلح وشروطه التي تسامح فيها صلاح الدين الى الحد الذي عاد عليه وعلى قومه باللوم والضرر من بعده ، ولكنه وفي بعده وعقده كأحد الممتازين من أشرف الرجال •

وامتدت أيدي العرب والمسلمين الى ما صنعه العبث بالمقدسات كلها فأرجعت كل رمز الى مكانه يهوديا أو مسيحيا أو مسلما وأقيمت الجمعة في المسجد الأقصى وتوجه المسلمون الى القبلتين وخطب قاضي صلاح الدين خطبة الفتح التي صار لها صدى بعيد في التاريخ اذ جمع فيها « محيي الدين بن الزكي » كل تحميدات القرآن •

وشاع فتح القدس في الساحل والبلدان فوفد المهنتون من كل بلاد العرب والمسلمين وجاءت رسل الملوك بالتهاني من خراسان والعراق وصاحب العرب السلجوقي بل ومن الروم أيضا فتلقى صلاح الدين تهانيهم ولقى بنفسه المهنتين ورد على رسائل الملوك شاكرا وبلغت به السعادة حدا عذر فيه من تأخر فقد تلقى نصر الله بصدر رحيب •

ودعت القدس أهل الأديان الثلاثة اليها ثم فتحت الطرق المسدودة الى بيت الله الحرام وبات السعي الى بيوت الله في الشمال وفي الجنوب سهلا ميسورا آمنا ، وهو ما نرجوه اليوم ونعمل له تحت راية القائد العظيم وأنا ان شاء الله لبالفوه لأنه نصر لكل أديان السماء •





# القدس

## بعد صلاح الدين

### الأستاذ أنور الجندى

إذا قدرنا ان الحملة الصليبية الأولى استولت على بيت المقدس عام ٤٩٢ هـ ( ١٠٩٩ م ) وان المسلمين قد استردوه نهائيا عام ٦٤٢ هـ ( ١٢٤٤ م ) فان الفترة التي بقى فيها في أيدي الصليبيين لا تتجاوز مائة وتسعين عاما .

ومنذ وصلت الحملة الصليبية الأولى لم يتوقف كفاح المسلمين في سبيل المقاومة لاستعادة المسجد الأقصى ، وقد تعددت المواقع بينهم وبين الصليبيين وحققوا عددا من الانتصارات حتى استطاع صلاح الدين قيادة الحملة الظافرة التي انزلت بالصليبيين أعظم الهزائم في معركة حطين ، وقد تبعها صلاح الدين بالزحف على بيت المقدس واستعادته في نفس العام ، فقد جرت موقعة حطين في ٤ يونية ١١٨٧ م — عام ٥٨٣ هـ وفي ١٢ أكتوبر من نفس العام دخل صلاح الدين بيت المقدس وقد صادف ذلك يوم الجمعة ٢٧ رجب في ذكرى الاسراء والمعراج فأقام الصلاة الجامعة لأول مرة في بيت المقدس ولم يلبث صلاح الدين ان واصل معاركه الظافرة ، فسقطت المعاقل الصليبية في يده واحدة بعد أخرى ، ولم يبق في أيدي الصليبيين غير بضع مواقع أهمها من الناحية الاستراتيجية مدينة ( صور ) التي تأخر صلاح الدين في الاستيلاء عليها عقب سيطرته على عكا .

وهذا حال دون السيطرة عليها من بعد ، اذ تجمعت فيها بقايا الصليبيين وجموعهم التي خرجت من مختلف مدن وحصون الأرض التي تحررت .

ولقد كان لاستيلاء المسلمين على بيت المقدس رنة فرح في قلوب المسلمين ورنه أسى في قلوب الصليبيين ، وهذا عجل بتحريك الحملة

الصليبية الثالثة التي وصلت الى صور ١١٩١ م والتي قادها فردريك بربروسا امبراطور المانيا وريتشارد قلب الأسد ملك انجلترا ، هذه الحملة التي حققت للصليبيين بعض النجاح ، فقد تمكنوا من دخول عكا التي صمدت في وجههم عامين كاملين عجزوا خلالها عن اقتحامها \*

وكانت الخطة هي أن يتجه جموع الصليبيين الى محاصرة بيت المقدس ، وبذل ريتشارد في سبيل ذلك جهدا متصلا ، غير أن خطته باءت بالفشل وقواته منيت بهزيمة ساحقة وكان سلاح الدين قد حشد قواته للدفاع عن المدينة المقدسة وأحكم تحصينها واستمات وجنوده في سبيل رد الاعداء عنها ، فاضطر ريتشارد الى أن يطلب من صلاح الدين الدخول معه في مفاوضات للصلح \*

وقد شرط صلاح الدين شرطه الحاسم كقاعدة للمفاوضات في عبارة واضحة دقيقة حين قال : ان القدس هو متعبدنا فلا ننزل عنه ولو لم يبق معنا غير رجل واحد \*

وعلى أساس ذلك الشرط الواضح تم صلح الرملة ١١٩٢ م الذي أقر للصليبيين البقاء في المنطقة الساحلية من صور الى يافا وجعل عسقلان للمسلمين خالصة وجعل اللد والرملة مناصفة بين المسلمين والصليبيين \*

وقد نصت الاتفاقية على ان يكون للمسيحيين حرية الحج الى بيت المقدس دون مطالبتهم بأى ضريبة مقابل ذلك ، وبهذه المعاهدة أصبح الطريق مفتوحا الى الحجاز أمام المسلمين كما أصبح طريق المسيحيين مفتوحا الى بيت المقدس ولم يلبث صلاح الدين أن توفي بعد قليل سنة ٥٨٩ هـ ( مارس ١١٩٣ ) م حيث بدأت مرحلة جديدة من تاريخ الحروب الصليبية وبيت المقدس انتهزت فيها أوروبا فرصة الخلاف بين خلفاء صلاح الدين فبعثت بحملة جديدة في محاولة لاسترداد بيت المقدس ولكن هذه الحملة منيت بالفشل وباءت بالهزيمة ثم رأى الصليبيون ان يوجهوا حملاتهم الى مصر لأنها صاحبة القيادة السياسية والعسكرية فاتجهت

الحملة الصليبية عام ٦١٦ هـ ( ١٢١٩ ) الى دمياط ولكنها لم تحقق غرضا وباءت بالهزيمة والفشل \*

غير أن أحد ملوك أوربا وهو الملك فردريك استطاع ان يتقدم نحو عكا في خمسمائة فارس عام ١٢٢٨ م ومنها اتجه الى يافا فقام بتحسينها تمهيدا للهجوم على بيت المقدس ، ثم لم يلبث الاتفاق ان تم بين الملك الكامل ملك مصر وبين فردريك على عقد صلح مدته عشر سنوات على أن يقتسم المسلمون والصليبيون مدينة القدس ، فيأخذ الصليبيون بيت المقدس وبيت لحم والناصرة ، وان تكون سائر قرى القدس للمسلمين ولا حكم فيها للفرنجة وأن يكون الحرم بما حواه من الصخرة والمسجد الأقصى بأيدي المسلمين ولا يدخله الفرنجة الا للزيارة فقط ويتولاه أقوام من المسلمين ، الذين يقيمون فيه شعائر الاسلام كما اشترط أن يبقى بيت المقدس على ما هو عليه دون ان تجدد أسواره وقد ظلت مدينة القدس منذ ذلك الوقت مدينة مفتوحة ليس لها من الوسائل ما يكفل الدفاع عنها ضد أى محاولة تستهدف طرد الصليبيين منها \*

ولكن الصليبيين لم يلبثوا ان عادوا لتعمير قلاع القدس وأبراجها مخالفين بذلك شروط الهدنة ومنتهزين فرصة وفاة الملك الكامل ، وكان ذلك تمهيدا لحملة صليبية جديدة وصلت الى عكا ( ٦٣٧ هـ ) ١٢٣٩ م وكان ذلك في الواقع أخطر تحد واجه المسلمين ، ولم يكن هناك من سبيل الا أن تتقدم قوة جديدة شابة بعيدة عن مجال الخلاف ، لتواجه الأزمة وتحول بين الصليبيين وبين تحقيق عدوان جديد \*

وكانت هذه القوة ممثلة في « الأتراك الخوارزمية » وهم حمس المسلمين الذين كانوا مشتهين في شمال العراق والشام بعد وفاة سلطانهم جلال الدين الخوارزمي ، وقد انتهزوا فرصة دعوة السلطان الصالح أيوب لهم لمؤازرة قواته ، فاندفعوا صوب بيت المقدس عام ٦٤٢ ( ١٢٤٤ م ) فعبروا الفرات في عشرة آلاف فارس جنوب الشام ومنه زحفوا على بيت

المقدس وانقضوا على الصليبيين فسحقوهم وحرروا المسبب الأقصى من.  
نفوذ الصليبيين نهائيا \*

وبذلك يمكن القول أن بيت المقدس بعد أن حرره صلاح الدين لم يبق.  
في أيدي الصليبيين أكثر من ستة عشر عاما \*

ولقد بقي بيت المقدس منذ ذلك الانتصار الذي حققه الخوارزمية في أيدي  
المسلمين إلى أن وقع الاحتلال البريطاني عام ١٩١٧ ودخل الجنرال للنبي  
المقدس وقال كلمته المشهورة : « الآن انتهت الحروب الصليبية » \*

وما يزال هذا العمل من الخوارزمية المسلمين الحمس موضع تقدير  
التاريخ ، حيث صدر عن عواطف اسلامية خالصة ورد بيت المقدس إلى  
المسلمين وهم خير من يصونه \*

ولم يتوقف الخوارزمية اذ ذاك عن العمل بل اتجهوا بعد تحرير بيت.  
المقدس في جراءة وسرعة إلى ( غزة ) لمؤازرة حلفائهم المصريين \* حيث.  
دارت معركة أخرى حاسمة بين القوات الاسلامية والقوات الصليبية.  
انتهت بعد ساعات بالنصر المؤزر للمسلمين وفقد الصليبيون بضعة وثلاثين.  
ألفا من جنودهم \*

وتسمى هذه المعركة « حطين الثانية » من حيث مشابهتها لمعركة حطين.  
الأولى من حيث هزيمة الصليبيين واندحارهم وفقدانهم كل ما حصلوا عليه.  
من انتصارات وضياع زهرة فرسانهم وقادتهم \* وقد وقعت معركة حطين.  
الثانية في عهد السلطان الصالح أيوب \*

وكانت مقدمة لتصفية الوجود الصليبي كله في فلسطين اذ سرعان ما اندفع  
الظاهر بيبرس بعد معركة « عين جالوت » التي هزمت فيها قوات التتار ،  
اندفع إلى مهاجمة معقل الصليبيين الباقية خلال عشر سنوات كاملة بين  
( ١٢٦١ — ١٢٧١ م ) فاستولى على قيسارية وارسوف وصفد ، ثم استولى  
على يافا وانطاكية وكانت من أقوى وامنع الامارات الصليبية الباقية \*

ثم كان السلطان قلاوون وابنه الملك الأشرف من أبرز المجاهدين في تصفية آخر قلاع الصليبيين ، وفي عهد الأشرف عادت عكا إلى أيدي المسلمين. ٦٩٠ هـ ( ١٢٩١ م ) وكان يوم ١٧ جمادى الآخرة ٦٩٠ الموافق ١٨ مايو ١٢٩١ هو آخر يوم للصليبيين في ساحل الشام .

وهكذا دالت دولة الصليبيين في الشام وكان لذلك صدى بعيد في العالم الاسلامي بوصفها آخر حلقات الغزو الصليبي للمشرق الاسلامي .



# بيت المقدس في الشعر الحديث

الأستاذ عبده بروحي

الذي لا شك فيه أن مدينة « بيت المقدس » بقيت دائما محتفظة  
بالاصالة والشموخ وبشيء غير قليل من الحزن .. بالإضافة الى هذه  
اللمسات الشرقية التي ظلت تقاوم دائما محاولات المسخ ، والتغيير التي  
كانت تهب عليها بين الحين والحين !

وعلى كل فاذا أخذنا المدينة — بصفة عامة — في اطار الشعر العربي ،  
نجد أن الشاعر العربي القديم لم يقف عند المدينة على أنها شاهد من  
شواهد الحضارة المستقرة ، أو « نصب تذكاري » لكل ما أبدع الانسان ..  
ذلك لأنه كان في الغالب يعيش على أرض متحركة ، وبعبارة أدق على  
رمال متحركة وعلى أحداث متحركة ، فنحن نظلمه أشد الظلم — نظرا لظروفه  
البيئية — حين نتطلب منه شعرا في المدينة باعتبارها مجتمعا حضاريا  
منظما .

اننا قد نجد عنده بعض الوقفات — داخل وقفات أخرى — على العوالم  
الصغيرة المفككة التي كان يعيش عليها ، ولكن الظاهرة التي تلفت حقا هي  
ظاهرة « الوقوف على الاطلال » ، بل ان الأمر يصل به الى حد « توريثها »  
فيما يلي من عصور لا تتعامل مع الاطلال والى حد الالتفات اليها بالقلب  
بعد أن تغيب عن العين على حد قول الشريف الرضي  
فتلفت عيني فمذ خفيت عني الطلول .. تلفت القلب !

\* \* \*

ونحن اذا تركنا مدن العالم القديم التي لم يلتفت اليها تماما ، ووقفنا  
عند المدن التي وضع العرب أسسها ، لا نحس أنهم كانوا يهتمون بشيء  
قدر اهتمامهم ببناء المسجد ، على نحو ما نرى من بنائهم « تونس » ، وعلى

نحو مانرى من تجمعهم فى الفسطاط ، ولعل ما يقرب هذا قول الشاعر  
« أبو قبان » فى قيسية بن كلثوم حين تنازل عن داره ليبنى عليها المسجد  
الجامع أو مسجد أهل الراية كما يسميه البعض ، فهو يقول

وبابليون قد سعدنا بفتحها

وحزنا — لعمر الله — فيئنا ومغنما

وقيسية الخير بن كلثوم داره

أباح حماها للصلاة وسلما

فكل مصل فى فنانا صلاته

تعارف أهل مصر ما قلت فاعلما

ثم اننا يجب ألا ننسى انهم كانوا ما زالوا يتحركون لتسلم «نصيبيهم»  
من الحياة ، وانهم فى عصورهم المبكرة قد حركوا ثبات الأرض .. قد  
حولوها الى جواد يرفع رجليه عن آسيا ، ثم يقفز فاذا به فى افريقية ،  
ثم يخطو فاذا به فى قلب أوربا .. ثم بعد ذلك يواصل الرحلة فيما يشبه  
النزهة عبر بساتين الأرض !

\* \* \*

والظاهرة العامة أننا حين نتأمل شعر الفتوح الاسلامية ، ثم نقف وقفة  
سريعة عند شاعرى العربية الكبيرين أبى تمام ( وبخاصة شعره فى فتح  
عمورية ) والمتنبى ( وبخاصة شعره فى الاستيلاء على بعض أراضى الروم )  
لا نجد فى هذا اللون من الشعر نبرة الكراهية ، وانما نجد نبرة الزهو  
والوعيد ، كما لا نجد فى الشعر العربى بعد ذلك — بعيدا عن شعر العبثيات  
فى البيت والبيتين — ما يمكن أن يسمى بظاهرة « محاكمة المدن » على نحو  
ما نجد فى الشعر الافريقى مثلا ، حين نجد شاعرا عظيما كـ كليو بولد سيدار  
سنفور لا يرى فى نيويورك الا عيوننا من المعدن ، وابتسامات من الجليد ،  
وسيقانا من « النايلىو » وأصواتا جوفاء لا معنى لها ... الخ .



على أن الظاهرة الغربية حقا في الشعر العربي ، والتي تذكر بظاهرة الوقوف على الأطلال هي بلا شك ظاهرة « رثاء المدن » في الشعر العربي ، فالشاعر العربي الى حد ما لم يكن يلتفت الى المدينة القائمة قدر اهتمامه بالمدينة حين تسقط أو تنهار حضاريا ، ونحن اذا أخذنا مثالا واحدا على هذا وهو البكاء على سقوط غرناطة ( ٨٩٧ هـ - ١٤٩٢ م ) نجد أن رثاء هذه المدينة لم يقف عند حد المعاصرين لها ، ذلك لأننا نجدها دمعة نواحة في أجفان الشعر العربي ، وتتهيدة تظل ترتفع بمرارة من شعراء مثل أبي جعفر ابن خاتمة ، محمد بن يوسف الصنهاجي ، والشاعر الاسباني فرنسيسكو فيلا سباسا ، والشاعر أبو الفضل الوليد طعمه ، وعدنان مردم . . . الخ .

\* \* \*

وعلى كل فنحن لن نجد في الشعر الحديث — ولن نجد فيما سبق من شعر — تلك القصيدة الرحبة السامقة التي تتحدث عن مدينة بيت المقدس ،

وأنا أذكر هنا كلمة « بيت المقدس » لأنه الاسم الاسلامي الذي أطلق عليها منذ الفتح الاسلامي عام ٦٣٨م، أما اسمها قبل ذلك فقد كان أورشليم، ثم ايلياء ، ثم صار الاسم المسيحي لها القدس .

ومن الملاحظ أن أغلب الشعراء — ولعلمهم جميعا — قد استخفوا في شعرهم كلمة القدس ، على نحو ما نرى عند شعراء مثل عمر أبي ريشة ، والقروي والأخطل الصغير ويوسف الخطيب ، وفدوى طوقان ، ومحمود جبر ، وأبي سلمى

هل في روابي القدس كهف عبادة

تحنو جوانبه على أحباره

خشب الصليب على الرمال مخضب

بدماء من نعموا بطيب جواره

( و )

ومشوا لفتح القدس فانفتحت لها  
أبصارهم عن عالم مسحور

( و )

يثرّب والقدس منذ احتلما  
كعبتنا ، وهوى العرب هوانا

( و )

احزنى من لوعة الذكرى  
وخلى القدس تبكى

( و )

أنا من روابى القدس  
وطن السنا والشمس

( و )

كيف الخليل وكيف القدس كيف اذن  
نابلس والماء يجرى فى مغانيها

ومن الملاحظ من تردد كلمة القدس فى العديد من القصائد الحديثة ، بل فيها جميعا ، أن المعركة حين حميت بين العرب واسرائيل ، وحين اسفرت اسرائيل عن مطامعها التوسعية لم يشغل الشعراء الحديث عن مدينة ، بقدر حديثهم عن ضرورة التثبيت بالبقاء داخل الأرض الفلسطينية الكبيرة ، فالمشكلة لم تعد مشكلة مدينة ، وإنما أصبحت مشكلة وطن مضاع ، ودم مطلول ، ووجود مهدر ، ومن هنا كانت دعوتهم الحارة والعميقة الى ضرورة البقاء فى الأرض حتى ولو كانت محتلة ، الى ضرورة التثبيت بالتراب حتى ولو كان يتلون دائما بالدم ، وبالغيب ، وبالكمد ! وما أعمق هنا صوت نازك الملائكة وهى تقول

يارمح اسرائيل مهما ارتوى من جنحه من روحه من مناه  
يبقى ثرانا عربى الشذى والضوى •• يبقى عربى المياه !

وفى ضوء هذا سمعنا « فتحي قاسم » يقول فى قصيدة بعنوان هنا  
جذرى

\* سأبقى رغم اذلالى  
وجرحى والأسى الممقوت  
هنا فى حزن أجدادى  
وأرضى والسنا الموروث  
سأبقى رغم اذلالى ولن أرحل  
هنا جذرى ، وتاريخى ، وقصة حبنى الأول  
هنا وطنى  
ولن أرحل

ويقول محمود درويش

\* آه يا جرحى المكابر  
وطنى ليس حقيقه  
وأنا لست مسافر  
اننى العاشق والأرض الحبيبة  
وسميح القاسم يعيب على صديق له أنه يعيش بلا جذور بعيدا عن الأرض  
فيقول

\* رسالتك التى اجتازت الى الليل والأسلاك  
رسالتك التى حطت على بابى جناح ملاك  
أتعلم ؟ حين فضتها يداى تتفضت أشواك  
على وجهى وفى قلبى  
أخى العالى  
اليك هناك فى بيروت  
اليك هناك حيث تموت  
كزنبقة بلا جذر  
كنهر ضيع المنبع  
كأغنية بلا مطلع  
كعاصفة بلا عمر

♦♦ اليك هناك حيث تموت كالشمس الخريفية  
بأكفان حريرية !

وتؤكد فدوى طوقان ظاهرة التشبث بالأرض الفلسطينية بصفة عامة  
في قصيدة لها بعنوان « اغنيات صغيرة الى الفدائيين » فنقول

\* كفانى أموت عليها وأدفن فيها  
وتحت ثراها أذوب وأفنى  
وأبعث عشباً على أرضها  
وأبعث زهره  
تعيث بها كف طفل نمته بلادى  
كفانى أظل بحضن بلادى  
تراها ، وعشبا ، وزهره !

ويحدد القضية أكثر الشاعر توفيق زياد في قصيدة بعنوان ( من وراء  
القضبان » حيث يقول

هنا على صدوركم باقون كالجدار  
نجوع • نعري • نتحدى  
ننشد الأشعار  
ونملأ الشوارع الصخاب بالمظاهرات  
ونملأ السجون كبرياء  
ونصنع الأطفال جيلاً ثائراً وراء جيل  
إذا عطشنا نعصر الصخرا  
ونأكل التراب ان جعنا ولا نرحل  
يا جذرنا الحر تشبث  
واضربى فى القاع يا أصول !

\* \* \*

من كل هذا نرى أن الشعراء — وبخاصة الشعراء داخل الأرض المحتلة  
قد رأوا المصيبة تعم ، ورأوا أن الخطر لا يترتب بمدينة « بيت المقدس »  
فقط ، وإنما يترتب بالتراب العربى .. بالتراث العربى .. بالوجود  
العربى ، ومن هنا نراهم يدورون بأجفانهم المليئة بالدموع والاشفاق على  
العديد من المدن العربية ، وعلى العديد من المناطق العربية .

ومن الملاحظ أنه بعد حرب ٥ يونيو ١٩٦٧ وبعد أن أفاق الشعراء من  
الصدمة ، رأيناهم يقفون وقفة خاصة عند سقوط هذه المدينة ، ورأينا هذه  
الوقفة منسوجة نسجا محكما من المشاعر الدينية مسلمة ومسيحية — وهو  
نفس الاتجاه الذى أكدته من قبل على محمود طه حين نظر إليها على أنها  
كنيسة ومسجد .

وها هو ذا نزار قبانى يقول فى قصيدة بعنوان القدس

\* بكيت حتى انتهت الدموع  
صليت حتى ذابت الشموع  
ركعت حتى ملئى الركوع  
سألت عن محمد فيك ، وعن يسوع  
يا قدس يا منارة الشرائع  
يا طفلة جميلة محروقة الاصابع  
يا واحة ظليلة مر بها الرسول  
حزينة حجارة الشوارع  
حزينة مآذن الجوامع  
يا قدس يا جميلة تلتف بالسواد  
من يقرع الأجراس فى كنيسة القيامة  
صبيحة الآحاد ؟  
من يحمل الألعاب للأولاد  
فى ليلة الميلاد ؟

والشاعر هارون هاشم رشيد يرسم لها صورة ملونة بالاسلام والمسيحية  
في قصيدة كبيرة بعنوان القدس ، يقول في افتتاحيتها •

✽ القدس •• القدس  
وماذن تهتف بالناس  
الله أكبر •• الله أكبر  
وحى على الصلاة •• وحى على الفلاح  
الله أكبر •• الله أكبر  
القدس وفي الناس المسره  
القدس وحى على الصلاة

وقريب من هذا قول الشاعر حسن كامل الصيرفي في قصيدة بعنوان  
القدس

✽ القدس مكان •• في قلب العرب يسان  
سيذف النصر اذان •• لله الأكبر كل أوان  
وتدق نواقيس الرهبان •• لتحمى خطو الايمان  
ويعود الى الدار السكان •• ويفج نداء  
على الأصدا •• عاد الابناء  
لتطهر أرض القدس يدان  
ككساء الكعبة طاهرتان  
من رجس الباطل والبهتان

ونجد هذه النبرة عند محمد عز الدين المناصرة ، وسميرة أبو غزالة

✽ ✽ ✽

ومن الشعراء الذين نظروا الى القدس في ضوء اسلامي خالص على  
احمد باكثير في ملحمة الطويلة « اما نكون أبدا أولا نكون أبدا » فالى  
جانب أن الروح العام لهذه الملحمة هي ايقاط الهمم ، والدعوة الى الارتفاع  
عن الحزن نراه يقول

المسجد الثالث قد ذل وهان  
أسلمه الى اليهود الأمريكان  
عداوة منهم لدين المسلمين  
ولكتاب المسلمين  
ولانبعاث المسلمين  
وحلقة جديدة من ذلك الزحف الصليبي اللعين

ومن العالم الدينى ، واجوائه الشعرية ، بل وقاموسه نجد محمود حسن  
اسماعيل يقول

سمعت بها غضب الأنبياء  
مزامير ويل ، عتى صداداه  
وأبصرت الواحهم فى الفضاء  
محاريب تصرخ فيها الصلاة  
وتسبيحهم من ضفاف السماء  
يصب على الأرض سخط الاله  
ويرمى عليها دخان الشقاء  
أعاصير حقد تؤز الحياة

ونجد على هاشم رشيد يقول

وطار بى الشوق لأرض السلام  
ومهبط الوحى ومهد الكماه  
نزلت بالقدس وسرب الحمام  
بيث للأزهار نجوى هواء

جبالها الشم بوجه الخطوب  
قد خضبتها سائلات الدماء  
ما هب فيها شمال أو جنوب  
الا وكان الهدى ذاك الحذاء

ونجد هذا الاتجاه الاسلامى النقى عند الشعراء على الجندى ، ومحمود  
غنيم وعامر بحيرى ، وعبد الله شمس الدين ، وقاسم مظهر ، وروحية  
القلينى ، وشريفة فتحي ، وعليه الجعار \*

•• وبرغم ما قيل فى هذه المدينة الحزينة ، فان كل شعر قيل كان دون  
المأساة ، وكان دون نكبة العرب والمسلمين بهذه المدينة المقدسة ، أو بمدينة  
الصلاة كما يحلو للبعض أن يسميها \*

فاذا عرفنا أن كل يهودى كان لا يمل من القولة المأثورة عندهم والتي  
تقول :

« اذا نسيته يا اورشليم فلتخذلى يمينى ، وليشل لسانى فى فمى اذا  
لم أذكرك » فلا أقل من أن يقول كل مسلم فى كل يوم « •• يا بيت المقدس  
اذا نسيته فلتخذلى يمينى ، وليشل لسانى فى فمى اذا لم أذكرك ! »

فنحن معنا الحق • والله ولى الحق !



# بطل عظيم والقدير

الاستاذ على الجندى

بطل الشرق غير خاف بلاؤه  
تزدحم أرضه به وسماؤه  
صور من محاسن صاغها الله  
مثالا تباركت أسماؤه  
رق ؛ حتى لقييل : نفحة روض  
كالت وشى زهره أندائه  
وسطا ؛ فالحمام أحمر لا يؤ  
من بالليل والنهار لقائه  
وعفا ؛ فالحياة فاءت الى الجا  
نى ، وفى مقلب الردى حوباؤه  
لم تكن « يوسف الجمال » ولكن  
يوسف النبيل ما حواه رداؤه  
« ابن يعقوب » « وابن أيوب » فن  
قدسى الى السماء انتماؤه  
داء أعدائه ، ويأتيهم منه  
— بلا منة عليهم — دواؤه  
والأسارى ضيوفه ، وعريق  
فى الندى من ضيوفه أسراؤه  
أيدته خلف العوالى سجايا  
ه وأبلى قبل الظبى آراؤه  
كيف يطوى الخذلان أعلام جيش  
البطولات كلها نصراؤه  
كل غاز لم يدرع شرف النفس  
هوى — قبل أن يتم — بناؤه

لم يكن للصليب خصما ولكن  
 حاملوه يوم الوغى خصمائه  
 شهروا السيف والمسيح برىء  
 من سيوف يستلها أوليائه  
 فأتاهم تحت « العقاب » <sup>(١)</sup> حسام  
 ليس يخزيه في الهياج قضاؤه  
 قينه الحق والشجاعة والبأ  
 س غراره ، والسماحة مائه  
 من سيوف الاسلام طابعه الخا  
 لق لا « هنده » ولا « صنعائه »  
 عاث فيهم : فهارب وأسير  
 وقتيل تناثرت أشلائه  
 يوم « حطين » حط كل رفيـع  
 منهم طاول السماء علاؤه  
 هكذا البغى ليس ينصر باغ  
 صارع المعتدى الأثيم اعتداؤه  
 وانثنى خائسا وان راح مختا  
 لا على قمة السحاب لواؤه  
 لم ترنج له الخيلة عظفا  
 وجميل من ظافر خيلائه  
 حامى القدس ، أين « رتشارد » <sup>(٢)</sup> لا أين  
 قضى « الليث » وانطوى حلفائه  
 فارس « الغرب » راعه فارس « الشر  
 ق » ويدرى فضل الفتى أكفائه

١ — العقاب : الراية .

٢ — رتشارد : قلب الاسد قائد جيوش الصليبيين .

لم تخيب رجاءه حين رام السلام  
والحر لا يخيب رجاءه  
حامى القدس ، ان شعبك أمسى  
لأخس الشعوب حل دماؤه  
دنست ظهره شراذم صهيون  
ن وعاثت في أرضه سفهاؤه  
فناى عنه كل روح سنى  
وجلّت عن قبورها أنبياءه  
هو يدعوك مثل أمس لدفع السوء  
عنه ! فهل يجاب دعاؤه ؟  
ان مثنوى «البراق» و «الصخرة» العصماء  
والمسجد الطهور فناؤه  
هى ميراثنا العزيز علينا  
من أبواتنا ، ونحن فـداؤه  
في ظلال « الفيحاء » (١) يرقد حر  
طال في نصرة « الحنيف » (٢) عناؤه  
كان من دينه عليه رقيب  
ورقيب على الرقيب حياءه  
أشرف الفاتحين نفسا وسيفا  
من أقرت بفضله أعداؤه  
نزل « الخلد » (٣) في الحياتين لا ينسى  
عظيم ولا يضيق جزاؤه

- 
- ١ — الحنيف : الدين الاسلامى .
  - ٢ — الفيحاء : دمشق الشام وبها قبره .
  - ٣ — الخلد : الخلود في الدنيا ، وجنة الخلد في الآخرة .



# المسجد الأقصى القدس

الاستاذ محمود بهبه

لقد زرت أرض القدس قبلت تربها  
 وحيت ( طه والمسيح ومريما )  
 وعزيت « موسى » في ضراوات أمة  
 أرته و « هارون » العداء كليهما  
 تسابيح « قدسى » هل الى الله رجعة  
 تنير لنا جوا من الليل أظلمنا  
 وهل لأولاء النائنات مدافع  
 يرد لهن « القدس » أرغد أنعمنا  
 وفي جلوة الاسراء طوفت بالدنا  
 وطلفت بى الذكرى لشعب تضرما  
 أرى المسجد الأقصى وقد بات حوله  
 من الهول هول ينطق اليوم أبكما  
 تراقص حول القدس شعب مخزن  
 فهلا أحلتم عرش صهيون مأتما  
 أتباع خير الخلق .. ماذا أصابنا  
 لنترك أرض الطهر للبغى مغنما  
 أتباع طه والمسيح بن مريم  
 انترك للصهيون قدسا محرما  
 وسبحان من اسرى نسيتم نزولها  
 نسيتم حببنا فيه صلى وسلما  
 نسيتم رسول الله والرسول حوله  
 يحيون من أضحى الامام المكرما  
 بنى العرب دين العرب بذل وعزة  
 وكل ذليل لا أسميه مسلما

هبوا أنهم قد احرزوا الأمس جولة  
 السنأ أقمنا اليوم ما قد تهدما  
 ومن قال جهلا نكسة الأمس محنة  
 أليس يرانا اليوم صفا مدعما  
 تراكم نسيتم آية الله فيهمو  
 تراكم نسيتم آية الله ... كلما ...  
 ألا كلما قد أوقدوا نار حربها  
 سيطفئها من كان بالناس أرحما  
 ألا انهم قد حان ميعاد حينهم  
 « بعثنا عليكم » وقرأ الذكر محكما  
 « عبادا لنا كيما يسوءوا وجوهكم »  
 فذوقوا من اليحموم مهلا وعلقما  
 لسوف يرى الصهيون تبديد حلمهم  
 وأن الذي خالوه ملكا تصرما  
 فلسطين أنا اليوم نعطيك عهدنا  
 بأنك لن تلقى من العرب محجما  
 وأنا سألنا الله تطهير « قدسه »  
 وأنا سنفدى « القدس » بالروح والدماء

# الحقائق وقضية حائط المبكى

الدكتور محمود رباب

- ١ — إسرائيل تنتقض الاتفاق الدولي الخاص بالمبكى \*
- ٢ — القرار الدولي ١٩٣٠ يملك حائط المبكى للمسلمين \*
- ٣ — إسرائيل تتهاض قرارات الامم المتحدة ومجلس الامن \*

لقد قرأت مقال الاستاذ حافظ محمود في جريدة الجمهورية الذى دعا فيه الى البحث عن الوثيقة التى صدرت في ديسمبر سنة ١٩٣٠ في اللجنة الثلاثية التى كونتها عصبة الامم المتحدة للنظر في ادعاءات المسلمين واليهود ملكية المبكى أو الجدار الغربى للمسجد الأقصى \* ولقد حاولت عبثا أن أجد لها نصا في جامعة الدول العربية ، اذلك اتصلت بالاستاذ موسى زيد الكيلانى فتنفضل مشكورا واتصل بالدكتور محمد الفرا مندوب الأردن في الامم المتحدة ومجلس الامن فتنفضل مشكورا وارسلها الى ، ولقد بذل الدكتور الفرا جهدا كبيرا وغناء أكبر في الحصول على هذه الوثيقة في سجلات عصبة الامم السابقة \*

في هذا الوقت الخطير الذى يقوم فيه بأكبر مجهود لمواجهة الصهيونية العالمية في عقر دارها ومناقشة ارثر جولد برج رئيس المجلس الصهيونى العالمى ورئيس الوفد الأمريكى في الأمم المتحدة سابقا الذى يمثل أغنى قوى البشرية وأغنى قوى الصهيونية العالمية \*

وهذا التقرير مكون من ٧٥ صفحة وضعته لجنة ثلاثية مكونة من السادة \*

- ١ — الليل لوفجرين وزير سابق للخارجية السويدية مندوبا عن السويد \*
- ٢ — تشارلس يارد نائب المحكمة العليا في جنيف مندوبا عن سويسرا \*
- ٣ — حفان كمين حاكم سومطرا الشرقية مندوبا عن هولندا \*

ولقد عينت هذه اللجنة حكومة جلالة ملك بريطانيا العظمى وشمال أيرلندا بموافقة مجلس عصبة الأمم لتحقيق ما يدعيه المسلمون واليهود في ملكية حائط المبكى أو الحائط الغربى للمسجد الأقصى •

وقد سمعت اللجنة دفاع المسلمين ودفاع اليهود وكانت جميع البلاد الإسلامية ممثلة في لجنة الدفاع عن الإسلام وكان يمثل مصر في ذلك الوقت اثنان من أعظم رجالها المشهورين بالدفاع عن الحق وعن الإسلام وهما :

المرحوم أحمد زكى باشا المشهور بشيخ العروبة •  
والمرحوم محمد على علوبة باشا المشهور بدفاعه عن القضايا الإسلامية •  
ولقد انتهت اللجنة الى ما يلى :

١ — ان المسلمين وحدهم هم الذين يملكون حائط المبكى أى الجدار الغربى للمسجد الأقصى لانه يكون جزءا لا ينفصل عن الحرم الشريف وهو ملك للأوقاف •

٢ — يملك المسلمون وحدهم الطريق بين حائط المبكى وحى المغاربة وهو ملك للأوقاف التى تقرها الشريعة الإسلامية للأغراض الخيرية هذا والمبدأ العام هو ان حائط المبكى وطريقه الى حى المغاربة ملك للمسلمين وللمسلمين وحدهم فضلا عن المسجد الأقصى ثالث الحرمين الشريفين •

وانتهت اللجنة الى التفاصيل الآتية الخاصة بالعبادة :

١ — أى مملكات خاصة بالعبادة من جانب اليهود أو أشياء يحددونها للوضع بجوار الجدار بناء على توصية هذه اللجنة ، أو أى اتفاق بين الطرفين ، لا يبيح تحت أى ظرف ولا يعتبر له أى تأثير على وضع الملكية لحائط المبكى أو الطريق الملاصق له ، وعلى المسلمين أيضا ألا ينشئوا أو يبنوا أى بناء ضخم ليزيل أو يصحح أى بناء فى داخل ملكية الوقف ( منطقة الحرم الشريف وحى المغاربة الملاصق لحائط المبكى ) بطريق يمنع وصول اليهود



الى الحائط أو عمل أى اقلاق أو تدخل لليهود أثناء زيارتهم للعبادة اذا  
أمكن تجنب ذلك • ولليهود الحق فى الذهاب الى الحائط الغربى بقصد  
العبادة فى كل الأوقات •

٢ — لا توضع عقبات أمام اليهود حين يحملون كتباً أو أشياء تستعمل  
عادة للعبادة كالأشياء التى تستعمل فى مناسبات خاصة أو لبس ملابس  
كانت تستعمل فى الماضى للعبادة •

٣ — المنع المؤقت ضد احضار المكاتب والسجاجيد والحصر والكراسى  
والستائر وجر الحيوانات فى أوقات محددة على الطريق يجب أن يكون  
تماماً قبل قفل الباب الغربى فى ساعات محددة وسيحترم حق المسلمين فى  
الذهاب والاياب بطريقة عادية ولا يمنع •

٤ — يمنع وضع أى خيمة أو ستائر ولو فى وقت محدد •

٥ — لا يسمح لليهود فى النفخ فى قرن الخروف المصنوع على شكل  
صفارة بجوار الحائط أو عمل أى اقلاق للمسلمين اذا كان من الممكن تجنبها  
وعلى المسلمين ان يمتنعوا عن الذكر فى المكان الملاصق للطريق حين عبادة  
اليهود أو عمل أى شئ يغضب اليهود •

٦ — على الادارة أن تعطى التعليمات المناسبة لوصول اليهود الى  
الحائط بالنسبة للايام والساعات المحددة وعلى تنفيذ توصيات هذه اللجنة •

٧ — ممنوع على أى شخص أو اشخاص أن يتخذ من المكان الموجود  
بجوار الحائط مكاناً للخطب السياسية أو المناقشات أو المظاهرات من أى  
نوع •

٨ — يجب الا يغير شكل الحائط لمصلحة المسلمين أو اليهود بوضع  
نقوش أو مسامير ويجب ان يبقى الطريق نظيفاً ومحترماً لدى اليهود  
والمسلمين • ويجب على المسلمين أن ينظفوا الطريق وعلى الادارة مراقبة ذلك •

٩ — ولاهمية الحائط التاريخية يجب ان يدار بواسطة الادارة وأى اصلاحات تقوم تحت اشرافها بعد استشارة المجلس الاسلامى الاعلى والحاخامية اليهودية •

١٠ — أى اصلاحات لا يقوم بها المسلمون فى الوقت المناسب تتخذ الادارة الوسائل اللازمة لعمل ذلك •

١١ — تعين الحاخامية موظفا يهوديا لتلقى التعليمات الخاصة بالحائط والطريق •

وفى ذلك الوقت وامام اللجنة العالمية لم يجرؤ اليهود على الادعاء باى ملكية للحائط او حى المغاربة ، وكانت كل دعواهم هو السماح لهم بزيارة الحائط ، وكان هذا السماح يعتبر منة وكرما من المسلمين ، والطريق الموصل لحائط المبكى هو ملك لوقف الافضل بن صلاح الدين الايوبى •

والآن قد نسف اليهود حى المغاربة ويحفرون صحن المسجد الاقصى توطئة لهدمه واقامة هيكل سليمان •

ولقد سلمت الاردن الدكتور برنار المقيم الدولى على الاثار العربية بهنظمة اليونسكو مذكرة طلبت فيها العمل على وقف الحفريات التى تجريها اسرائيل فى صحن المسجد الاقصى وفى عدد من الاماكن الاثرية الاخرى كما طالبت بترميم الاثار التى تعرضت للنسف الاسرائيلى •

ان اسرائيل فضلا عن كونها اعلى مراحل الاستعمار لا تحترم ديننا من الاديان غير دينها فلا هى تحترم المسيحية ولا هى تحترم الاسلام بدليل البدء فى البحث عن هيكل سليمان الذى ازاله الرومان داخل المسجد الاقصى

نوطئة لاقامة الهيكل مكانه رغم أن المسجد الأقصى ثالث الحرمين المقدسين  
لدى المسلمين •

ولا هي تحترم قرارات الامم المتحدة أو مجلس الامن أو هيئة التحكيم  
في عسبة الامم •

اننى ارى ان مشكلة المسجد الاقصى مشكلة اسلامية •

ومشكلة فلسطين مشكلة عسكرية لا يحلها غير السيف •

السيف اصدق انباء من الكتب      فى حده الحد بين الجد واللعب



# افساد بنى اسرائيل

لجنة التعريف بالإسلام

يقول الله تبارك وتعالى في سورة الاسراء :

« وقضينا الى بنى اسرائيل فى الكتاب لتفسدن فى الأرض مرتين ولتعلن علوا كبيرا ، فاذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا أولى بأس شديد ، فجاسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا ، ثم رددنا لكم الكرة عليهم ، وامددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيرا ، ان احسنتم احسنتم لأنفسكم وان اسأتم فلها ، فاذا جاء وعد الآخرة ليسوءوا وجوهكم ، وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا ، عسى ربكم أن يرحمكم وان عدتم عدنا وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا ، ان هذا القرآن يهدى للتي هى أقوم ، ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا كبيرا » الآيات ٤ - ٩ •

لقد كثر حديث الناس فى العصر الحاضر عن هذه الآيات ، بسبب اغتصاب اليهود لأرض فلسطين العربية الاسلامية ، واقامتهم دولة اسرائيل فيها ، مع اعتدائهم الشرس المتكرر على الاراضى العربية ومع ان جميع المفسرين قد ذكروا ان مرتى الافساد المذكورتين فى هذه الآيات قد وقعتا قبل الاسلام وقبل بعثة المصطفى عليه الصلاة والسلام ، فقد حاول بعض الكاثين أن يربط بين هذا الافساد وبين المرات الكثيرة من الافساد التى قام بها اليهود ومازالوا يقومون بها فى الوطن العربى الى الآن •

ولعله من الخير والانصاف للحق والتاريخ أن نستعرض ما يمكن فهمه من جو هذه الآيات ومعناها العام ، ويحسن أن نعرف لمحة تاريخية عن علاقة اليهود بأرض فلسطين فى غابر الأزمان ، فنحن نعرف من حديث القرآن الكريم فى سورة البقرة ان الله تعالى اختار « طالوت » ملكا لبنى اسرائيل ، وأن « طالوت » — استطاع أن يحرز لهم النصر على « جالوت »

الذى قهر بنى اسرائيل من قبل ذلك ولقى جالوت مصرعه على يد داود ،  
وتنتظر فى ذلك الآيات الكريمة فى سورة البقرة من الآية رقم ٢٤٦ الى  
الآية رقم ٢٥١ .

واستمر طالوت ملكا على بنى اسرائيل سنين ، ثم مات سنة ١٠٥٥ ق.م ،  
وتولى الملك بعده داود قرابة أربعين سنة ، ثم جاء بعد داود ابنه سليمان  
الذى توفى سنة ٩٧٥ ق.م وفى عهد داود وسليمان قوى شأن بنى اسرائيل ،  
وكثرت أموالهم وأولادهم ، وجاء بعد سليمان ابنه « رحبعام » الذى كثرت  
فى عهده الاضطرابات والفتن ، كما أدى الى انقسام المملكة الى شطرين :  
الأولى مملكة يهوذا وعاصمتها « اورشليم » وملكها هو « رحبعام »  
والاخرى هى مملكة اسرائيل ، وعاصمتها السامرة ، وملكها « يربعام »  
أخو « رحبعام » .

وقد قضى « بختنصر » على مملكة يهوذا سنة ٥٨٨ ق.م ، كما قضى  
« سرجون » ملك آشور على مملكة اسرائيل سنة ٧٢١ ق.م ، ولكن حدث  
أن حارب « قورش » ملك الفرس « بختنصر » ملك بابل ، وبعد انتصار  
قورش اذن لليهود بالعودة الى اورشليم ولكن قسما منهم لم يعد .

وجاء الاسكندر المقدونى سنة ٣٣٣ ق.م ، وازال حكم الفرس ، وحينما  
مات الاسكندر بعد ذلك بعام قسمت مملكته بين قواده ، فصارت اورشليم من  
نصيب بطليموس ملك مصر .

وفى سنة ٦٣ م استولى الرومان على اورشليم ، وظلت حتى سنة ٦١٤  
حيث استولى عليها الفرس ثم عادت الى الرومان سنة ٦٢٨ ، ثم فتحها  
الاسلام فى عهد عمر بن الخطاب فى السنة الخامسة عشرة للهجرة  
( سنة ٦٣٦ م ) .

وبعد هذه اللوحة التاريخية نستعرض تفسير الآيات بلا اعتساف :  
١ — يقول الله تعالى : « وقضينا الى بنى اسرائيل فى الكتاب لنفسدن فى الأرض مرتين ولتعلن علوا كبيرا » \*

والمعنى قضينا الى بنى اسرائيل فى كتابنا « التوراة » المنزل على موسى عليه الصلاة والسلام ، والذى اشارت اليه السورة فى الآية السابقة فقالت : « وآتيناه موسى الكتاب وجعلناه هدى لبنى اسرائيل ألا تتخذوا من دونى وكيلا » واعلمناهم أنهم سيقع منهم افساد كبير فى أرض الشام مرتين ، وانهم سيعصون الله تعالى ، ويخالفون امره ، وينكبرون على طاعته ، وافساد اليهود متعدد الالوان والجوانب ، فهم عصوا موسى ، وحرفوا التوراة ، وقتلوا الانبياء مثل زكريا ، ونشروا الرذائل بينهم ، ولم يتناهوا عن منكر فعلوه ، ومجموع هذه الجرائم يسهل القول بأنه المراد بالمرّة الأولى للافساد \*

ولعل هذا الاخبار من الله تعالى كان اشعارا بأن الله سيعاقبهم على افسادهم ، وبذلك يحذر العقلاء أن يقدموا على الافساد ، ويحذر أهل العظة والعبرة أن يفسدوا كما أفسد هؤلاء ، وفى هذا الاخبار أيضا تعريض لليهود المعاصرين لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولأن يأتى بعدهم ، انهم ان استمروا فى الافساد — كشأن أجدادهم — فسيصيبهم ما أصاب اسلافهم من عقاب الهى رادع عادل \*

٢ — ثم يقول الله تعالى : « فاذا جاء وعد اولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا أولى بأس شديد فjasوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا » \*

والمعنى انه اذا حل موعد عقابكم ايها المفسدون من بنى اسرائيل على مرة الافساد الأولى سيط الله عليكم عبادا من عباده — وكل الناس عباد الله — فيهم قوة وفيهم بطش ، فيدخل هؤلاء العباد على بنى اسرائيل . ويترددون بين مساكنهم وديارهم ، ينتقمون منهم ويخربون ديارهم ، ويؤدبونهم التأديب الرادع ، لأن كلمة « جاسوا » معناها : ترددوا أى قتلوا ذاهبين وعائدين ، وكأنهم فى تردددهم يبحثون ويتأكدون : هل

تركوا احدا دون قتل أو عقاب • وقيل ان كلمة « جاسوا » معناها : قتلوا ، وعلى هذا القول فالمعنى واضح صريح •

والراجع ان المراد بهؤلاء العباد الأقوياء الأشداء الباطشين هم جالوت وجنوده الذين اشار اليهم القرآن الكريم في سورة البقرة ، ولا يقال ان كلمة « عباد » تفيد أنهم مؤمنون صالحون ، لأن كلمة « العباد » في لغة القرآن تطلق على البر والفاجر ، وعلى المؤمن والكافر ، ومن اطلاقها على غير الصالحين قول الله تعالى في سورة يس : « ياحسرة على العباد ما يأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزئون » الآية ٣٠ • وقوله في سورة النساء : « وقال لا تأخذن من عبادك نصيبا مفروضا » الآية ١١٨ • وقوله في سورة الاسراء : « وكفى بربك بذنوب عباده خبيرا بصيرا » الآية ١٧ • وقوله في سورة الفرقان : « وكفى به بذنوب عباده خبيرا » الآية ٥٨ •

وهناك نص تاريخي ثابت يدل على ان هؤلاء الذين جاسوا خلال الديار كانوا قبل الاسلام ، وهذا النص وارد في وصية عمر بن الخطاب لقائده سعد بن ابي وقاص ومن معه من الاجناد ، ففي هذه الوصية يقول عمر :

« ولا تقولوا : ان عدونا شر منا ، فلن يسلط علينا ، فرب قوم سلط عليهم شر منهم كما سلط على بنى اسرائيل — لما عملوا بمساخط الله — كفار المجوس ، فجاسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا » •

٣ — ثم يقول الله تعالى : « ثم رددنا لكم الكرة عليهم وامددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيرا » •

والمعنى أن بنى اسرائيل ارتدعوا بعد هذا وندموا ، ونفذوا الاوامر التي وجهت اليهم وكان ذلك بتوفيق من الله تعالى وفضل منه عليهم ، فأعاد الله اليهم القوة والغلبة ، ووهبهم الأموال والبنين ، وجعلهم أكثر عددا من ذي قبل •

ويظهر أن هذا كان في عهد داود وسليمان ، والقرآن يشير الى هذا في سورة البقرة حين يقول : « ولما برزوا لجالوت وجنوده قالوا ربنا أفرغ



علينا صبرا وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين ، فهزموهم بأذن الله وقتل داود جالوت ، وآتاه الله الملك والحكمة وعلمه مما يشاء ، ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض ولكن الله ذو فضل على العالمين » الآيتان ٢٥٠ و ٢٥١ •

ولقد كان الواجب على بنى اسرائيل امام هذا الفضل الالهى المتكرر أن يستمسكوا بالحق وان يظلوا على الوفاء ، ولكن هيهات • • وكان الواجب ايضا على سلالتهم فى عصر سيدنا ورسولنا محمد عليه الصلاة والسلام أن يؤمنوا بهذا الرسول الكريم الذى جعله الله خاتما للنبيين ، وأرسله كافة للناس بشيرا ونذيرا ، وجعله رحمة الله للعالمين ، ولكن هيهات • •

٤ — ثم يقول الله تعالى : « ان احسنتم أحسنتم لأنفسكم ، وان أسأتم فلها ، فاذا جاء وعد الآخرة ليسوعوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة ، وليتبروا ما علوا تتبيرا » :

والمعنى هو أن الله تبارك وتعالى يقرر ويخبر بأن من استمسك بالاحسان فى الاعتقاد والعمل والقول كان ثواب ذلك عائدا الى نفسه ومفيدا له ، ومن أساء فعليه عقاب اساءته ، وهذا تذكير وتبشير من جهة ، وتخويف وتحذير من جهة أخرى •

ولكن بنى اسرائيل لم يحفظوا العهد ، ولم يقدرُوا النعمة ، فعادوا الى الاساءة والافساد مرة أخرى ، ومن مظاهر هذا الافساد استحلهم محارم الله ، وأكلهم الربا وارتكابهم المخازى والآثام ، فسلط الله عليهم عدوا يذلهم ، حتى ظهرت آثار هذا الاذلال على وجوههم ، ويدخل هذا العدو المعبد « وهو المسجد الأقصى فيما بعد » فاتحا قاهرها لهم ، كما دخله أعداء بنى اسرائيل من قبل ، ويدمر هذا العدو ما يصل اليه ويسيطر عليه تدميرا قويا شديدا •

وهذا العدو الذى سلطه الله عليهم هذه المرة هو فيما يبدو « بختنصر البابلى وقد غزاهم بختنصر وجنوده ثلاث مرات ، فى السنوات ٦٠٦ — ٥٩٩ ٥٨٨ ق م ولكنه فى المرة الأخيرة أشاع فيهم التقتيل والأسر والتدمير •

ويروى في بعض كتب التقرير أن «صحابين» أو «سنحاريب» ملك النبط اشترك مع بختنصر في هذا الغزو • ويجوز أن يكون العدو الذى سلط عليهم هذه المرة هو « تيطوس » وجنوده من الرومان • وليس هناك ما يمنع أن يكون الأعداء الذين سلطهم الله على بنى اسرائيل بعد افسادهم الثانى هم البابليين والرومان معا ، وان تفاوتت مراحل الانتقام وازمانها •

٥ — ثم يقول الله تعالى « عسى ربكم أن يرحمكم وان عدتم عدنا وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا » : —

وكلمة « عسى » هنا يقول عنها المفسرون أنها للرجاء ، والرجاء هنا ليس معناه رجوع الدولة اليهم وانما هو لبيان ان رحمة الله تعالى تدرك الطائعين المستقيمين التائبين الصادقين من عباده •

والمعنى : لعل ربكم يرحمكم يا بنى اسرائيل ويعفو عنكم ، ان تبتتم وأخلصتم الطاعة ، وتركتم الافساد والانحراف والتحريف ، فالذنوب يستدعى البلاء ، والمغفرة ترفع النقمة ، وان عدتم الى الافساد والعصيان وارتكاب السيئات ، عاد الله اليكم بمن يذلكم ويسومكم سوء العذاب « وما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون » •

ولا شك ان بنى اسرائيل قد عادوا الى الافساد ثم عادوا • ألم يكذبوا الرسول صلى الله عليه وسلم ؟ ألم يدبروا ضده وضد المسلمين المؤامرات والمكائد ؟ ألم يتآمروا مع أعدائه ؟ ألم يقاتلوه ويناصبوه العداوة ، مما استوجب تأديبهم وتطهير الأرض الطيبة منهم ، حين كتب الله عليهم الجلاء وبذلك صدق القرآن ، فقد عادوا الى الضلال والبهتان فسلط الله تعالى عليهم المسلمين للتأديب والعقاب •

وختمت الآية بذلك الوعيد الصريح الواضح : « وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا » أى جعلنا النار بساطا وفراشا لهؤلاء اليهود الذين واصلوا كفرهم وبغيهم •• وستحصرهم النار ، وتحيط بهم فلا يستطيعون منها فرارا •

٦ — ثم يقول الله تعالى : « ان هذا القرآن يهدي التى هى أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات ان لهم أجرا كبيرا » :

وكأن هذه الآية نقول لبنى اسرائيل فى عهد الرسول عليه الصلاة والسلام ومن بعدهم : لاتكونوا كأسلافكم وأجدادكم حين كفروا وافسدوا ، بل استجيبوا لله ورسوله ، وآمنوا بالقرآن وشريعته ، فان الدين الذى جاء به محمد من عند ربه هو أقوم الدعوات وأعدل الطرق ، والذين يؤمنون به ويقرنون ايمانهم بالفعل الطيب الصالح هم الذين سيفوزون من الله بالثواب الجليل ، وفى هذا تأكيد لأن هؤلاء اليهود سيظلون فى ضلال وبهتان ، مالم يؤمنوا برسول الله عليه الصلاة والسلام : وبدعوة الاسلام ، وبكتاب الاسلام وهو القرآن الكريم •



# المسلمون وفلسطين

الدكتور أحمد الشرباصي

نشرت مجلة « جويش أوبزرفر » في ١٤ يولية سنة ١٩٦٧ مقالا بعنوان « القدس والاسلام » وهذه المجلة تصدر في لندن ، وهي اللسان الرسمي الناطق باسم وكالة الصهيونية العالمية ، والمقال المذكور يهدف الى أغراض صهيونية خبيثة ، وهو جزء من حملة تضليلية كبرى للرأى العام الغربى ، وفيه من التزييف للتاريخ ، والتحريف للحقائق ، والتهم على القرآن الكريم ، والطعن على رسول الله صلى الله عليه وسلم مالا يجزؤ عليه الا صهيونى يريد مع أمثاله تبرئة اجرامهم الشنيع وعدوانهم الأثيم على أولى القبليتين وثالث الحرمين : في فلسطين •

ومن أضاليل هذا المقال أنه يزعم أن عناية المسلمين بالقدس ( وهي بيت المقدس ) لم تظهر الا أخيرا ، بعد التنافس بين المسلمين واليهود في فلسطين ، وهذا تزوير للتاريخ ، فالمسلمون يعنون بالقدس وبفلسطين كلها منذ بزغت شمس الاسلام ، ومنذ قال رسول الله عليه الصلاة والسلام : « لا تشد الرجال الا الى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام ، ومسجدى هذا ، والمسجد الأقصى » •

والقدس عند المسلمين — منذ أربعة عشر قرنا — فيها أولى القبليتين ، وثالث الحرمين ، ولقد ظل رسول الله صلوات الله وسلامه عليه والمسلمون من ورائه يتجهون في صلواتهم الى المسجد الأقصى في بيت المقدس ( وهو القدس ) سبعة عشر شهرا ، وصار للقدس مكانة جليلة في نظر المسلمين ، لأن فيها المسجد الأقصى ، وهو أحد مسجدين اثنين اقتصر القرآن على التصريح باسمهما ، وهما المسجد الحرام وفيه الكعبة ، والمسجد الأقصى ، واليه اسراء الرسول ومنه كان معراجة ، واليه كانت

نهاية العودة من المعراج ، ومنه كانت بداية العودة من الاسراء ، وجاء في ذلك قول الله تبارك وتعالى في مفتتح سورة الاسراء : « سبحانه الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا انه هو السميع البصير » \*

وألقى الاسلام رداء الهيبة والكرامة والقداسة على المسجد الأقصى ، فجاء عن الرسول صلى الله عليه وسلم أن الصلاة في المسجد الأقصى بخمسمائة صلاة في غيره من المساجد ، باستثناء المسجد الحرام ومسجد الرسول بالمدينة عليه الصلاة والسلام ، وروى أن الصلاة في المسجد الأقصى بألف صلاة وروى بأكثر \*

وجاء في الحديث النبوى : « من مات في بيت المقدس فكأنما مات في السماء » وهو يقصد بطبيعة الحال من مات على الاسلام طائعا ربه ونبيه \*

وجاء في الفقه الاسلامى أنه يستحب الالهل بالحج والعمرة من بيت المقدس للحديث الذى يقول : « من أهل بحجة أو عمرة من المسجد الأقصى غفر له ما تقدم من ذنبه » \*

وعن أنس بن مالك : « ان الجنة تحن شوقا الى بيت المقدس » ، وبيت المقدس هو القدس ، كما ذكر ذلك ياقوت الحموى في معجم البلدان وكما ذكره غيره \* كما أن بيت المقدس يسمى « ايلياء » ، وقيل أن معنى الكلمة هو ( بيت المقدس ) وقد سمي بيت المقدس ايلياء بقول الفرزدق :

وبيتان بيت الله نحن ولاته وقصر بأعلى ايلياء مشرف

وقيل سميت ايلياء باسم بانيها وهو ايلياء بن ارم بن سام بن نوح عليه السلام \*

كما أن رسول الله عليه الصلاة والسلام قد قال : « صليت ليلة أسرى بى الى بيت المقدس عن يمين الصخرة \* وقصة الاسراء الاسلامية تنقص

علينا أن رسول الله محمدا صلوات الله وسلامه عليه قد صلى اماما بالأنبياء والمرسلين في المسجد الأقصى ليلة الاسراء \*

فهذه النصوص والأخبار وغيرها تكذب زعم هذا المقال ، وتبين أن المسلمين ينظرون الى القدس بعين الاجلال والاكبار منذ بزغت شمس الاسلام \*

ومن مظاهر عناية المسلمين القديمة الموصولة بالقدس وبالمسجد الأقصى وبفلسطين كلها هذه المؤلفات والكتب الضخمة التي ألفها علماء الاسلام ومؤرخوه منذ قرون في فضائل القدس والمسجد الأقصى ، ونذكر منها كتاب « فضائل القدس » لابن الجوزي المتوفى سنة ٥٩٧ هـ - ١٢٠٠ م ، أى منذ أكثر من سبعمائة وستين عاما ، وكتاب « الأنس في فضائل القدس » لابن هبة الله الشافعي وهو من رجال القرن السابع الهجري ، ونحن الآن في أواخر القرن الرابع عشر الهجري ، وكتاب : « مثير الغرام بفضائل القدس والشام » لابن سرور المقدسي المتوفى سنة ٧٦٥ هـ - ١٣٦٣ م وكتاب « الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل » لمجير الدين الحنبلي القاضي المتوفى سنة ٩٢٧ هـ - ١٥٢٠ م وكتاب « الجامع المستقصى في فضائل المسجد الأقصى » لابن عساكر المتوفى سنة ٩٤٨ هـ - ١٥٤١ م وكتاب « فضائل القدس » للشريف عز الدين حمزة المتوفى سنة ٨٧٤ هـ - ١٤٦٩ م \* وكتاب « باعث النفوس الى زيارة القدس المحروس » لابن قاضي الصلبي المتوفى سنة ٧٢٩ هـ - ١٣٢٨ م وكتاب « فضائل القدس » لأبى المعالى المشرف بن المرجى \* وغير ذلك من الكتب والأسفار \*

ويستمر تأليف الكتب عن فضائل القدس وفضائل المسجد الأقصى ومكانة فلسطين عند المسلمين ، حتى العصر الحاضر حيث نجد كتابي « تاريخ الحرم القدسي » و « المفصل في تاريخ القدس » لعارف العارف الذى مازال حيا ومقيما في القدس المحتلة الى اليوم \*

ويقول المقال الزاعم الآثم ان الشعور بأن « القدس » مكان مقدس لم يقو عند المسلمين الا في عهد الانتداب البريطانى ، وهذا كذب وزور ،

لأن المسلمين خلال العصور والدهور ظلوا يشدون رجالهم الى بيت المقدس لزيارة المسجد الأقصى باسم الاسلام وبتوجيه من رسول الاسلام عليه الصلاة والسلام \*

ولو جاز أن يقال : ان مزيدا من العناية والاهتمام قد بدأ من المسلمين في القرن العشرين بشأن القدس وشأن فلسطين لكان من الواجب أن نفسر ذلك التفسير الحقيقي الواقعي ، فنعلله بأن الاغتصاب البريطاني لفلسطين ، مع تواطؤ إنجلترا والصهيونية العالمية ، ومن خلفها أمريكا ، لتهويد فلسطين هو الذي فجر ما كان مطويا في صدور العرب والمسلمين منذ مئات السنين من حرص على فلسطين وخوف لمصيرها المؤلم على أيدي الصهيونية والاستعمار \*

ويحاول المقال الآثم الزاعم أن يوهم بأن المسلمين ليس لهم مقدسات في فلسطين ولا في القدس ، وهذا كذب وزور ، فللمسلمين في فلسطين — وفي القدس بالذات — المسجد الأقصى الذي صرح القرآن باسمه ، ونص على البركات من حوله ، وفي القدس « الصخرة » المباركة التي يقول فيها عبد الله بن عباس « صخرة بيت المقدس من صخور الجنة » ويقول على بن أبي طالب : « سيد البقاع بيت المقدس ، وسيدة الصخور صخرة بيت المقدس » \*

وفي القدس من المقدسات الاسلامية « قبة المعراج » و « محراب النبي » و « حائط البراق » و « مسجد عمر » الذي بنى سنة ١٤ هـ — ٦٣٥ م \*

\*\*\*

ويوهم المقال الآثم الزاعم بأن لليهود كثيرا من المقدسات في القدس ، مع أنهم أنفسهم يركزون عنايتهم واهتمامهم على « حائط المبكى » الذي يزعمون أنه جزء من سور القدس القديمة يوم كان هيكل سليمان موجودا ، ولقد كانت هناك بعض المقدسات اليهودية في القدس ، ولكن الرومان قوضوا عليها حين دمروا القدس ( أورشليم ) سنة سبعين للميلاد على يد « تيطوس » ، وحين دمروه مرة ثانية سنة خمس وثلاثين ومائة على يد « أدريانوس » \*



والمقال يناقض نفسه بنفسه ، ففي جزء منه يقول ان المسلمين لم يبدوا عناية بفلسطين الا في حقبة متأخرة ، ومع ذلك يقول في جزء آخر ان المسلمين يعدون قبة الصخرة في المرتبة الثانية بعد الكعبة ، ويضيف أيضا أن النبي — صلى الله عليه وسلم — كان يصر على أن يتوجه أتباعه في صلواتهم الى جهة بيت المقدس ..

ومن جهل كاتب المقال بالتاريخ زعمه بأن الذى بنى قبة الصخرة هو عبد الله المأمون ، لأن الذى بنى قبة الصخرة هو عبد الملك بن مروان الأموى ، والمأمون خليفة عباسى ، وقد بدأ عبد الملك البناء سنة ٦٦ هـ — ٦٨٥ م وتم البناء سنة ٧٢ هـ — ٦٩١ م . وقد رصد عبد الملك لبناء مسجد الصخرة خراج مصر لمدة سبع سنوات ، وهن اللطائف التى تروى أنه لما أراد عبد الملك أن يهب رجاء بن حيوة الكندى ويزيد بن سلام مائة ألف دينار مقابل ادارتهما للعمل فى البناء قالوا : « نحن أولى بأن نزيده من حلى نسائنا ، فضلا عن أموالنا ، فاصرفها فى أحب الأشياء إليك » .

ويزعم المقال أن الاسراء « كان مجرد زيارة ليلية قام بها محمد الى مكان ليس بصحيح ، لأن الموجود قبة فوق الصخرة » .

ويزعم المقال أن الاسراء « كان مجرد زيارة ليلية قام بها محمد الى مكان لم تذكر له تسمية ولا تحديد » . ويتجاهل المقال عمدا متعمدا النص القرآنى الصريح الواضح المحدد للمكان فى البداية وفى النهاية ، وهو قوله تعالى : « سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا انه هو السميع البصير » . فهنا ذكر للزمان فى كلمة « ليلا » وذكر لمكان الابتداء فى قوله « من المسجد الحرام » . وذكر لمكان الانتهاء فى قوله « الى المسجد الأقصى » .

ويفترى الكاتب الصهيونى افتراء عجبا حين يزعم أن المفسرين الاسلاميين الأوائل قد قالوا ان المسجد الأقصى هو المسجد الموجود فى المدينة . وهذا كذب عميق الجذور فى التزوير ، فهذا هو ابن جرير الطبرى شيخ المفسرين المتوفى سنة ٣١٠ هـ يقول : « المسجد الأقصى : يعنى بيت

المقدس ، وقيل له الأقصى لأنه أبعد المساجد التي تزار » • بل هذا هو التفسير المنسوب الى عبد الله بن عباس فهو يقول ان المسجد الأقصى يعنى مسجد بيت المقدس •

وهذا هو تفسير القرطبي يقول : « سمي الأقصى لبعده ما بينه وبين المسجد الحرام ، وكان أبعد مسجد عن أهل مكة في الأرض يعظم بالزيارة » ثم يقول : « وبهذا جعله مقدسا » ويشير الى أنه في أرض الشام ، وفلسطين كانت في أغلب مراحل التاريخ تعد الجزء الجنوبي من الشام •

ويذكر تفسير الرازي أن المفسرين قد اتفقوا على أن المراد بالمسجد الأقصى مسجد بيت المقدس •

فلننظر كيف يأبى هذا الصهيونى المحرف الا أن يكتم الحقيقة ، ويزخرف ضدها فيزعم أن المفسرين الأوائل قالوا ان المسجد الأقصى هو مسجد المدينة •

بل يضاف الى ذلك أنه لم يكن بالمدينة مسجد قبل الاسراء والمعراج ، فان مسجد النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة قد بنى بعد الهجرة ، ومعجزة الاسراء والمعراج كانت قبل الهجرة •

ويورد الكاتب الصهيونى خلال حديثه عبارات توهم أن النبي عليه الصلاة والسلام هو الذى صنع القرآن ، فتارة يقول : ان محمدا لم يحدد في القرآن كذا ••• وتارة يقول : يشير محمد في القرآن الى كذا ••• الخ •

وهذه فرية ردها المشركون والكافرون والمجرمون من قبل ، وتكفل القرآن الكريم بالرد الصريح عليها ، وتحدى العالمين أن يأتوا بمثل هذا القرآن ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا ، وصدق الله العلى الكبير اذ قال : « وان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين ، • فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين » •

ويقول المقال الصهيونى الحقود : « وكان محمد يحسد اليهود على الدوام » . وخير ما يرد به على هذه الفرية ، هو المثل العربى القديم : « رمتنى بدائها وانسلت » فان الرسول عليه الصلاة والسلام قد آمن لليهود عقب الهجرة على ارواحهم وأموالهم وشعائهم وحریتهم ، وأعطاهم عهدا بذلك ما استقاموا ، فنقضوا العهد ، وخانوا وغدروا ، حسدا من عند أنفسهم للإسلام ونبى الاسلام والمسلمين ، وقد أشار القرآن الكريم الى ذلك فى أكثر من موطن ، كقوله فى سورة النساء عن اليهود : « أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله » . وقوله فى سورة البقرة : « ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا حسدا من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق » .

والمضحك أن هذا الكاتب يعود فيناقض نفسه ، فبعد أن يقول ان محمدا كان يحسد اليهود على الدوام ، يعود فيقول ان محمدا كان يطمع بعد الهجرة فى دعم اليهودية ، فكيف يتفق هذا مع ذاك ؟

ويصف المقال القذر سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بكلمة « دجال » ، وليس هذا بمستغرب من سلالة اليهود الذين اتهموا مريم البتول العذراء بالفاحشة الكبرى ، واتهموا ابنها عيسى الذى قال عنه القرآن انه روح الله وكلمته ، اتهموه بأنه ابن الخطيئة وأنه وثنى ، وأنه سيخلد فى العذاب بين القار والنار ، كما جاء ذلك فى « التلمود » .

وينتهى الكاتب الخبيث فى آخر مقاله الى فكرته الصهيونية الخبيثة ، فيقول ان هناك اعتقادا شعبيا فى الشرق الأوسط بأن تزواجا سيتم بين الأماكن المقدسة لكافة الأديان ، ويومها يحل السلام العالمى .

وهذا خلط مقصود بين الفكرة الدينية والفكرة الاستعمارية ، فالمسلمون لا يأبون أن تكون بينهم وبين أهل الأرض جميعا روابط تعاون وسلام ، ولكن بشرط أساسى لابد منه ، هو أن لا يكون ذلك على حساب اغتصاب فلسطين ، واخراج أهلها منها ، واقامة وطن يهودى دخيل فيها ، وانتهاك الصهيونية لكل مقومات العدالة والأخلاق .

وينبغي أن يتنبه كل عاقل في الشرق والغرب الى أن اليهود — ومنهم كاتب المقال — يحاولون الآن التقرب من المسيحية ، ويوهمون الناس ان بين اليهودية والمسيحية تعاوناً وانسجاماً ، وهذا مالا يمكن أن يكون بحال من الأحوال ، لأن الخلاف بين اليهود والمسيحيين جوهرى أساسى ، فاليهود ينكرون رسالة عيسى عليه السلام ، وقد كفروا به من قبل ، وهم لا يقرون بقداسة الأماكن المتصلة بعيسى التى يقدها المسيحيون •

ولقد تأمر اليهود قديماً ضد عيسى ، وحرضوا الحائكم الرومانى « بيلاطس » عليه ، وما من مسيحى يعترف بمسيحيته الا وهو يعتقد أن اليهود هم قتلة المسيح • ولقد توسع اليهود توسعاً فاحشاً في الانتقام من المسيحيين ، فطاردوهم واعتدوا عليهم ، وشربوا دماءهم ، واعترفوا بذلك في كتبهم ، مثل كتاب « سدر حادوروت » • وقد ذكر هذا الدكتور روهنج في كتابه الذى عربته الدكتور يوسف نصر الله سنة ١٨٩٩ م بعنوان « الكنز المرصود في قواعد التلمود » •

وحتى اليوم مازالت اليهودية في أمريكا تصور السيد المسيح عليه السلام بصورة لا تليق بانسان ، وهذا هو كتاب « التجربة الأخيرة للمسيح » الذى أصدرته دار « سيمون وشوستر » في نيويورك ، فيه من القذارة ما فيه ، فهو يصف المسيح بأنه انسان متهاك على أجساد النساء ومعاشرتهم فأين هذا الافتراء الوضيع من حديث القرآن الكريم عن عيسى عليه السلام منذ قرابة ألف وأربعمائة سنة مثل قوله تعالى عن مريم وولدها : « فأشارت اليه قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبياً ، قال انى عبد الله آتانى الكتاب وجعلنى نبياً ، وجعلنى مباركا أينما كنت وأوصانى بالصلاة والزكاة ما دمت حياً ، وبراً بوالدتى ولم يجعلنى جباراً شقياً ، والسلام على يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حياً » ؟ •

وقوله : « اذ قالت الملائكة يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم وجيها في الدنيا والآخرة ومن المقربين ، ويكلم الناس في المهد وكهلاً ومن الصالحين ، قالت رب أنى يكون لى ولد ولم يمسسنى بشر قال كذلك الله يخلق ما يشاء اذا قضى أمراً فانما يقول له كن فيكون ، ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل » • الخ •

ولقد جاء في كتاب « سفريوكاسين » المطبوع سنة ١٧١٧ م في امستردام تصوير مرعب لفظائع القتل بالجملة التي قام بها اليهود في المسيحيين ، وذكر مئات الألوف التي قام بقتلها اليهود من المسيحيين في روما وليبيا وقبرص وغيرها •

وينبغي أن يتذكر هؤلاء وأولئك أن فلسطين كانت تعد خلال عصور التاريخ الجزء الجنوبي من بلاد الشام العربية وهي ( سوريا — لبنان — الأردن — فلسطين ) • والعرب موجودون في فلسطين منذ سنة ألفين وخمسمائة قبل الميلاد ، وكانوا يعرفون باسم الكنعانيين وظل هؤلاء الكنعانيون يحكمون فلسطين ألفا وخمسمائة سنة ، ولقد فتح المسلمون فلسطين سنة خمس عشرة للهجرة ( ٦٣٦ م ) ومنذ ذلك الوقت حتى نكبة التهويد ظلت فلسطين عربية اسلامية ، ولم تزد نسبة اليهود في فلسطين حتى نكبة الانتداب عقب الحرب العالمية الأولى عن سبعة في المائة ، ثم فتحت بريطانيا بحكم احتلالها وسلطانها الأبواب المنظورة والمستورة للهجرة اليهودية حتى تحقق وعد بلفور المشئوم •

ولقد ظل العرب والمسلمون في فلسطين يحسنون معاملة من كان بينهم من اليهود ، ولم تفسد العلاقة بين العرب واليهود الا حينما تنمر الاستعمار ، وتواطأ مع الصهيونية العالمية لاغتصاب فلسطين من أهلها ، واقامة وطن قومي لليهود فيها ، وبعد أن ارتكب اليهود في فلسطين ما ارتكبوا من الجرائم والفظائع •

واذا كان هناك اضطهاد قد وقع على اليهود ، فذلك لم يكن على أيدي العرب ، بل كان على أيدي الأوروبيين الذي حملوا الأمة العربية ظلما وعدوانا تبعة اضطهادهم ، مما يذكرنا بالمثل العربي القديم :

غيري جنى وأنا المعاقب فيكم فكأننى سبابة المتبدم

ولقد عاش المسلمون والمسيحيون في فلسطين متعاونين متفاهمين ، وهذا مثلا هو كتاب « تاريخ القدس » تأليف خليل طوطح وبولس

شهادة — وهما مسيحيان — يبين بوضوح أن المسيحيين تمتعوا بكامل حريتهم في ظل العرب المسلمين بفلسطين •

واليهود يزعمون أن فلسطين هي أرض الميعاد ، ويزعمون أنها أرضهم وأنهم أحق بها من العرب ، وما ذلك إلا لأنهم طرأوا على فلسطين من خارجها وأقاموا فيها مدة قصيرة من الزمن لأن حكم داود وسليمان لم يتجاوز قرنا من الزمان ، ثم جاء « تيطوس » وشتت شمل اليهود ، وهدم هيكلهم ، وأباد كل آثاره سنة سبعين ميلادية ، فإذا كان احتلال اليهود لفلسطين فترة من الزمن يسوغ لهم اغتصابها وطردها فان من حق الفرس اذن أن يطالبوا بفلسطين لأنهم كانوا قد احتلوا قبل الميلاد بقرون ، ومن حق اليونان أيضا أن يطالبوا بها لأنهم كانوا قد احتلوا في القرن الرابع قبل الميلاد ...

ان اليهود كشعب قد انقطعت صلتهم الواقعية بفلسطين منذ قرون وقرون ، بعد أن كتب الله عليهم الشتات بسبب جرائمهم وآثامهم ، ولكن الأطماع الاستعمارية جرأتهم على أن يحاولوا العودة اليها ، وفي سنة ١٩٠١ حاول اليهود اغراء السلطان عبد الحميد ، لكي يفتح لهم الباب أمام سكانهم فلسطين ، وعرضوا عليه الأموال والمساعدات ، ومنها :

- ١ — انشاء اسطول عثمانى بحرى •
- ٢ — انشاء جامعة عثمانية في بيت المقدس •
- ٣ — قرض مالى لتنفيذ المشروعات العمرانية في الدولة العثمانية •
- ٤ — تسديد ديون الدولة العثمانية •
- ٥ — اتاوة سنوية تساعد على تنمية الاقتصاد •

ولكن السلطان عبد الحميد رفض كل هذا ، وجاء في رده : « انى لا أستطيع أن أتخلى عن شبر واحد من أراضى فلسطين ، فهي ليست ملكا لى ، بل ملك شعبي ، لقد ناضل في سبيل هذه الأرض ، ورواها بدمه ، فليحتفظ اليهود بملايينهم ، وإذا مزقت امبراطوريتى يوما فانهم يستطيعون

آنذاك أن يأخذوا فلسطين بلا ثمن ، أما وأنا حتى فإن عمل المبضع في بدنى لأهون على من أن أرى فلسطين قد بترت من امبراطوريتى ، وهذا أمر لن يكون ، فانى لا أستطيع الموافقة على تشريح أجسادنا ونحن على قيد الحياة » •

وفي سنة ١٩٠٧ أراد « كامبل بانرمان » رئيس وزراء بريطانيا أن يفصل الجناح الأفريقى من النسر العربى عن الجناح الآسيوى ، فاهتدى مع خبرائه الى فكرة « وضع جسم بشرى غريب » بين الجزء الأفريقى من العالم العربى ( مصر - ليبيا - تونس - الجزائر - مراکش ) وبين الجزء الآسيوى منه المتمثل في بلاد الشام ودول الجزيرة العربية ، وسارع اليهود يقدمون أنفسهم جسما بشريا غريبا ليحدث شرخا في كيان الوطن العربى الكبير ، واحتضنت انجلترا الفكرة اللعينة ، وأعطت وعد بلفور في ٢ نوفمبر سنة ١٩١٧ ، ثم عملت بمكرها وكيدها ، وبصك الانتداب ودستور فلسطين على تهويد الأرض العربية وتهيئتها لقمة سائغة قدمتها غنيمة باردة لليهود في ١٥ مايو سنة ١٩٤٨ •

ثم جاءت أمريكا بعد انجلترا ، تؤيد الوطن القومى لليهود في فلسطين على حساب تشريد أبناء فلسطين الشرعيين في كل مكان ، وقادت أمريكاسياسة الاستعمار الجديد ومن أكبر أغراضه فرض اسرائيل على الأمة العربية لتكون نقطة ارتكاز للاستعمار الغاشم في الوطن العربى •

ولكن الأمة العربية أثبت وتأبى ذلك ، وهى مصممة على تحرير أرضها من المحيط الى الخليج •





## فهرست

نص رسالة الرئيس جمال عبد الناصر الى القوات المسلحة في يوم  
الغضب الجارف والحزن العميق لحريق المسجد الأقصى ٢٣ أغسطس ١٩٦٩

صفحة

مقدمة	: . . . . . ٧
أحرقوا المسجد الأقصى فوجب الجهاد	: الدكتور أحمد الحوفي . . ٩
فلسطين واليهود	: الدكتور أحمد شلبي . . ١٥
تاريخ مدينة القدس	: الأستاذ محمود كمال . . ٢٧
مدينة الخليل	: الدكتور يوسف عيد . . ٤١
قصة مسجد الصخرة	: الأستاذ محمد دياب . . ٤٧
الصلوات بين القدس ومصر	: الدكتور على حسنى الخربوطلى ٥١
أكاذيب اليهود على الله	: الدكتور أحمد الحوفي . . ٧٣
علماء من القدس	: الأستاذ على الجمبلاطى . ٨٩
من علماء مدينة الخليل	: الأستاذ ابراهيم عطوه عوض ١١٣
من علماء نابلس	: الأستاذ عبد المغنى المنشاوى ١٢١
الشهيد الشيخ عز الدين العشام	: الدكتور أحمد الشرباصى . ١٣٧
من حطين الى بيت المقدس	: الأستاذ عبدالعزيز سيد الأهل ١٤٩
القدس بعد صلاح الدين	: الأستاذ أنور الجندى . . ١٥٩
بيت المقدس في الشعر الحديث	: الأستاذ عبده بدوى . . ١٦٥
بطل حطين والقدس	: الأستاذ على الجندى . . ١٧٥
المسجد الأقصى والقدس	: الأستاذ محمود جبر . . ١٧٩
الحقائق في قضية حائط المبكى	: الدكتور محمود دياب . . ١٨١
أفساد بنى إسرائيل	: لجنة التعريف بالاسلام . ١٨٧
المسلمون وفلسطين	: الدكتور أحمد الشرباصى . ١٩٥

رقم الايداع بدار الكتب  
١٩٦٩ / ٣٨٢٢

---

مطابع الاهرام النجارية



مطبع الأهرام التجارية

